علم الأصوات

تأليف

الدكتور حسام البهنساوى

وكيل كلية دار العلوم

رئيس قسم علم اللغة

جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٤/٧١٠٠
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341 - 142-7

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طابع اللغة ـ أى لغة ـ هو طابع صوتى، كما يذكر ذلك مارتينيه A. Martient فمن المعلوم، أن موضوع علم اللغة، هو اللغة البشرية، فتعبير اللغة، يشير فى العادة إلى قدرة البشر على التفاهم، بمساعدة دلائل صوتية، وهذه الصفة الصوتية بالذات، تستأهل منا أن نقف عندها طويلاً.

لقد كان الشائع ـ قديمًا ـ أن الكتابة أهم من الصوت، ولا شك أن المثل الرومانى، قد جسد هذه الفكرة خير تجسيد فى قوله: «الكلام يذهب والكتابة تبقى» "Verba Valant Scripta Manet".

والحق، أنه حتى ظهور أجهزة التسجيل، كان الصوت، إما أن يدخل حيز الوعى لحظة صدوره، أو أن يضيع إلى الأبد، أما الدليل المكتوب، فيظل باقيًا ما بقيت المادة التى تحمله، سواء أكانت هذه المادة من الحجر أم من الورق، وهو يظل باقيًا ـ أيضًا ـ ما دام النقش الذى أحدثه الأزميل أو الريشة أو القلم عالقًا بهذه المادة.

لقد حظيت الكتابة، منذ القدم، بمكانة مرموقة، فهى الوسيلة التى حفظت ـ حتى اليوم ـ جميع ذخائر الفكر الإنسانى وحضارته حتى أن كلمة

«أدب» فى اللغات الأوربية "Literature" مشتقة من هذه الصيغة المكتوبة، كما أن بدايات البحث اللغوى، كانت مقرونة بتلك الدراسة الفيلولوجية التى تعنى بدراسة النصوص المكتوبة قديمًا، بغرض الوقوف على تطورها عبر الأزمان، لكن الأمر الواقع ـ حقًا ـ أن دلائل اللغة البشرية ـ كما أسلفنا ـ ذات طبيعة صوتية، قبل كل شىء آخر، وأنها وجدت بهذه الصيغة الصوتية، منذ آلاف السنين، وأن معظم البشر، ما يزالون حتى اليوم يتكلمون، دون أن يستطيعوا القراءة، وأن المرء يتعلم كيف يتكلم، قبل أن يتعلم كيف يقرأ، وأن استعمال الكتابة لاحق على استعمال اللغة، وليس العكس.

ومن هنا تتجلى أهمية الدراسة الصوتية، ومدى حرص علماء اللغة وغيرهم، من أجل فحص الأصوات اللغوية وتحليلها.

ومع التقدم العلمى، وظهور المخترعات، ووسائل التقنية الحديثة، تطورت الأبحاث الصوتية وتقدمت تقدمًا باهراً.

وظهرت علوم عديدة لدراسة الأصوات، لكل منها علماء ومتخصصون وتشعبت تلك العلوم بحسب اختلاف وجهات نظر العلماء ومناهجهم، ومن أشهر هذه العلوم الصوتية، وأكثرها شيوعًا وانتشاراً، علوم ثلاثة وهى:

١- علم الأصوات النطقى (الفسيولوجى).

٢- علم الأصوات الفيزيائى (الأكوستيكى).

٣- علم الأصوات السمعى.

لقد نشأت هذه العلوم الصوتية، من خلال أسس ثلاثة وهى:

الأساس الأول

ويتمثل فى إصدار الصوت وإنتاجه، ويقوم على دراسته، علم الأصوات النطقى، أو ما يطلق عليه (علم الأصوات الفسيولوجى).

الأساس الثانى

ويتمثل فى الموجات والذبذبات الصوتية، التى تنتج عن نطق الأصوات حيث تحدث اهتزازاً للهواء، وتنشأ عن هذا الاهتزاز الذبذبات الصوتية، التى تنتقل من فم المتكلم إلى أذن السامع، ويقوم على دراسته، علم الأصوات الفيزيائى (الأكوستيكى).

الأساس الثالث

ويتمثل فى وصول الذبذبات الصوتية إلى أذن السامع، وما يحدث فى الأذن من تأثيرات فسيولوجية، وما يصاحب هذه التأثيرات، من تأثيرات نفسية لدى المستمع، ويقوم على دراسته علم الأصوات السمعى.

وتقدم هذه الدراسة، عرضًا حول هذه العلوم الثلاثة، غير أن علم الأصوات النطقى يحظى عن العلمين الآخرين، بتفصيل أكثر من جوانبه المختلفة، من خلال قسميه الرئيسيين وهما: الفوناتيك والفونولوجيا.

ففى الجانب الفوناتيكى: قدمت الدراسة عرضًا، شاملاً، لأصوات العربية الفصحى مع وصفها وصفًا ماديا بقطع النظر عن كونها فى سياق، سواء أكان هذا الوصف عند العلماء العرب القدامى، أم عند اللغويين العرب المحدثين.

وفى الجانب الفونولوجى: قدمت الدراسة، عرضًا لوظائف الأصوات

العربيـة وما قد يطرأ عليهـا من تغيير أو تحـويل كما قدمت الدراسـة عرضا لمفـهوم الفونيم والكتابة الصـوتية، كمـا قدمت شرحًا للفـوتيمات الرئيسـية والفونيمات الثانوية فى العربية الفصحى.

كما اهتـمت الدراسة بعرض للتغييـرات التاريخية والتركيـبية، التى تطرأ على الأصوات العربية، من خلال قوانين التطور الصوتى.

والله نسأل أن يلهمنا الرشد والصواب

د/ حسام البهنساوى

القاهرة ٢٠٠٣م

obeikandl.com

تمهيد

يعد الصوت، ظاهرة طبيعية: وهو يحتاج إلى تضافر مجموعة من العناصر، لكى يتم حدوثه، وهذه العناصر الفاعلة فى حدوث الصوت هى:

١- مصدر الصوت

ومصدر الصوت الإنسانى، يتمثل فيما نطلق عليه تجاوزا، الجهاز النطقى، حيث ينطلق الهواء، هواء الزفير، عبر الأوتار الصوتية، سواء أحدث اهتزازًا لها أم لم يحدث، ومع التقاء عضوى النطق، هذه العملية العضوية، التى تحدث اضطرابًا للهواء الخارج من الفم أو الأنف، من شأنها إحداث الأصوات الإنسانية، وهى تشبه تمامًا، ما يحدث من اضطراب الهواء، نتيجة احتكاك الأجسام كما يحدث لأوتار العود أو الشوكة الرنانة.

٢- انتقال الصوت

يحدث اضطراب الهواء الخارج من الفم أو الأنف، يحدث ذبذبات مختلفة ومتنوعة، تنتقل هذه الذبذبات الهوائية إلى أذن السامع، ولا شك أن ثمة وقتًا يستغرقه الصوت من مصدره إلى مستقبله، وهى أذن السامع.

٣- استقبال الصوت

تنتقل الذبذبات الصوتية إلى أذن السامع، حيث تحدث هذه الذبذبات، تأثيرات مختلفة، لأعضاء الأذن، تلك التأثيرات، من شأنها أن تصل إلى مخ الإنسان، حيث تتم ترجمة تلك الذبذبات إلى لغة إنسانية مفهومة.

لا شك أن هذه العناصر الثلاثة، تتضافر من أجل إحداث الصوت وانتقاله من مصدره إلى مستقبله.

وقد انتظمت هذه العناصر السابقة، ثلاثة من العلوم، تعنى جميعها بدراسة الأصوات، وهذه العلوم هى:

١- علم الأصوات النطقى (أو علم الأصوات الفسيولوجى).

"Articulatory & Phsiological Phonetics".

٢- علم الأصوات الأكوستيكى (أو الفيزيائى).

"Acoustic or Physical Phonetics".

٣- علم الأصوات السمعى. "Auditory phonetics"

obeikandl.com

أولا: علم الأصوات النطقى أو الفسيولوجى

يعد علم الأصوات النطقى، هو أقدم علوم الأصوات وأكثرها شيوعًا وانتشارًا، ويرجع السر فى ذلك إلى وظيفة هذا العلم، وإلى طبيعة الميدان المخصص له، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر فى أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء ويحدد وظائفها ودور كل منها فى عملية النطق، منتهيًا بذلك إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم(١).

ويتسم هذا العلم بسهولة الدراسة، فهو يقوم على الملاحظة الذاتية للباحث اللغوى حيث يتذوق الأصوات اللغوية، مذاقًا شخصيًا ثم يقوم بتحديد مخارجها، وبيان صفاتها المختلفة.

ولقد جاءت الدراسات الصوتية القديمة، وفقًا لأسس هذا العلم وقواعده، فقد اعتمد العلماء القدامى على ملاحظتهم الذاتية وتذوقهم الأصوات، مذاقًا شخصيا، فلم تكن تتاح لديهم فى تلك الفترات الزمنية المتقدمة، أجهزة علمية أو وسائل تقنية.

ومع مرور الزمن، وتقدم الحضارة الإنسانية، وظهور المخترعات العلمية الحديثة، استعان العلماء فى هذا العلم، بهذه المخترعات والتقنيات فى وصف الأصوات وتحليلها(٢).

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٥.

(٢) حيث أفاد العلماء بمعطيات علم آخر، يسمى علم الأصوات التجريبى (أو المعملى) فى الوصول إلى النتائج الدقيقة والصحيحة، من حيث المخارج والصفات.

وقد أولينا هذا العلم اهتمامًا واضحًا، إذ نقدم الأصوات العربية، بالبحث والتحليل، وفقًا لأسسه وقوانينه، كما نقدم وصفًا وتحليلاً للأصوات العربية، سواء عند العلماء العرب القدامى أم عند العلماء اللغويين المحدثين، على أساسين اثنين هما:

الأساس الفوناتيكى Phonetics

وهو الذى يهتم بدراسة الأصوات اللغوية، دراسة مادية محضة بقطع النظر عن وظائفها أو قيمها اللغوية، فى داخل السياق اللغوى.

الأساس الفونولوجى Phonology

وهو الذى يهتم بدراسة الأصوات ووظائفها فى اللغة المعينة ويطلق عليه علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات التشكيلى أو التنظيمى.

obeikandl.com

ثانيا: علم الأصوات الاكوستيكى (الفيزيائى)

ويعد هذا العلم، من علوم الأصوات الحديثة، حيث يدين فى وجوده، إلى تقدم العلوم الطبيعية والفيزياء، فقد استعان علماء هذا الفرع، بقوانين العلوم الطبيعية والفيزياء، أفادوا من ذلك فى دراسة الأصوات اللغوية، ولعل من أبرز موضوعات علم الأصوات الاكوستيكى، هى دراسة الذبذبات الصوتية وتجليلها من حيث القوة والضعف، كذا تحليل الموجات الصوتية، من حيث الاتساع والعلو وأيضًا دراسة تردد الصوت ودرجته، وترشيح الأصوات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالعلوم الطبيعية.

ويبدو من الواضح لنا أن وظيفة هذا العلم «مقصورة على المرحلة الواقعة بين فم المتكلم، وأذن السامع، بوصفها الميدان الذى ينتظم مادة الدراسة فيه»(١).

ويرى والمبرج M. Malmberg أن هذا العلم، يدرس إلى جانب الأمور المتعلقة بالتركيب الطبيعى للأصوات، كدراسة الذبذبات والموجات الصوتية، يدرس ـ أيضًا ـ الجوانب الخاصة بميكانيكية الجهاز السمعى، وطريقة تأثره بالأصوات، فهو يجعل لعلم الأصوات الذى يهتم بدراسة أصوات اللغة، جانبين اثنين:

الأول: الجانب الفيزيقى: "Aspect Acoustique"

ويقول عنه، إنه الجانب الذى «يدرس البيئة الفيزيقية للأصوات المستعملة، كما يدرس كيف تقاوم الأذن هذه الأصوات»(٢).

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٧.

(٢) علم الأصوات لمالمبرج، مترجم ٦, ٧.

فعلم الأصوات الـفيزيقى عنده، يشتـمل على الأمور الفيزيائيـة الخاصة بالصوت، وتأثيرات هذه الأمـور على الجهاز السمـعى لدى الإنسان، أى بما يحدث من تأثيرات على أعصاب الأذن وأجزائها.

والحق أن علماء هذا العلم من الدراسـات الصوتية قد قـدموا وما يزالون يقـدمون للدرس الصـوتى العديد مـن الإنجازات العلمـية الصـوتية، حـيث استطاعوا أن يصلوا إلى علاج لأنواع من العيوب عند ذوى العاهات من الصم وعيوب النطق.

ويرى والمـبـرج M. Malmberg أيضًا أن هذا العلم، يقـدم التفسـير الأوفى للتطور الصـوتى، ولكل من الصوامت والحركـات على السواء مـثال ذلك فى الفرنسية، فالصوامت التى يطلق عليها "Dark Consonants" وهى عنده الأصوات الشفـوية، وأصوات أقصى الحنك، هذه الصـوامت، تحتفظ بكيانهـا بالنسبة للحـركات المجـاورة لها، إذا كانت هذه الحـركات من نوع الحركات الأمامية، التى يطلق عليها "Light Vowels"(١).

ولعل من الإنجـازات الطموحة، الـتى يقوم بتحـقيـقهـا علم الأصوات الفيزيائى، هى تحويل الكلام المنطوق إلى كـلام مكتوب بطريقة آلية وكذلك العكس، أى تحـويل الكتـابة إلى كـلام منطوق وكـذلك، ترجـمـة الكلام المنطوق، ترجمة فورية، مكتوبة أو مسموعة.

ويعد علم الأصوات الـفيزيائى، من أدق العلوم الصوتيـة الثلاثة، حيث يعتمد فى أبحـاثه ودراساته على الوسائل التكنولوجية والتقـنية الحديثة، وهو العلم القادر على الوصول إلى الوصف الدقيق للصوت اللغوى.

(1) M. malmberg, New Trends in Linguistics, P. 121.

ثالثا: علم الأصوات السمعى

ويعد هذا العلم، هو أحدث العلوم الصوتية الثلاثة، نظرًا لاعتماده الدراسة الفسيولوجية، لأجزاء الأذن من جانب، ولصعوبة الوصول إلى نتائج خاصة بالعمليات النفسية لدى السامع من جانب آخر.

ويقسم العلماء هذا العلم إلى جانبين اثنين هما[١]:

١- الجانب الفسيولوجى Physiological

ويهتم هذا الجانب، ببحث الذبذبات الصوتية التى تستقبلها الأذن، وميكانيكية الجهاز السمعى ووظائفه، عند استقبال هذه الذبذبات، وهى أبحاث تقع فى نطاق وظائف الأعضاء السمعى.

٢- الجانب النفسى Psychological

ويهتم هذا الجانب، بدراسة تأثير الذبذبات الصوتية على الجهاز السمعى وكيفية إدراك السامع للأصوات.

وكما أسلفنا، فإن هذا العلم، تواجهه صعوبات كثيرة، وبخاصة عند اللغويين حيث يتطلب منهم تخصصًا دقيقًا فى علوم أخرى، كالعلوم الطبية والتشريح والعلوم النفسية لكى يتوصلوا إلى النتائج العلمية الدقيقة، وقلما نجد دراسة متكاملة متخصصة فى هذا العلم.

ويشير روبنز Robins إلى مجموعة من الصعوبات التى تواجه الباحث اللغوى فى هذا العلم، على النحو الآتى[٢]:

١- انتشار الموجات الصوتية على طبلة الأذن، ووقع هذه الموجات على

(١) انظر علم اللغة العام، الأصوات ١٢ - ١٣.

(2) See, Robins, General Linguistics, An Instroduction Survey. P. 85.

أعضاء السمع، شيء لا يمكن إدراكه إلا بواسطة أجهزة خاصة، وفى حالة الاستفادة بهذه الأجهزة ـ فيما لو أتيحت للغوى ـ سوف نجد أنفسنا ـ فى النهاية غير قادرين على إدراك العملية السمعية، باستثناء عملية سماع الأصوات بوصفها ضوضاء Noises لا أكثر ولا أقل.

٢- عملية السماع لا يمكن التحكم فيها، فليس الإنسان بقادر على وقف العملية واستئنافها حين يشاء، على عكس عملية النطق التى يستطيع المتكلم أن يتحكم فيها بالقطع والاستئناف متى شاء.

٣- ما يجرى فى الجهاز السمعى، وكثير من أعضائه، أشياء بعيدة المنال بالنسبة للعين المجردة، كذلك الحال بالنسبة للملاحظة الناتجة عن استعمال ذلك النوع من الأجهزة والآلات التى يحتمل أن تتاح للباحث اللغوى العام.

أما فندريس Vandryes فإنه يرى أن علم الأصوات السمعى ليست له أى فائدة فى مجال دراسة اللغة، وهو يرى ضرورة الاكتفاء، بمعطيات علم الأصوات النطقى، وأن دراسة مراكز الأعصاب السمعية، بل والنطقية، من الأمور التى لا تدخل فى نطاق عمل علم الأصوات(١).

وفيما يلى نتناول هذه العلوم الثلاثة، على نحو تفصيلى بهدف إلقاء الضوء على دورها، وكذا أدوات بحثها وقوانينها، وما يقدمه كل علم فى مجاله.

ونبدأ بعلم الأصوات الأكوستيكى، ثم نتبعه بعلم الأصوات السمعى، ونختتم بعلم الأصوات النطقى، حيث يحظى بتفصيلات وتوضيحات أكثر من زميليه.

(1) See, Vandryes, Language, A. Linguistics Introuction to History. P. 19.

أولا: علم الأصوات الاكوستيكى (الفيزيائى)

يشتمل الصوت على موجات، تنتشر فى الهواء، بسرعة ٣٤٠ متراً فى الثانية، وأما فى الأوساط الأخرى (كالسوائل والغاز والأجسام الصلبة) فإن سرعته وقدرته، تنبعان من درجة مرونة تلك الأوساط وتنشأ تلك الموجات، عن طريق الذبذبات الصوتية[١].

فيزيائية الصوت

ذكرنا أن ظاهرة الصوت، لا بد أن يتوفر لها عناصر ثلاثة حتى يمكن حدوثها، والذى يهمنا فى هذا المقام، هو العنصر الثانى وهو الخاص بدراسة فيزيائية الصوت، وما يتعلق به من ذبذبات صوتية وغيرها.

وتأتى حركة الصوت أو ذبذبته، على صورتين هما:

١- حركة دورية Periodic، وغير دورية Nonperiodic.

٢- حركة ببسيطة Simple، وحركة مركبة Complex.

وكمثال للذبذبات البسيطة المنتظمة، حركة البندول فى الشكل الآتى[٢]:

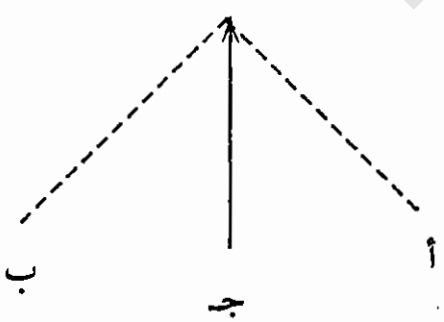

(١) انظر: علم الأصوات ١١.

(٢) علم الأصوات ١١- ١٢.

ولتوضيح تلك الحركة نرمز إليها بالرسم الآتى:

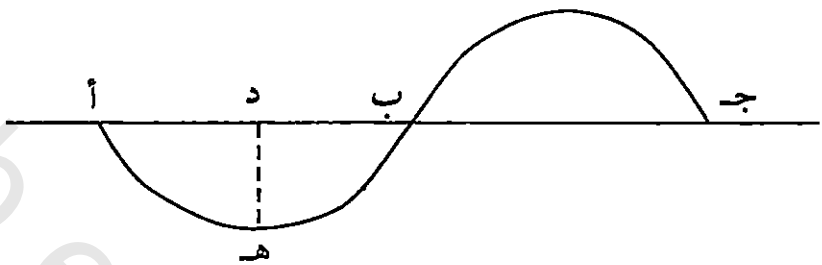

فحركة الجسم المتذبذب من أ إلى جـ، هى فترة تذبذب أو تذبذب مزدوج، (وتسمى أيضا دورة Cycle) والمسافة د ـ هـ (وهى المسافة بين نقطة الراحة والنقطة القصوى التى يبلغها الجسم المتذبذب) هى سعة الذبذبة، والخط وهو محور الزمن.

الذبذبة الصوتية:

وهى عبارة عن حركة الجسم فى اتجاه ما حتى يبلغ نقطة ما، ثم رجوعه فى اتجاه عكسى بحيث يجاوز النقطة التى كان فيها عند سكونه إلى نقطة أخرى ولا يلبث أن يرتد منها حتى يبلغ نقطة البداية.

وهذه الحركة عبارة عن ذرات الجسم الذى يحدث الصوت، وحركات ذرات الهواء الذى ينتقل الصوت خلاله، وأخيراً ذرات الجسم الذى يستقبل الصوت ويمكن تصوير الذبذبة الصوتية من خلال الرسم الآتى:

رسم توضيحى للذبذبة الواحدة

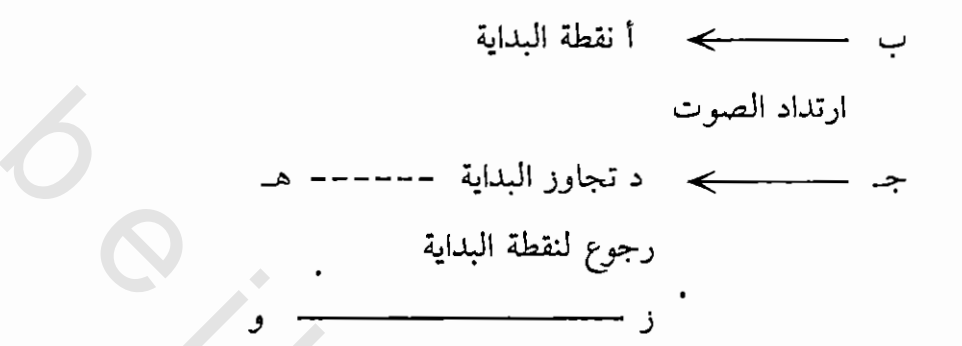

يبدأ الصوت بنقطة البداية «أ» ثم يصل إلى النقطة «ب» ثم يرتد الصوت من النقطة «جـ» متجاوزاً النقطة «د» التى تعد نقطة البداية (أ على سبيل الاعتبار) ويصل إلى النقطة «و» ثم يرتد مرة ثانية عائداً إلى النقطة «ز» (أ على سبيل الاعتبار ـ أيضاً).

الموجة الصوتية:

وهى عبارة عن مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة، التى تكون بدورها مجموعة متتالية من الموجات، ومجموع تلك الموجات يطلق عليها قطار الموجات.

رسم تخطيطى لقطار الموجات

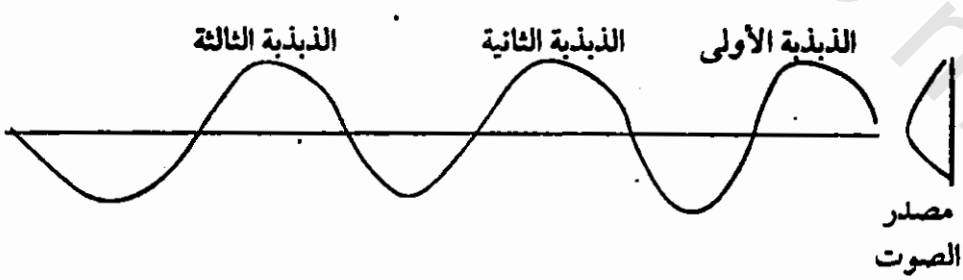

يتكون الرسم التخطيطى السابق من قطار موجات صوتية مكونة بدورها من ثلاث ذبذبات متتالية.

اتساع الموجات وعلوها

اتساع الموجة(١)

وهى عبارة عن المسافة التى يمكن أن تصل إليها الذبذبة بين نقطة بدايتها ونقطة نهايتها ويتوقف مدى اتساع الموجة بصفة رئيسية على مقدار القوة التى حملت مصدر الصوت على التذبذب، فيزيد اتساعها كلما زادت ويقل كلما قلت، ويظهر أثر اتساع الموجة فى أجهزة الاستقبال وفى الأذن الإنسانية.

علو الصوت

إذا زاد اتساع الموجة التى يحملها الصوت إلى الأذن يوصف الصوت حينئذ بزيادة علوه، أما إذا قل اتساع الموجه التى يحملها الصوت، فإنه يوصف بقلة علو الموجة.

أى أن الصوت المنطوق، إذا كان قويا، فإنه يسبب اتساعًا زائدًا فى موجته، وبالتالى علوا فى درجته، وإذا كان الصوت ضعيفًا، فإن اتساع ذبذباته يقل، ويقل علوه بالتالى.

الاتساع Ambitude

الاتساع إذن أمر طبيعى، يتعلق بأمر الذبذبة الصوتية ومقدار قوتها أو ضعفها.

العلو Loudness

والعلو إذن أمر سيكلوجى وجدانى، يتعلق بتأثير حالة قوة الذبذبة على أذن السامع.

(١) انظر الرسم السابق ص ١٧ حيث يوضح سعة الذبذبة وهى المسافة د ـ هـ.

تردد الصوت ودرجته

تردد الصوت Frequency

تردد الصوت، وهو عبارة عن عدد الذبذبات التى ينتجها مصدر الصوت فى الثانية، وهذا العدد من الذبذبات يعد من الأمور الطبيعية المتعلقة بقوة الذبذبة وضعفها.

درجة الصوت Pitch

درجة الصوت، وهو عبارة عن استجابة الأذن للتردد، وإحساسها بالصوت، وهو من الأمور السيكولوجية النفسية، المتعلقة برد فعل قوة الذبذبة وضعفها على نفس السامع.

الموجة البسيطة والموجة المركبة

الموجة البسيطة

وهى التى تولد عن مصدر منتظم الذبذبة.

رسم تخطيطى للموجة البسيطة

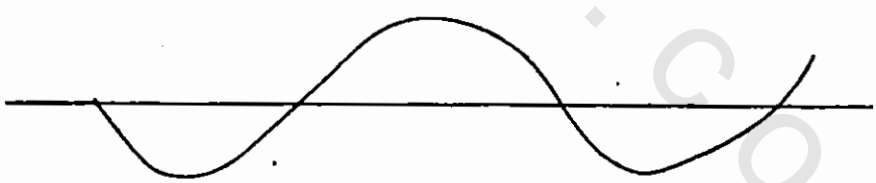

الموجة المركبة:

وهى الموجة التى تولد عن مصدر ذى موجات ذات ترددات مختلفة وضع بعضها فوق بعض لتنتج أشكالاً نموذجية، سواء أكانت أقل تركيبًا أم أكثر تركيبًا.

obeikandl.com

رسم توضيحى للموجة المركبة تركيبًا أقل

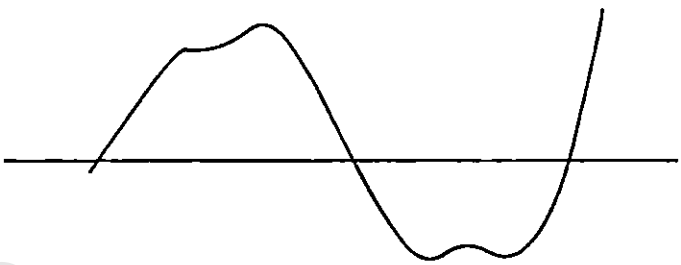

رسم توضيحى للموجة المركبة الأكثر تركيبًا

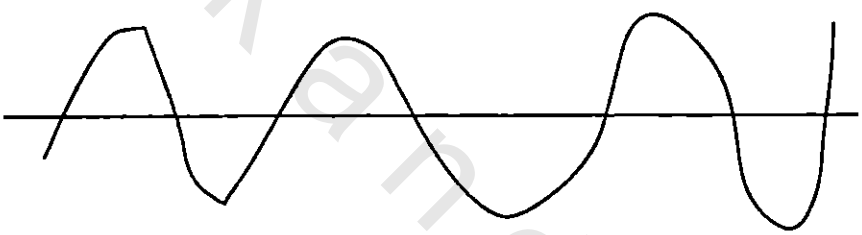

علو الصوت ودرجته ونوعه

علو الصوت:

وهو الأثر السمعى الناتج عن اتساع ذبذباته زيادة ونقصًا.

درجة الصوت:

وهو الأثر السمعى الناتج عن عدد ذبذبات الصوت فى الثانية، زيادة ونقصًا.

نوع الصوت:

وهو الأثر السمعى الناتج عن عدد الموجات البسيطة التى تكون الموجة المركبة التى تحمل الصوت للأذن وتردد كل منها واتساعها.

obeikandl.com

الرنين Resonance

وهو عبارة عن جعل جسم ما يتحرك عن طريق ذبذبات جسم آخر، والجسم الذى يتحرك (المتأثر) يقال إنه يرن Resonate تبعًا للجسم الآخر، أما الوحدة المتذبذبة (مثل الوتر أو الشوكة الرنانة أو نحوهما) التى تقوم بتفخيم صوت موجود بالفعل تسمى الجسم الرنان أو المرنان أو مفخم الصوت.

الترشيح Filter

وهو عبارة عن عملية تقوية أو إضعاف بعض الترددات لصوت مركب وعملية الترشيح قائمة أساسًا على الرنين، لأنها تقوم بنشر الموجات فى الجسم الرنان أو تقليلها فى ذات الجسم فيكسبها قوة أو ضعفًا فى ذات الجسم.

وأخيراً، فلقد خطا علم الأصوات الفيزيائى خطوات هائلة، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر علم الأصوات التجريبى (المعملى) وظهرت الأجهزة العلمية الدقيقة، وكما أسلفنا، فقد استعان علم الأصوات الفيزيائى، بالآلات والأجهزة العلمية، التى من شأنها أن تقدم لعالم الأصوات الفيزيائى النتائج الدقيقة والسليمة، وكان من حصاد هذه الاستعانة أن توافرت لعلم الأصوات الفيزيائى مجموعة من الآلات الخاصة بهذا العلم، يطلق عليها «الآلات الاكوستيكية» "Acaustical Instrumants" التى شهدت تقدمًا هائلاً، وبخاصة بعد استخدام الأجهزة الالكترونية، بصورة واضحة، ومن هذه الآلات، جهاز الميكرفون وراسم الذبذبات، ومرشحات الصوت، وأجهزة القياس الطيفى.

وفيما يلى نقدم عرضًا موجزًا عن أهم هذه الأجهزة: .

١- راسم الذبذبات (الأوسيلوجراف) Oseillograph[١]

وهو جهاز شبيه بجهاز التليفزيون، غير أنه يتلقى الإشارات من ميكرفون أمام فم المتكلم، ويحول الجهاز الموجات الصوتية، إلى موجات كهربائية، تظهر على شاشته ويمكن بواسطة هذا الجهاز تحليل الموجات الصوتية المركبة إلى الموجات البسيطة، التى تتكون منها كما يمكن بواسطة استعمال آلة تصوير متحركة، تصوير الذبذبات الناتجة عن عبارة أو أكثر.

٢- جهاز رسم الأطياف (الأسبركتروجراف) Spectrograph[٢]

يتميز هذا الجهاز بإعطائه تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامى فى شكل خطوط متعرجة ومختلفة التركيز، تبعًا لقوة الذبذبات الصوتية الموجهة ويحتاج استعمال هذا الجهاز لخبرة وتدريب حتى يستطيع الباحث تحديد نوع الصوت وقوته والنغمة التى نطقت به.

٣- جهاز الكلام المرئى Visible Speech[٣].

وهو يعطى تسجيلات بصرية مؤقتة لتتابع أصوات الحدث الكلامى وكان اختراعه أول الأمر، بقصد مساعدة الصم، عن طريق تقديم كلام مرئى.

---

(١) أصوات اللغة ٣٤.

(٢) علم الأصوات ٣٥.

(٣) دراسة الصوت اللغوى ٣٥.

ثانيًا: علم الأصوات السمعى

ذكرنا فيما سبق، أن علم الأصوات السمعى، هو أحدث العلوم الصوتية، وعلى الرغم من أن بعض العلماء، يشككون فى قيمة هذا العلم وجدواه[١] كما ذكرنا أن هذا العلم يتألف من جانبين اثنين:

الأول: وهو جانب عضوى (فسيولوجى):

ويقوم بالنظر فى الذبذبات الصوتية، إلتى تستقبلها أذن السامع وفى ميكانيكية الجهاز السمعى ووظائفه، عند استقبال هذه الذبذبات، وهى مرحلة تقع فى مجال علم وظائف أعضاء السمع. "Physiology of hearing".

الثانى: وهو جانب نفسى:

ويركز جهوده على البحث فى تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع (الداخلية منها بوجه خاص) وفى عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك، وهذه مرحلة نفسية خالصة، وميدانها الحقيقى، هو علم النفس.

والحقيقة أن علم الأصوات السمعى، قد شهد تقدمًا ملموسًا، مع التطور الهائل للحركة العلمية المعاصرة وظهور الآلات والوسائل التكنولوجية الحديثة، غير أن هذا التقدم، لم تظهر نتائجه الملموسة فى مجال عمل هذا العلم، نظراً لصعوبة التعامل مع الآلات التكنولوجية، والتى تخرج حقيقة عن مجال عمل اللغوى ودراساته.

---

(١) انظر رأى روبنز Robins ص ١٣ - ١٤.

وقبل أن نشرع فى تقسيم الأذن إلى أجزائها، نذكر أن للأذن وظيفتين[١].

إحداها حيوية، وهى تتمثل فى تحقيق التوازن فى مسيرة الإنسان، وبدون هذا التوازن، لا يمكن أن يعيش.

ثانيتهما فسيولوجية، وهى تتمثل فى السمع واستيعاب الأصوات المختلفة وحملها إلى المخ، حيث توجد أجهزة التفسير، وإصدار الأوامر والأحكام.

وتعد الأذن من الأعضاء الهامة والحساسة عند الإنسان فهى «جهاز معقد ورقيق» ولذلك حماه الله حين جعله بعيداً عن المؤثرات المباشرة داخل جمجمة الرأس»[٢].

وتنقسم الأذن إلى ثلاثة أجزاء وهى:

١- الأذن الخارجية:

وهى تتكون من جزئين اثنين هما:

(أ) صوان الأذن

وهو عبارة عن الغضروف الذى يلتصق بالوجه من كلا جانبيه، وهو مغطى بطبقة من الجلد الرقيق، وفى أسفله (حلمة الأذن) ووظيفة هذا الصوان، هى المساعدة فى تجميع الموجه الصوتية[٣].

---

(١) انظر: علم الأصوات ٣٧، ٣٨.

(٢) علم الأصوات ٣٨.

(٣) علم الأصوات ٣٨.

(ب) القناة السمعية الخارجية:

وهى عبارة عن قناة متعرجة، طولها أربعة. وعشرون ملليمترًا، تفرز الغدة الموجودة فى جدارها مادة شمعية، تحمى باطن القناة، تحمل هذه القناة الموجة الصوتية، وتقوم بتوصيلها إلى طبلة الأذن الوسطى، وتعمل هذه القناة بما لها من ميزة التعرج، على ترشيح للموجات الصوتية حيث لا تستوعب الأذن سوى نسبة ضئيلة للغاية من الموجات الصوتية، وقد أثبتت البحوث الفيزيقية، أن الكمية المستوعبة من الصوت لا تزيد على واحد فى المائة من الموجة المسموعة، وباقى الصوت يرتد إلى الخارج لينتشر فى الجو[١].

الأذن الوسطى:

وهى عبارة عن فراغ يعرف باسم طبلة الأذن، يغطيها غشاء، رقيق من كلا جانبيه، يفصله أحدهما عن الأذن الخارجية، ويفصله الآخر عن الأذن الداخلية، وبهذا الفراغ عظيمات ثلاثة، تعرف باسم المطرقة والسندان والركاب، وقاعدة المطرقة، مثبتة فى غشاء طبلة الأذن، أما رأسها، فإنها تلتقى برأس السندان وللسندان ساقان أحدهما مثبت فى الجانب الأيسر العلوى من فراغ الأذن الوسطى وهو الساق العلوى أما الساق السفلى، فتلتقى بالركاب، أما الركاب فتشبه ركاب الفرس، ورأسها متصل بالساق السفلى للسندان، وأما قاعدتها، فترتكز على الغشاء الذى يفصل الأذن الوسطى بالداخلية وهذا الغشاء يتأثر بأى اضطراب يحدث فى الأذن الخارجية[٢].

---

(١) علم الأصوات ٣٨ - ٣٩.

(٢) انظر: أصوات اللغة ٨٨.

وفى أسفل الأذن الوسطى قناة تسمى «استاخيو» تصل الأذن الوسطى بالبلعوم الأنفى، وبفضل هذه القناة يصل الهواء الخارجى عن طريق البلعوم الأنفى إلى فراغ الأذن الداخلية، فيصبح الضغط داخلها مساويًا للضغط الجوى، وهو نفس الضغط الواقع على الأذن الخارجية المتصلة بالهواء الخارجى اتصالاً مباشرًا، وتكون النتيجة تساوى الضغط الواقع على كل من جانبى غشاء الطبلة وبالتالى تأثر هذا الغشاء بأى اضطراب يحدث فى الأذن الخارجية(١).

٣- الأذن الداخلية

وهى عبارة عن تجويف عظمى مملوء بسائل، وهو مقسم إلى علوى وسفلى يفصل بينهما غشاء رقيق، والجزء السفلى: وهو المهم فى عملية السماع، يحتوى على جسم حلزونى قمعى الشكل يسمى القوقعة، والقوقعة عبارة عن فراغ من الداخل ينقسم إلى ثلاث قنوات وهى:

(أ) القناة القوقعية.

(ب) قناة الطبلة.

(جـ) قناة الدهليز(٢).

وبعد هذا العرض التشريحى لجهاز السمع عند الإنسان، وهى الأذن بأجزائها الثلاثة السابقة، يتبادر إلى الذهن سؤال هام:

---

(١) انظر: أصوات اللغة ٨٨.

(٢) انظر: أصوات اللغة ٨٨ - ٨٩.

كيف تحدث عملية السماع؟

تتم عملية السماع عن طريق الذبذبات الصوتية فى الهواء، التى تنطلق بدورها إلى طبلة الأذن عن طريق الأذن الخارجية وهذه الذبذبات تحدث اضطرابًا فى الطبلة ثم تنتقل الحركة إلى السندان ومنه إلى الركاب وتنتقل الذبذبات الصوتية بدورها من الركاب إلى الغشاء الداخلى، الذى يحدث ضغطًا على السائل الذى يملأ الأذن الوسطى، ثم ينتقل هذا الاضطراب من سائل القناة الوسطى إلى سائل الدهليز، ثم يتحرك الغشاء الذى يتصل بين الدهليز والقناة الوسطى ثم تنتقل اضطرابات الذبذبات إلى أعضاء السمع وتنتقل بعد ذلك إلى المخ، ليقوم المخ بترجمة هذه الذبذبات إلى صفاتها الصوتية السليمة تلك الترجمة للذبذبات الصوتية ما تزال بعيدة عن مجال التفسير العلمى لها.

لم تستطع المعامل والمختبرات أن تصل ـ حتى الآن ـ إلى تفسير علمى لها، فهذه الترجمة للذبذبة الصوتية داخل الأذن، تظل واحدة من جوانب الإعجاز الربانى العديدة فى خلق الإنسان! لقد أثبتت التجارب المعملية أن الاضطرابات الناتجة عن الذبذبات ذات الدرجة المنخفضة (٣٠ ذبذبة فى الثانية مثلا) تؤثر على الشعيرات العصبية (الأعصاب الموصلة إلى منطقة الإحساس السمعى فى المخ) التى توجد بالقرب من قمة القوقعة.

كما أثبتت التجارب المعملية أن الذبذبات التى تكون درجتها متوسطة (١٠٠٠ ذبذبة فى الثانية مثلاً) تؤثر على الشعيرات العصبية الموجودة فى وسط القناة القوقعية.

أما الذبذبات العاليـة (١٠,٠٠٠ ذبذبة فى الثانية مثـلاً) فإنها تؤثر على الشعيرات العصبية فى أسفل القناة القوقعية.

رسم تخطيطى للأذن وأجزائها السمعية.

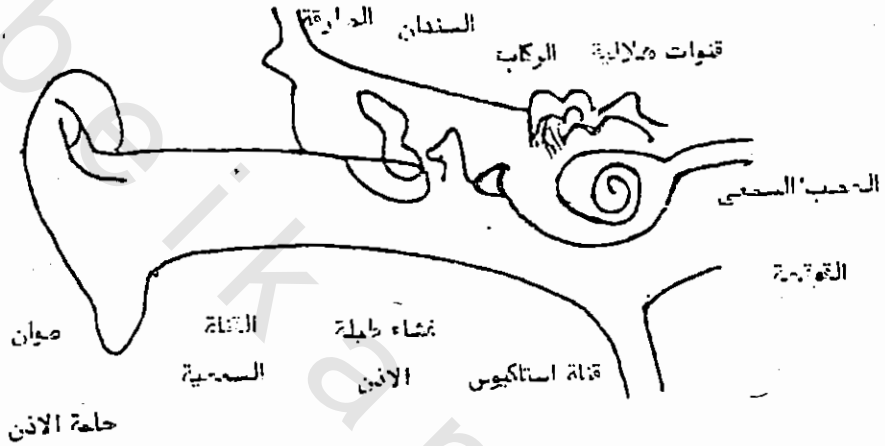

ثالثا: علم الأصوات النطقى

يعد علم الأصوات النطقى Articulatory Phonetics أو ما يطلق عليه ـ أيضًا ـ علم الأصوات الفسيولوجى Physiol ogical Phonetics من أقدم العلوم الصوتية نشأة.

يهتم هذا العلم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج.أصوات اللغة، أو هو العلم الذى يهتم بإنتاج الأصوات اللغوية وطريقة هذا الإنتاج.

الجهاز النطقى:

ينبغى أن ندرك أن الإنسان لا يملك جهازًا مستقلا بالنطق، لعملية النطق خاصة، لأن ما نسمية جهاز النطق ـ تجاوزًا ـ إنما هو جهاز تشترك أعضاؤه فى وظيفة الكلام حقًا، بل لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا، أن عملية الكلام، هى أظهر وظائف هذا الجهاز.

بيد أن هذا الجهاز يقوم بأدوار أخرى مهمة، تتصل بحياة الإنسان، من تلك الأدوار الهامة، وظيفة تلقى الطعام، الذى تقوم به كل من الشفتين واللسان والأسنان، فالشفتان تحجزان الطعام من الخروج فى أثناء المضغ، واللسان يقوم بتقليب الطعام فى حجرة الفم، إلى جانب الوظيفة الهامة للسان ـ أيضًا ـ وهى وظيفة تذوق الطعام وتمييزه، أما الأسنان والأضراس فإنهما يقومان بتقطيع الطعام وطحنه، أما الأنف والتجويف الأنفى، فإنهما يقومان بتكييف الهواء قبل توجهه إلى الرئتين، ويعد الحلق ممرا للطعام والهواء على السواء.

وتقوم الأوتار الصوتية بوظيفة الصمام للرئتين كما تقوم ـ أيضًا ـ بحفظ

الهواء فيهما عند الحاجة إليه، وتقوم القصبة الهوائية بوظيفة الممر للهواء سواء فى عملية الشهيق أو فى عملية الزفير.

أما الرئتان، فإنهما تقومان بوظيفة تنقية الهواء وبإعطاء الجسم كمية الأوكسجين الذى يحتاج إليه، بعد تنقيته من ثانى أكسيد الكربون مع توزيعه إلى سائر أعضاء الجسم عن طريق القلب.

ولعلنا نلاحظ أن وظيفة النطق فى الواقع، ليست أكثر من وظيفة ثانوية، تؤديها هذه الأعضاء، إلى جانب قيامها بوظائفها الرئيسية، التى خلقت من أجلها، ولهذا فإن عجز الإنسان عن الكلام لإصابته بالبكم، لا يعنى على الإطلاق عجز أعضائه هذه عن القيام بوظائفها الأخرى، التى تحفظ على صاحبها الحياة، فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التى يقوم بها لسان غير الأخرس، فيما عدا الكلام بطبيعة الحال(١).

ويتكون الجهاز النطقى ـ تجاوزاً ـ من أجزاء ثابتة وأخرى متحركة:

الأجزاء الثابتة:

وتشمل الأجزاء الثابتة من الجهاز النطقى:

١- الأسنان العليا.

٢- اللثة.

٣- الحنك الصلب (الغار).

٤- الجدار الخلفى للحلق.

---

(١) انظر أصوات اللغة ٤٠.

الأجزاء المتحركة

وتضم هذه الأجزاء من الجهاز النطقى:

١- الشفتان.

٢- اللسان.

٣- الحنك الرخو (الطبق).

٤- اللهاة.

٥- الأسنان السفلى.

٦- لسان المزمار.

٧- الحنجرة.

٨- فتحة البلعوم.

obeikandl.com

جهاز النطق

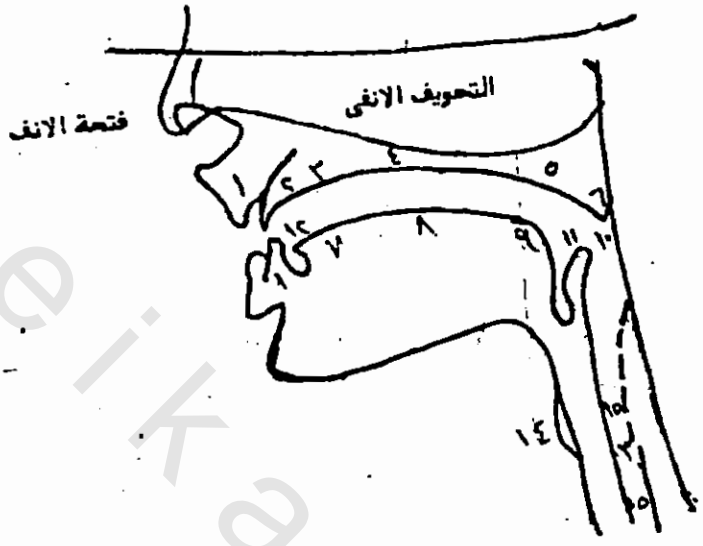

١- الشفاه	Lips
٢- الأسنان	Teeth
٣- أصول الأسنان (مقدم الحنك).	Teeth ridge
٤- الغار (الحنك الصلب).	Hard palate
٥- الطبق (الحنك الرخو):	Soft palate
٦- اللهاة	Uvula
٧- طرف اللسان	Blade of tongue
٨- مقدم اللسان	Front of tongue
٩- مؤخرة اللسان	Back of tongue
١٠- الحلق	pharynx

obeikandl.com

١١- لسان المزمار	Epiglotis
١٢- موقع الأوتاز الصوتية	Position of nocal cards
١٣- ذلق اللسان (نهايته)	Lip of tongue
١٤- منطقة الحنجرة	Larynx
١٥- القصبة الهوائية	Windpipe

obeikandl.com

وظيفة الجهاز النطقى فى إحداث الصوت

نتناول هذه الوظيفة التى يؤديها جهاز النطق وأعضاؤه عند الإنسان، ودور كل عضو من هذه الأعضاء فى عملية نطق الأصوات كما نتحدث عن الكيفية التى تكون عليها هذه الأعضاء سواء بمفردها أو مع الأعضاء الأخرى. ونعرض هذه الأعضاء من الخارج إلى الداخل على النحو التالى:

١- الشفتان:

تتحرك الشفتان بحرية تامة فى كل اتجاه، وتكون الشفتان فى أوضاع مختلفة عند نطق الأصوات، وهذه الأوضاع هى:

(أ) وضع الاستدارة: ويكون هذا الوضع عند نطق حركة الضمة مثلاً.

(ب) وضع الانفراج: ويكون هذا الوضع عند نطق حركة الفتحة.

(جـ) وضع الانطباق: حيث تنطبق الشفتان انطباقًا لا يسمح بخروج الهواء ثم تنفرجان فتدفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريا، وغيرها من أوضاع الشفتين وحركاتهما.

وتختلف عادة البشر فى استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها، فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركات فى الشفتين ومنهم من يقتصد فى ذلك.

٢- الأسنان:

لا تستعمل الأسنان فى النطق وحدها، بل إنها لا تحدث أصواتًا إلا بمساعدة الأعضاء الأخرى المتحركة، كاللسان والشفة السفلى.

٣- منطقة سقف الحنك:

وتشتمل على أربعة أجزاء وهى:

(أ) **اللثة:** أصول الأسنان العليا: وهى لا تنتج الأصوات إلا بمشاركة اللسان.

(ب) **الحنك الصلب (الغار):** وهو لا ينتج الأصوات ـ أيضًا ـ إلا بمشاركة اللسان.

(جـ) **الحنك الرخو (الطبق):** ولا يمكن ـ كذلك ـ إنتاج الأصوات إلا بمشاركة اللسان.

(د) **مؤخرة الحنك (اللهاة):** وهو عضو متحرك يستطيع انتاج الأصوات بمفرده.

٤- اللسان:

وهو العضو الأساسى فى عملية النطق، وهو عبارة عن عضو عضلى، يتمكن من الحركة فى كل الاتجاهات، كما يمكنه الامتداد والانكماش، هذه الحرية الحركية جعلته عضواً فى نطق العديد من الأصوات، نظراً لاشتراكه مع بقية الأعضاء فى عملية النطق(١).

ولا غرابة بعد هذا إذا كان اسمه يرادف كلمة اللغة عند كثير من الشعوب، وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

٥- الحلق:

وهو الجزء الذى بين الحنجرة والفم، وقد يسمى هذا الجزء بالفراغ

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٢٥.

الحلقى أو التجويف الحلقى، وهو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفى للحلق.

٦- الحنجرة:

وتقع فى أسفل الفراغ الحلقى، وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وهى أشبه بحجرة ذات اتساع معين، ومكونة من عدد من الغضاريف، أحدها وهو الجزء العلوى منها «ناقص الاستدارة» من الخلف وعريض بارز من الأمام، ويعرف الجزء الأمامى منه بتفاحة «آدم» ويقع فوق الحنجرة ما يسمى بلسان المزمار، أو الغلصمة، ووظيفة هذا اللسان حماية الحنجرة وطريق التنفس كله فى أثناء عملية البلع ويبدو على كل حال أنه لا دخل «للسان المزمار» فى تكوين الأصوات بصورة مباشرة.

وتوجد فى الحنجرة الأوتار الصوتية، وهما فى الواقع وتران اثنان، وهما عبارة عن غشاءين، كل غشاء منهما، نصف دائرة حين يمتد، وعندما يمتدا فإنهما يغلقان فتحة الحنجرة ويمنعان مرور الهواء من الرئة، وهما من أعضاء النطق المتحركة، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر فى الأصوات الكلامية، وهذه الأوضاع هى:

(أ) وضعها فى حالة التنفس:

وتتم هذه الحركة عند انفراج الوترين الصوتيين انفراجا ملحوظًا يسمح بمرور الهواء خلالها دون أن يمنعه مانع أو عائق، ويحدث فى هذه الحالة ما يسمى بحالة الهمس، وتسمى الأصوات التى تنطق حينئذ (الأصوات المهموسة) Voicless Sounds.

(ب) وضعها عند إصدار نغمة موسيقية:

وتتم هذه الحالة عندما ينطبق الوتران الصوتيان، انطباقًا جزئيا، بحيث يسمح للهواء المندفع من خلالهما أن يفتحهما بسرعة وانتظام فائقين، وينتج عن ذلك ذبذبة الأوتار الصوتية، ويحدث بسببها نغمة موسيقية تختلف فيها الدرجة والشدة وتعرف هذه الحالة بالجهر، وتسمى الأصوات التى تنطق حينئذ بالأصوات المجهورة Voiced Sounds.

(جـ) وضعهما فى حالة الإغلاق التام:

ويتم فى هذه الحالة انطباق الوترين الصوتيين انطباقًا تامًا لفترة زمنية قصيرة لا يسمحان بمرور الهواء، ثم ينفرجان انفراجًا مفاجئًا يعقبه صوت يطلق عليها الوقفة الحنجرية (الهمزة).

(د) وضعهما فى حالة تضييق:

وتكون حالة التضييق بدرجة متفاوتة تسمح بالذبذبة، وهى الحالة التى تصاحب الوشوشة Whisper والمعروف أن الأصوات المجهورة فى الكلام العادى تستبدل بأصوات «مسرة» Whispered فى حالة الوشوشة، على حين تبقى الأصوات المهموسة على حالتها بدون تغيير.

شكل الحنجرة من الخلف

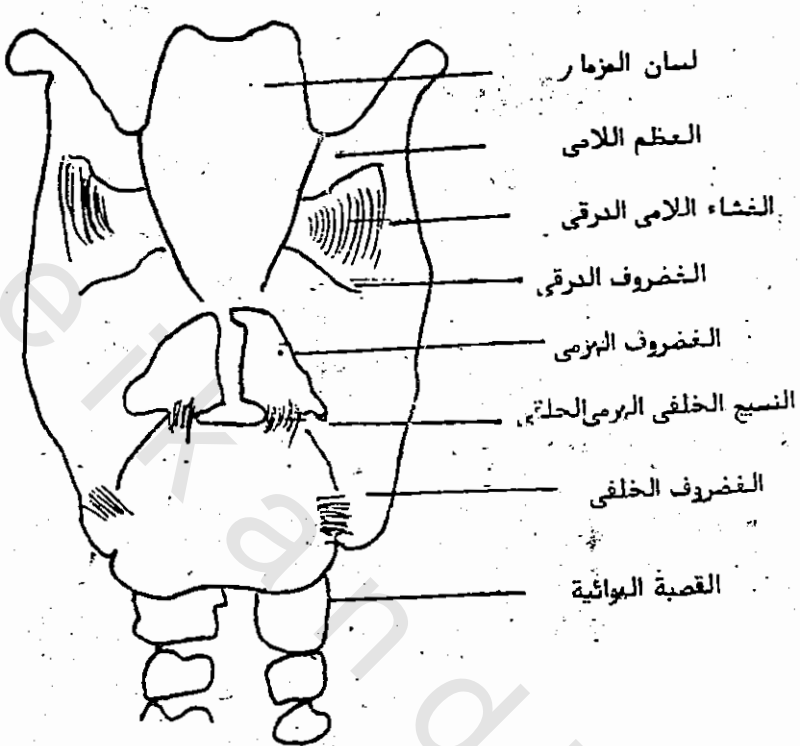

٧- التجويف الأنفى:

وهو عبارة عن تجويف يندفع من خلاله الهواء عندما ينخفض الحلق الرخو، فينفتح الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين ليمر فى طريق الأنف، ويُنطق خلال هذه العملية أصوات تسمى بالأصوات الأنفية.

٨- الرئتان:

وهاتان العضلتان، لا تقلان أهمية فى عملية النطق عن غيرهما من أعضاء النطق الأخرى، بل لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنهما أهم هذه الأعضاء على الإطلاق، فبدون الرئتين لا تتم عملية التنفس التى هى عملية إحداث الأصوات والنطق، بل هى العملية التى تقوم عليها حياة الإنسان.

كيفية حدوث الصوت الإنسانى

يجدر بنا بعد أن استعرضنا أعضاء النطق، وما يمكن أن نطلق عليه ـ تجاوزاً ـ الجهاز الصوتى، يجدر أن نعرف كيفية حدوث الصوت الإنسانى.

ينطلق الهواء الخارج من الرئتين فى عملية الزفير، وفى أثناء خروجه فإن مجراه قد يصادف سدّاً أو إغلاقًا تاما، عند أية نقطة فى الجهاز النطقى وإما أن يصادف تضييقًا لا يصل إلى حالة الإغلاق حيث يسمح للهواء بالمرور، ويحتك الهواء فى أثناء خروجه بنقطة التضييق.

فعملية الكلام تتم عادة فى حالة الزفير، ويتمّ ذلك بأن تعترض الأعضاء الصوتية ممر الهواء، وتقتضى عملية الكلام إطالة الزمن الذى تتمّ فيه عملية الزفير، بالنسبة لعملية الشهيق حتى تصبح الفترة التى يستغرقها الزفير من ثلاثة إلى عشرة أمثال الشهيق، هذا فى الكلام العادى، أما عندما يسترسل المتكلم فى حديث سريع طويل، فقد يصبح طول فترة الزفير ثلاثين مثلاً لطول فترة الشهيق، وكلنا يعرف بالمشاهدة كيف تكون النسبة بينهما عندما يحاول أحد المقرئين قراءة سورة قصيرة، أو أكثر فى نفس واحد[1].

ويمكن تشبيه الرئتين عند الزفير، فى أثناء الكلام بالبالونة التى تنتهى بمزمار ينطلق الهواء منها بحكم ضغط جسمها المطاط، فإذا ما فرض أن جعل الطفل الذى يلعب بها، يضغط على جدارها ضغوطات متوالية لخروج الهواء منها على دفعات، لا توقف بين إحداها والأخرى، لسمعنا للزمارة صوتًا شبيهًا بالصوت المتقطع بالرغم من عدم توقفه، وهذه العملية شبيهة

(١) انظر: أصوات اللغة ٤٤.

كل الشبه بعملية إنتاج المقاطع فى إنتاج الكلام، لكل مقطع دفعة هوائية، تنتج من انقباضات متوالية يقوم بها الحجاب الحاجز، فيؤثر على الهواء الخارج من الرئتين، دون أن يتوقف خروجه[١] وبهذا يمكن أن يخرج من كل جزء من أجزاء هذا الجهاز عدد لا حصر له من الأصوات بمساعدة حركة أجزائه المتحركة غير أن الشعوب البشرية، قد اختلفت فيما بينها فى استخدام إمكانيات الجهاز النطقى المتعددة، فالشعوب الهندوأوربية مثلاً، لم تستخدم كل إمكانات النطق فى إخراج الأصوات من الحلق، ولذلك تخلو بعض لغاتهم من صوتى الحاء والعين، وذلك بعكس اللغة العربية ومعظم اللغات السامية مثلاً[٢].

مخارج الأصوات

يمكننا أن نحصر المخارج الصوتية، التى استخدمتها اللغة العربية الفصحى على الوجه الآتى:

١- **الشفة:** ويطلق على الأصوات الخارجة منها «الصوت الشفوى».

٢- **الشفة مع الأسنان:** ويطلق على الصوت الخارج منها «الصوت الشفوى الأسنانى».

٣- **الأسنان:** ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «الأسنانى».

٤- **الأسنان مع اللثة:** ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «الأسنانى اللثوى».

---

(١) انظر: أصوات اللغة ٤٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٢٩.

٥- **اللثة**: ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «اللثوى».

٦- **الغـار** (الحنك الصلب) ويطلق على الصوت الخـارج منها الصوت «الغارى». أو الصوت «الحنكى الصلب».

٧- **الطبق** (الحنك الرخو): ويطلق على الصوت الخـارج منها الصوت «الطبقى». أو الصوت «الحنكى الرخو».

٨- **اللهاة**: ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «اللهوى».

٩- **الحلق**: ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «الحلقى».

١٠- **الحنجرة**: ويطلق على الصوت الخارج منها الصوت «الحنجرى».

وتلك هى المـخارج الصوتيـة العشرة الـتى تتضمنهـا الأصوات العـربية ويمكننا أن نوزع عليها الأصوات العربية على النحو التالى:

١- **من الشفة**: تنتج الأصوات الشفوية الآتية (ب م و).

٢- **من الشفة مع الأسنان**: تنتج الأصوات الشفوية الأسنانية الآتية (ف).

٣- **من الأسنان**: تنتج الأصوات الأسنانية الآتية (ذ ظ ث).

٤- **من الأسنان مع اللثـة**: تنتج الأصوات الأسنانيـة اللثوية الآتية (د ض ت ط ز س ص).

٥- **من اللثة**: تنتج الأصوات اللثوية الآتية (ل ر ن).

٦- **من الغـار** (الحنك الصلب) تنتج الأصوات الغارية (الحنكية الصلبة) الآتية: (ش ج ى).

٧- **من الطبق** (الحنك الرخو) تنتج الأصوات الطبقية (الحنكية الرخوة) الآتية: (ك غ خ).

٨- **من اللهاة**: تنتج الأصوات اللهوية الآتية (ق).

٩- **من الحلق**: تنتج الأصوات الحلقية الآتية: (ع ح).

١٠- **من الحنجرة**: تنتج الأصوات الحنجرية الآتية: (الهمزة ـ الهاء).

تلك المخارج الصوتية، هى التى اعتمدها علماء اللغة المحدثون الذين اعتمدوا هذا التقسيم على أساس من التجارب الصوتية فى المعامل والمختبرات الصوتية الحديثة[١].

بعد أن انتهينا من عرض المخارج الصوتية، ومواضع النطق العربية على هذه المخارج العشرة السالف ذكرها، ننتقل إلى الحديث عن المخارج الصوتية وكيفية تقسيمها عند العلماء العرب القدامى.

---

(١) جعل الدكتور بشر المخارج الصوتية أحد عشر مخرجًا، حيث جعل المخرجين السادس والسابع (أى الغارى والطبقى) جعلهما ثلاثة مخارج (١) أصوات لثوية حنكية (ج ش)، (٢) أصوات من وسط الحنك (ى) (٣) أصوات أقصى الحنك (الخاء والغين والكاف والواو) علم اللغة العام، الأصوات ٩٠، فى حين يجعلها د. عبد الصبور شاهين عشرة مخارج لكنه يقسم الحلق إلى مخرجين هما (١) أقصى الحلق وأدنى الحلق، ويضم مخرجى الأسنان مع اللثة، واللثة فى مخرج واحد وهو اللثة، علم الأصوات ١١٠ - ١١١ أما د. أنيس فإنه يجعلها سبعة مخارج فقط: الأصوات اللغوية ١٧ - ١٩ كما جعلها د. عبد الرحمن أيوب عشرة مخارج وهى: (الشفوية ـ الأسنانية ـ اللثوية ـ اللثوية الخلفية ـ السقفية الأمامية ـ السقفية ـ السقفية الخلفية ـ السقفية الرخوة ـ اللهوية ـ الحنجرية) أصوات اللغة ١٩٥، كما جعلها د. أحمد مختار عشرة مخارج كذلك، لكنه جعل المخرجين الأسنانى اللثوى واللثوى بمسمى اللثوى والالتوائى، دراسة الصوت اللغوى ٢٦٩ - ٢٧٤.

١- عند الخليل بن أحمد الفراهيدى

يعد الخليل بن أحمد، أول عالم لغوى، يهتم بالدراسة الصوتية العربية، كما أنه صاحب أول معجم صوتى فى العربية على الإطلاق، وقد جعل الخليل المخارج الصوتية ثمانية مخارج، وقد لوحظ أن الخليل يختلف فى توزيعه الأصوات على مخارجها عما نحن عليه الآن من توزيع، ولكنه ليس بالاختلاف الذى يقدح فى صنيعه وتقسيمه، على الرغم من الفرق الهائل فى وسائله وأدوات بحثه، عن تلك الوسائل والمعامل والمختبرات العلمية الحديثة، ولعل أبرز مظاهر الخلاف عنده هى أنه لم ينسب الواو والياء والألف والهمزة إلى مخرج صوتى معين.

تقسيم الأصوات العربية على مخارجها الثمانية عند الخليل:

١- الأصوات الحلقية:

يقول الخليل: «فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق».

٢- الأصوات اللهوية:

يقول الخليل: «والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة».

٣- الأصوات الشجرية:

يقول الخليل: «والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم أى مخرج الفم».

٤- الأصوات الأسلية:

يقول الخليل: «والصاد والسين والزاى أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان» وهو مستدق طرف اللسان.

٥- الأصوات النطعية:

يقـول الخليل: «والطاء والتاء والدال» نطعيـة، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى».

٦- الأصوات اللثوية:

يقول الخليل: «والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة».

٧- الأصوات الذلقية:

يقـول الخليل: «والراء واللام والنون ذلقية، لأن مـبدأها من ذلق اللسان» وهو تحديد طرفيه كذلق السنان.

٨- الأصوات الشفوية:

يقول الخليل: «والفاء والباء والميم شفوية» وقال مرة شفهية، لأن مبدأها من الشفة.

ثمـة مجـموعـة من الأصوات الهـوائيـة، يقول الخليل: «والياء والواو والألف والهمزة هوائية، لأنها هاوية فى الهواء، لا يتعلق بها شىء»[1].

٢- عند سيبويه

أما سيـبويه، فإنه يجعل المـخارج الصوتية، ستـة عشر مخـرجًا، حيث يقول: وحروف العربية ستة عشر مخرجًا، فللحلق منها ثلاثة:

١- فأقصاها مخرجًا، الهمزة والهاء والألف (يقصد بذلك ألف المد).

٢- ومن أوسط الحلق، مخرج العين والحاء.

٣- وأدناها مخرجًا من الفم، الغين والخاء.

---

(١) العين للخليل بن أحمد ١/ ٦٥.

ثم يستطرد سيبويه فى عرض المخارج الباقية هكذا:

٤- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج القاف.

٥- ومن أسفل موضع القاف من اللسان قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

٦- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء.

٧- ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، مخرج الضاد.

٨- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

٩- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

١٠- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلاً، لانحرافه إلى اللام، مخرج الراء.

١١- ومن بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢- ومما بين الثنايا وطرف اللسان، مخرج الصاد والزاى والسين.

١٣- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا والسفلى مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

١٥- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[١].

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

٣- عند ابن جنى

جعل ابن جنى المخارج الصوتية ستة عشر مخرجًا على النحو الآتى:

يقول ابن جنى: «اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها فى الحلق:

١- فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء.

٢- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.

٣- ومما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء.

٤- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

٥- ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

٦- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

٧- ومن أول حافه اللسان ومما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر أو من كليهما معًا.

٨- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، فما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

٩- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

١٠- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

١١- ومن بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢- ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاى والسين.

١٣- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا (السفلى والعليا) مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

١٥- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[١].

تقسيم الأصوات بحسب وضع الأوتار الصوتية

يلى هذا التقسيم، التقسيم الأول، وهو ترتيب الأصوات بحسب حالة الأوتار الصوتية، حالة النطق بالأصوات، سواء من حيث ذبذبة هذه الأوتار أم عدم ذبذبتها، وينتج عن حالة ذبذبة الأوتار الصوتية أو عدم ذبذبتها، الحالتان الصوتيتان التاليتان:

أولا: حالة الجهر:

قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض فى أثناء مرور الهواء، وفى أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء، ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الأوتار، وفى هذه الحالة يحدث ما يسمى بالجهر..

ثانيا: حالة الهمس:

قد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض فى أثناء مرور الهواء من

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٢ - ٥٣.

الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أى اعتراض فى طريقه، ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان، وفى هذه الحالة يحدث ما يسمى بالهمس.

يمكننا بعد استعراض حالتى الجهر والهمس، وكيفية حدوث هاتين الحالتين، أن نقدم مفهوم الأصوات المجهورة والمهموسة فى اللغة العربية.

الأصوات المجهورة فى العربية الفصحى:

وهى الأصوات التى تتذبذب فى أثناء النطق بها الأوتار الصوتية، نتيجة اقترابها من بعض، وهذه الأصوات فى العربية الفصحى هى (الباء والجيم والدال والذال والراء والزاى والضاد والظاء والعين والغين واللام والميم والنون والواو والياء (و ى) فى حالة كونهما أنصاف حركات.

الأصوات المهموسة فى العربية الفصحى:

وهى الأصوات التى لا تتذبذب فى أثناء النطق بها الأوتار الصوتية، وهذه الأصوات فى العربية الفصحى هى: (التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف والهاء والهمزة).

ثمة حالة ثالثة: ينطبق فيها الوتران الصوتيان انطباقًا، ولا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثم ينقطع النفس، ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيندفع الهواء فى حالة انفجار بعد أن كان محبوسًا ويخرج فى هذه الأثناء صوت همزة القطع.

بعد أن عرضنا لصفة الجهر والهمس، وما هى الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، يجدر أن نذكر ما أورده علماء الأصوات فى تجاربهم لتحديد الصوت المهموس والصوت المجهور.

شكل أوضاع الأوتار الصوتية:

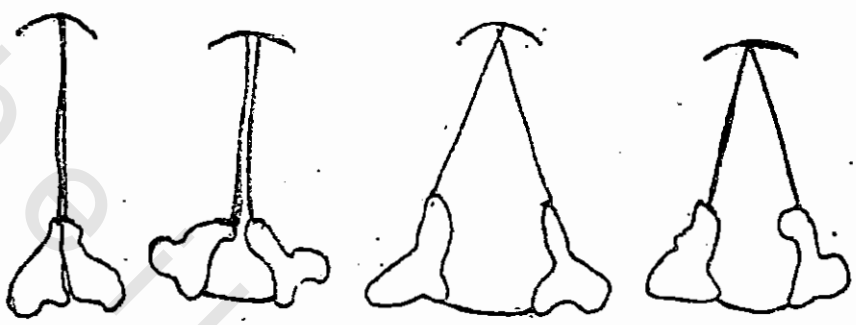

عملية الزفير عملية الشهيق عملية الهمس عملية الجهر

ومن هذه التجارب ما يلى:

١- حين تضع الإصبع فوق تفاحة آدم، ثم تنطق بصوت من الأصوات وحده، مستقلا عن غيره من الأصوات، ولا يحدث هذا إلا بأن تضبط الصوت موضع التجربة، بذلك الرمز الذى يسمى السكون، مثل ضبط حرف الباء هكذا (بْ) ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات، لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذى هو أساس التجربة الصحيحة فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات، تشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك.

٢- حين نضع أصابعنا فى آذاننا، ثم ننطق بالصوت المجهور، وهو وحده مستقلاً عن غيره نحس برنة الصوت فى رءوسنا، وفى ذلك يقول فندريس: «وإذا راعى الإنسان أن يسد أذنيه عند النطق، فإنه عندما يصل إلى

المجهورة، يسمع الرنين الذى تنشره الذبذبات الحنجرية فى تجاويف الرأس»[١].

٣- أما التجربة الثالثة، فهى أن يضع المرء كفه فوق جبهته فى أثناء نطق الصوت، موضع الاختبار فيحس برنين للصوت، وذلك الرنين هو أثر الذبذبة التى يحدثها الوتران الصوتيان.

تقسيم الأصوات بحسب مرور الهواء عند مواضع النطق

يحدد هذا التقسيم حالة الأصوات اللغوية، من حيث كونها أصواتًا انفجارية، أو أصواتًا احتكاكية وغيرها من تلك الصفات التى يحددها حالة الهواء فى موضع النطق المعين وإذا ما كان ثمة عائق أو مانع يمنع مرور الهواء منعًا تاما، أو منعًا جزئيا، أو أن يحدث للهواء انحراف أو تغير، فيخرج الهواء من جانبى الفم أو من الأنف.

وينتج عن هذه الحالة لمرور الهواء، فى مواضع النطق المختلفة الأقسام الصوتية الآتية:

١- الأصوات الانفجارية:

وهى الأصوات التى يتوقف فيها الهواء وقوفًا تاما، عند موضع النطق، ثم يزول العائق فجأة، فيخرج الصوت منفجرًا، وهذه الأصوات الانفجارية فى اللغة العربية هى: (الباء والتاء والدال والضاد والطاء والكاف والقاف والهمزة) وعددها ثمانية أصوات.

---

(١) اللغة فندريس ٥١.

٢- الأصوات الاحتكاكية:

وهى الأصوات التى يضيق فيها مجرى الهواء، ضيقًا يسمح باحتكاك الهواء عند مروره بموضع النطق، وهذه الأصوات فى اللغة العربية هى: (الفاء والثاء والذال والظاء والزاى والسين والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء) وعددها ثلاثة عشرة صوتًا.

٣- الأصوات المركبة (الانفجارية الاحتكاكية)

وهى الأصوات التى تجمع بين صفتى الانفجار والاحتكاك حيث لا يزول العائق بين عضوى النطق زوالاً سريعًا، أى لا ينفصلان بسرعة، وإنما انفصالهما انفصال بطىء، وفى الانفصال مرحلة من الانسداد المطلق، والانفتاح المطلق شبيهة إلى حد ما بالتضييق الذى عرفنا أنه من مميزات الأصوات الاحتكاكية، وفى هذه المرحلة تسمح للهواء أن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء احتكاكًا شبيهًا بما يصاحب الأصوات الاحتكاكية، بمعنى أنه يبدأ انفجاريا وينتهى احتكاكيا، وهذا الصوت المركب (المزدوج) كما يطلق عليه بعضهم الصوت المزجى وهذا الصوت فى اللغة العربية هو صوت (الجيم) الفصيح.

ويجعل فندريس هذا النوع من الأصوات متوسطًا، بين الانفجارى والاحتكاكى، فيقول «وتوجد سلسلة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية، وهى ما تسمى شبه الانفجارية أو بعبارة أوضح: الانفجارية الاحتكاكية، وتتميز بالإغلاق الذى لا يستمر إحكامه، وفيها كما فى الانفجارية حبس، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح، بحال

يجعل الانفجارى ينتهى بالاحتكاكى، فـالانفجاوى الاحتكاكى، هو انفجارى فاشل»[١].

أما ماريو باى، فيطلق عليها الأصوات المركبة حيث يقول «أما الأصوات المركـبة Affricates لا تنتج عن طريق تغيير المـخرج، وإنما تعديل طريقة النطق، فإذا حـدث أن كان الانغلاق المتلو بانطلاق، المـوجود فى نطاق الـ (T) إذا حدث أن كان هذا الانغلاق متبوعًا بالصوت الاستمرارى الاحتكاكى، فإن النتيجة ستكون (ch) الموجودة فى Church ويحدث الشىء نفسه مع الـ (d) إذا اتبعت بالصوت الاحتكاكى المجهور (s) فى Medsure حيث يكون الناتج صوت (J) الموجود فى Jet.

ومن الممكن بالطريقة نفـسها إنتاج أصوات مركـبة مثل dz, ts الـلذيـن تمثلهما بعض الأبجديات وبخاصـة (الألمانية والإيطالية) برمز واحد هو (z) وذلك عن طريق الجمع بين أسنانى انفجـارى وصفيرى (Sibilant) ضـيق احتكاكى Spirant من غير تعديل فى مخرج الصوت[٢].

٤- الأصوات المكررة

وهى الأصوات التى يضيق فيها وضع النطق ضيـقًا غير ثابت أو مستقر، بل يتردد ويتكرر، ومن ثم يطلق عليها الأصوات المكررة أو الترددية، ويمثل هذا النوع من الأصوات فى اللغة العربية صوت الراء.

---

(١) اللغة ٥٠.

(٢) أسس علم اللغة ٨٤.

٥- الأصوات الجانبية

وهى الأصوات التى ينحرف فيها مجرى الهواء، لأن هذا المجرى يتجنب المرور بنقطة الإغلاق أو التضييق، وينحرف إلى جانبى الفم فيخرج الهواء جانبيا، ويمثل هذه الأصوات فى اللغة العربية صوت اللام.

٦- الأصوات المانعة (المتوسطة)

وهى تلك الأصوات، التى ليست أصواتًا انفجارية، وليست أصواتًا احتكاكية، وهى تضم إلى جانب صوتى اللام والراء السابقين (المكرر والجانبى) صوتى الميم والنون، اللذين يغير الهواء مجراه فى أثناء النطق بهما من الفم إلى الأنف، ويطلق عليها الأصوات الأنفية ويطلق على الأصوات الأربعة السالفة (الراء واللام والميم والنون) صفة الأصوات المانعة (المتوسطة).

٧- أشباه الحركات:

ويطلق عليها بعض العلماء مصطلح «أنصاف الحركات» وهى الأصوات التى يحدث فى أثناء النطق بها، أن يضيق مجرى الهواء ضيقًا قليلاً، يسمح بمرور الهواء، دون احتكاك ملحوظ، وهذه الأصوات، تسمى أشباه الحركات، وهى فى اللغة العربية صوتا الواو والياء.

ويضم بعض العلماء الصوتين السابقين الواو والياء، إلى مجموعة الأصوات المانعة (المتوسطة).

بقى لنا ـ بعد ذلك ـ أن نلقى الضوء على تقسيم آخر للأصوات وهو تقسيم يتعلق بارتفاع مؤخرة اللسان أو انخفاضه عند نطق الصوت وينتج عن هذه الحالة الأصوات الآتية:

١- الأصوات المفخمة (المطبقة):

وهى تلك الأصوات التى يرتفع مؤخرة اللسان، حالة النطق بها إلى ناحية الطبق (الحنك الرخو).

٢- الأصوات المرتفقة (غير المطبقة):

وهى تلك الأصوات، التى ينخفض مؤخرة اللسان، حالة النطق بها، بعيداً عن الطبق.

وضع اللسان فى حالتى التفخيم والترقيق (من خلال النطق بالظاء والذال)

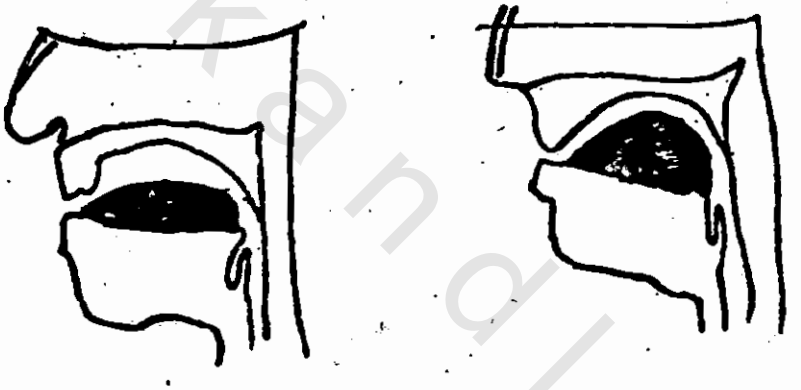

وضع اللسان فى حالة التفخيم (الظاء)　　وضع اللسان فى حالة الترقيق (الذال)

الأصوات المفخمة فى اللغة العربية الفصحى

وتضم اللغة العربية الفصحى أربعة أصوات مفخمة (مطبقة) وهذه الأصوات هى (الصاد ـ الضاد ـ الطاء ـ الظاء) وهذه الأصوات المطبقة، ليس لكونها أصواتًا تنطق من موضع الطبق، ولكن هذه الأصوات الأربعة، تنطق الثلاثة الأولى منها من الأسنان واللثة، والرابع من موضع الأسنان، لكن هذه الأصوات يصحبها ظاهرة عضلية فى مؤخرة اللسان، بأن ترتفع مؤخرة اللسان

obeikandl.com

نحو الطبق ـ حالة النطق بها ـ وفى هذا يؤكد الدكتور / تمام حسان، على ضرورة التفريق بين الإطباق والطبقية، حيث يقول: «وليحذر القارئ من الخلط بين اصطلاحين، يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتحدا فى كثير مما يخلق صلة بينهما ذلك هما: الطبقية أو النطق من مخرج الطبق Velar Articulation والإطباق أو ما يسمى فى علم الأصوات Velarization فالطبقية ارتفاع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق، فيسد المجرى أو يضيقه تضييقًا، يؤدى إلى احتكاك الهواء بهما فى نقطة التقائهما، فهى إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها فى وضع محايد، أما الإطباق فارتفاع مؤخرة اللسان فى اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجرى النطق فى مجرى آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه[1].

الأصوات المرققة فى اللغة العربية

تعد بقية الأصوات العربية ـ فيما عدا ما سبق ذكره من الأصوات المفخمة ـ تعد أصواتًا مرققة وهذه الأصوات المرققة هى: الهمزة والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والدال والذال والزاى والسين والشين والعين والفاء والكاف والميم والنون والهاء والواو والياء.

هذه الأصوات مرققة فى جميع أحوالها وسياقاتها، لأن تفخيمها يعنى الإخلال بهويتها وكنهها والبعد عن الصفات الأساسية التى تميزها وتحددها.

ثمة حالة أخرى يطلق عليها: التفخيم الجزئى، أو التفخيم من الدرجة

(١) مناهج البحث فى اللغة.

الثانية، وهذه الأصوات هى «الأصوات المستعلية» فى مقابل الأصوات المستفلة.

الأصوات المستعلية

وهى تلك الأصوات التى يرتفع فيها مؤخرة اللسان، نحو اللهاة فى أثناء النطق بها فيخرج الصوت غليظًا مفخمًا، ولكن دون مبالغة فى تغليظ النطق.

والأصوات المستعلية فى اللغة العربية الفصحى هى (القاف والغين والخاء) ولا يحدث الاستعلاء فى هذه الأصوات، إلا فى سياقات معينة وبشروط خاصة ويتجلى استعلاء هذه الأصوات بتأثرها بالأصوات المفخمة المجاورة لها، على سبيل التأثر بها، كما قد تتأثر هذه الأصوات المستعلية بما يليها من حركة أمامية (الكسرة) فيضعف فيها أثر التفخيم، قليلاً أو كثيراً، حيث يبقى الصوت على ما هو عليه من كونه صوتًا مستعليًا محافظًا على هويته وبخاصة مع صوتى «الغين والخاء» ففى مثل «خِلت، خِفت، غِبت، غِلت» فإن الكسرة قبل الغين والخاء متقدمتان قليلاً قبل مخرج الغار، فيحدث لها بعض الترقيق لكن دونما تأثير على كونهما غينا أو خاء.

ولكن الأمر يختلف فى حالة القاف، إذا ما تقدم مخرجها قليلاً إلى الأمام فإنها تتحول إلى صوت آخر له صفاته وهويته وهو صوت «الكاف» وهذا السلوك فى تقديم القاف سلوك معيب على المتخصصين وغيرهم، وإن كان يحدث على مستوى اللهجات عند أهل الشام وبخاصة فى سوريا وفلسطين فيقولون فى قال: كال ونحوها!!.

الراء واللام المفخمتان

١- الـراء: يفخم صوت الراء، وذلك عندما يرتفع مـؤخرة اللسان نحو الطبق فى أثناء النطق به كما هو الحال فى الأصوات المفخمة.

ويفخم صوت الـراء فى حالات معينة، ويحدث ذلـك إذا ما كانت الراء مفتوحة أو مضمـومة أو ساكنة بعد فتح أو ضم مثال ذلك (ربّ، ربٌ، برْد، قرْط).

أما إذا كانت مكسورة أو ساكنة بعد كـسر، فإنها ترقق مثال ذلك: رسالة ـ فرعون، أما إذا تلا الراء السـاكنة صوت مفخم، فإنها قـد تفخم مثال ذلك فى: قرطاس.

وتأتى الراء، فى حالة الترقيق ـ أيضًا ـ وهذا الترقيق مشروط بشروط، أو مقصور على سياقات معينة وهى:

١- إذا كانت الراء مكسورة، سواء أكان ما قبلها ساكنًا أم متحركًا وسواء أوقع بعـدها حرف استـعلاء أم لا مـثال ذلك قـولنا رمال، رحـال، وكذلك قولنا: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وغيرها من الأمثلة.

٢- إذا وقعت بعد كسر، وكانت ساكنة، ولا يصح ذلك إلا بشرطين:

(أ) أن تكون الكسرة قـبلها كسرة لازمـة، مثل قولنا: فرعـون، فرية، مرية... إلخ، أما إذا كانت الكسرة عارضة، مثل كسرة همزة الوصل، تلك التى يؤتى بها للتـخلص من التقاء الساكنين، فـإنها تفخم مثـال ذلك قولنا: اركعوا، اربطوا، وقولهم: ان ارتبتم... إلخ.

(ب) ألا تكون مـتلوة بحرف استعلاء أو تـفخيم، مـثل القاف والـغين

والخاء، والصاد والضاد والطاء والظاء، فإن وقع بعدها حرف من الحروف السابقة، فإنها تفخم، كما ذكرنا.

ويشير أحدهم فى نظم شعرى عن مواضع ترقيق الراء بقوله:

ورقق الراء إذا ما كسرت
كذاك بعد الكسر حيث سكنت
إن لم تكن من قبل حرف استعلا
أو كانت الكسرة ليست أصلاً

والحق ان بعض السيدات وغيرهن ممن يبالغون أو يمعنون فى رقة الحديث يميلون إلى ترقيق الراء فى كل سياق، وهذا سلوك معيب وغريب على النطق العربى الصحيح كما أن بعضهم ـ أيضًا ـ ينطقون الراء من منطقة خلفية، مع الميل إلى عدم تكرارها أى تكرار حركة اللسان فى نطقها، ويكون المنطوق راء غير مستساغة ونابية على الأذن العربية، لأنها أشبه بالراء «الفرنسية» وهذا سلوك نابع من المبالغة فى الرقة والتكلف أو اصطناعها.

٣- اللام:

تعد اللام من الأصوات المرققة، بيد أنها تفخم فى لفظ الجلالة (الله) بشرط أن تكون مسبوقة بفتح أو ضم مثل: شكرَ الله شُكْرُ الله.

أما إذا كانت اللام مسبوقة بكسرة فإنها تكون مرققة مثل: بالله، وحول تفخيم اللام، يقول بعضهم فى نظم شعرى:

وفخم اللام من اسم الله
عن فتح أو ضم كعبدَ الله

ويلاحظ أن الدال فى (عبـد الله) محركة بالفتح، على الـرغم من كونها فى موضع تحريك بالكسرة وعلة ذلك، لكى يظهر تفخيم اللام بعدها.

ويتم تفخـيم اللام، وذلك عندما يرتفع مـؤخرة اللسان، نـحو الطبق فى أثناء النطق بها كما هو الحال فى الأصوات المفخمة.

جدير بـالذكر فى خاتمـة الحديث عن التـفخـيم والترقـيق والاستـعلاء والاستـفال، أن نذكـر أن الأصوات المـفخـمة، لا بد أن تحـافظ على هذه الصفة فى جميع حالاتها وسياقاتـها، فالإخلال بهذه الصفة هو إخلال بصفة هذه الأصوات ومـاهيتـها فتـرقيق هذه الأصـوات يعنى تحولهـا إلى أصوات أخرى غيرها تمامًـا فى جميع صفاتها، فالصاد إذا رقـقت تتحول إلى سين، والضاد إذا رققت تتحـول إلى دال والطاء إذا رققت تتحول إلى تاء والظاء إذا رققت تتحول إلى ذال.

أما الأصـوات المستعليـة إذا ما أصابهـا ترقيق أو استـفال فإنها تحـتفظ بهويتها وماهيـتها، وقد يكون ترقيقها مـعيبًا فى حالة إستفالها لـكنها ستبقى على ما هى عليه ذاتها أصوات (القاف ـ الغين ـ الخاء).

وصف شامل للأصوات الصامتة من خلال التقسيمات السابقة جميعا

بعد أن انتهينا من عرض شامل للصفات المختلفة، التى يمكن أن توصف بها الأصوات اللغوية وكذا المخارج الصوتية، التى تنتسب إليها تلك الأصوات، يجدر بنا أن نقدم وصفًا كاملاً للأصوات العربية نتعرف من خلالها مخارج تلك الأصوات وصفاتها الأخرى المتعددة، ونجعل من المخرج الصوتى بداية للوصف، ثم نتبعه ببقية الصفات التى يتصف بها الصوت.

١- الأصوات الشفوية

وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات وهى:

(أ) الباء:

وهو صوت شفوى انفجارى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الباء بان تلتصق الشفتان التصاقًا تامًا، يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم ما يلبث السد أن يزول، فيندفع خروج الهواء منفجراً، وفى أثناء مرور الهواء عبر الوترين الصوتيين، تضيق المسافة بينهما ضيقًا شديداً، يؤدى إلى ذبذبة الوترين الصوتيين، فيخرج الصوت مجهوراً، ويخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، ويؤدى ذلك إلى ضيق غرفة الرنين فيخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الباء من الفم.

وليس لصوت البـاء نظير مـهموس فى اللغـة العربية، ولـكنه يوجد فى اللغات الأوربية، وبعض اللغات السامية، وهو صوت: P فى اللغة الإنجليزية مثلاً، فهو النظير المهموس للباء العربية[١].

(ب) الميم:

صوت شفوى أنفى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت المـيم بأن تلتصق الشـفتان التـصاقًا تامًـا، يمنع مرور الهواء، وفى أثناء ذلك ينـخفض الطبق نحو الجـدار الخلفى للحلق، وينغلق التجويف الفمـوى، ويغير الهواء مجراه، فيـخرج عن طريق الأنف، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيـقًا شديداً، يسمح بمرور الهواء، ويتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مجهوراً، وينخفض مؤخرة اللسان، بعيداً عن الطبق، وتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا.

(جـ) الواو:

صوت شفوى متوسط مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الواو، بأن تُضمُّ الشفتان إلى الأمام، بحيث يسمح ذلك بمرور الهواء بينهما، وفى أثناء ذلك يقتـرب الوتران الصوتيان اقترابًا شديداً، يسمح بمرور الهواء، ويتذبذب الوتران الصوتيـان، ويخرج الصوت مجهوراً، وينخفض مـؤخرة اللسـان بعيداً عن الـطبق، فتضـيق غرفة الـرنين، ويخرج الصوت مرققًـا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فيـسدُّ التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الواو من الفم.

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٢٢.

٢- الأصوات الشفوية الأسنانية

ولا تشتمل اللغة العربية إلا على صوت واحد فقط:

الفاء:

صوت شفوى أسنانى احتكاكى مهموس مرقق.

ويتم نطق صوت الفاء، بأن تتصل الشفة السفلى، بالأسنان العليا اتصالاً يسمح بمرور الهواء بينهما، محدثًا احتكاكًا مسموعًا، فيخرج الصوت محتكًا، ويقترب الوتران الصوتيان اقترابًا يسمح بمرور الهواء، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، فيخرج الصوت مهموسًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينغلق التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج صوت الفاء من الفم.

ويُعدُّ صوت الـ (v) باللغة الإنجليزية، هو النظير المجهور، لصوت الفاء العربية.

٣- الأصوات الأسنانية

وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات وهى:

(أ) الثاء:

صوت أسنانى احتكاكى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت الثاء، بأن يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، بحيث يسمح بمرور الهواء بينهما محدثًا احتكاكا مسموعًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا تتذبذب الأوتار

الصوتيـة، فيخـرج الصوت مهمـوسًا، وينخفض مـؤخرة اللسان بعـيدًا عن الطبق، فتـضيق غرفـة الرنين، ويخرج الصـوت مرققًا، ويرتـفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق فينـسد التجويف الأنفى، وينفتح التجـويف الفموى، ويخرج هواء صوت الثاء من خلال الفم.

(ب) الذال:

صوت أسنانى احتكاكى مجهور مرقق:

ويتم نطق الذال، بأن يوضع طـرف اللسان بين الأسنان الـعليا والسـفلى بحيث يسمح بمرو الهواء بينهما، محدثًا احـتكاكًا مسموعًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتـيين ضيقًـا شديدًا، فيـتذبذب الوتران الصوتيـان، ويخرج الصوت مجـهورًا، وينخفض مؤخرة اللسـان بعيدًا عن الطبق، فتضـيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًـا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى وينفتح التـجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الذال من الفم.

ونلاحظ أن الذال هى النظير المجهور للثاء، وأنه لا فرق بينهما سوى أن الذال صوت مجهور تتذبذب معه الأوتـار الصوتية، والثاء صوت مهموس لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية.

(جـ) الظاء:

صوت أسنانى احتكاكى مجهور مفخم:

ويتم نطق صـوت الـظاء بان يوضع طرف اللسـان بين الأسـنان العليـا والسفلى، بحيث يسمح بمرور الهواء بينهما محدثًا احتكاكا مسموعًا، وتضيق

المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديدًا، فيتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مجهوراً، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويخرج الصوت مفخمًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الظاء من الفم.

ونلاحظ أن الظاء هو النظير المفخم للذال، فهما يتفقان فى كل الصفات فيما عدا صفة التفخيم فى صوت الظاء، وصفة الترقيق فى صوت الذال.

obeikandl.com

الأصوات الأسنانية اللثوية

وتعد هذه المجموعة، هى أكبر مجموعة مخارج صوتية فى اللغة العربية الفصحى، إذ إنها تضم سبعة أصوات وهى (الدال ـ الضاد ـ التاء ـ الطاء ـ الزاى ـ السين ـ الصاد).

(أ) الدال:

صوت أسنانى لثوى انفجارى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الدال بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقًا تاما، يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة، فيخرج الهواء منفجرًا، وتضيق المسافة بين الأوتار الصوتية ضيقًا شديدًا، يسمح بمرور الهواء، فيخرج الصوت مجهورًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الدال من خلال الفم.

(ب) الضاد:

صوت أسنانى لثوى انفجارى مجهور مفخم:

ويتم نطق صوت الضاد، بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقًا تاما، يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة محدثًا انفجارًا وتقترب المسافة بين الوترين الصوتيين اقترابًا شديدًا، يسمح بمرور الهواء، فيتذبذب الوتران الصوتيان ويخرج الصوت مجهورًا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويخرج

الصوت مفخمًا، ويرتفع الطبق نحـو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الضاد من الفم.

ويلاحظ أن الضاد هو النظيـر المفخم للدال، فليس بينهمـا اختلاف فى المخرج والصفات إلا فى كون الضاد مفخمة والدال مرققة.

(جـ) التاء:

صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت التـاء، بأن يلتصق طرف اللسان بأصـول الأسنان العليا واللثة التصاقًا تاما، ويمنع مـرور الهواء فترة من الزمن، ثم ما يلبث السد أن يزول فجـأة فيخرج الهـواء منفجرًا، وتضيق الـمسافة بين الوترين الصـوتيين ضيقًـا يسمح بمرور الهـواء ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخـرج الصوت مهموسًا، وينخـفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضـيق غرفة الرئتين، ويخرج الصـوت مرققا، ويرتفع الـطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فـينسد التجويف الأنفى، وينفـتح التجويف الفموى، ويخـرج هواء صوت التاء من خلال الفم.

ويلاحظ أن التاء هو النظير المهموس لصوت الدال.

(د) الطاء:

صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مفخم:

ويتم نطق صوت الطاء، بأن يـلتصق طرف اللسان بأصـول الأسنان العليا واللثة التصاقًا تاما، ويمنع مـرور الهواء فترة من الزمن، ثم لا يلبث السد أن يزول فجأة فيـخرج الصوت منفجرًا، وتضيق المسـافة بين الوترين الصوتيين

ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مهموسًا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويخرج الصوت مفخمًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفخ التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الطاء عبر الفم.

ويلاحظ أن الطاء هى النظير المفخم لصوت التاء، فلا فرق بينهما إلا فى كون الطاء مفخمة والتاء مرققة.

(هـ) الزاى:

صوت أسنانى لثوى احتكاكى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الزاى بأن يوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان العليا، ومقدمته فى اتجاه اللثة، مع السماح بمرور الهواء بينهما محدثًا احتكاكًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديدًا، يسمح بمرور الهواء، فيتذبذب الوتران الصوتيان ويخرج الصوت مجهورًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الزاى من خلال الفم.

ويلاحظ أن الزاى ليس له نظير مفخم فى العربية الفصحى وإن وجد فى العامية، فى ذلك الصوت الذى يحل محل الظاء العربية أحيانًا فى مثل: ظلم، التى تنطق فى العامية المصرية: زلم أى بتفخيم من الدرجة الثانية.

(و) السين:

صوت أسنانى لثوى احتكاكى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت السين، بأن يوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان العليا ومقدمته فى اتجاه اللثة، مع السماح بمرور الهواء بينهما، محدثًا احتكاكًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مهموسًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق وتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت السين من خلال الفم.

ويلاحظ أن السين هى النظير المهموس للزاى.

(ز) الصاد:

صوت أسنانى لثوى احتكاكى مهموس مفخم:

ويتم نطق صوت الصاد، بأن يوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان ومقدمته فى اتجاه اللثة، بحيث يسمح بمرور الهواء بينهما، محدثًا احتكاكًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مهموسًا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويخرج الصوت مفخمًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج الهواء عبر الفم.

ويلاحظ أن الصاد هى النظير المفخم للسين.

٥- الأصوات اللثوية

وتضم هذه المجوعة ثلاثة أصوات فى اللغة العربية وهى:

(أ) اللام:

صوت لثوى جانبى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت اللام، بأن يتصل طرف اللسان معقوفًا للداخل باللثة بحيث يسمح للهواء بأن يمر من أحد جانبى اللسان، أو من كليهما معًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديداً، يسمح بمرور الهواء بينهما، ويخرج الصوت مجهوراً، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت اللام من الفم.

ويلاحظ أن صوت اللام يفخم، بشرط أن يتلوه صوت من أصوات الفتحة، أو أن يسبقه صوت من الأصوات المفخمة[١]:

(ب) الراء:

صوت لثوى ترددى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الراء، بأن يترك اللسان مسترخيًا فى طريق الهواء الخارج عبر الفم من الرئتين، فيرفق اللسان، ويضرب طرف اللثة ضربات متكررة، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديداً، يسمح بمرور الهواء بينهما ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فيخرج الصوت مجهوراً.

---

(١) انظر ٥٨ - ٥٩ حيث وردت شروط تفخيم اللام بالتفصيل.

وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الراء من خلال الفم.

ويلاحظ أن الراء يفخم فى حالات كونه غير مسبوق بصوت من أصوات الكسرة، أو تلاه صوت من أصوات الفتحة، أو سبقه صوت من الأصوات المفخمة(١).

(جـ) النون:

صوت لثوى أنفى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت النون، بأن يجعل طرف اللسان متصلاً باللثة، فينسد مجرى الهواء، وينخفض الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الفموى، وينفتح التجويف الأنفى، ويغيِّر الهواء مجراه، ويخرج هواء صوت النون من الأنف. وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديداً، يسمح بمرور الهواء، ويتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مجهوراً، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، وتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا.

ومعنى الأنفية فى صوت النون، أن الهواء الخارج من الرئتين يمر فى التجويف الأنفى، محدثًا فى مروره نوعًا من الحفيف، وهى بهذا الوصف، كالميم تمامًا غير أن الفرق بينهما، أن طرف اللسان مع النون، يلتقى باللثة،

---

(١) انظر تفصيلات ذلك ص ٥٧ - ٥٨.

فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذى يمنع مرور الهواء من الفم معها، هما الشفتان[١].

ثمة تنوعات مختلفة لصوت النون، بسبب موقعها وسياقها يذكرها دكتور تمام حسان وهى:

١- النون الأسنانية:

وهى التى قبل الذال أو الثاء أو الظاء فى مثل: أن ذهب، وان ثاب، وان ظلم.

٢- النون الأسنانية اللثوية:

وهى التى تقع قبل الأصوات الأسنانية اللثوية، مثل ان ضرب، ان تبع، ان طلب، ان زرع، ان سكت، ان صلح.

٣- النون الغارية:

وهى التى تقع قبل الشين أو الجيم أو الياء نحو: من شاء، من جاء، من يكن.

٤- النون الطبقية:

وهى التى تأتى قبل الكاف فى مثل: ان كان ولكنها لا تأتى طبقية مع أصوات الغين والخاء من أصوات الطبق، لكنها تنطق من مخرجها الأساسى وهو اللثة.

٥- النون اللهوية:

وهى التى تأتى قبل صوت القاف نحو: إن قال[٢].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٤٩.

(٢) انظر: مناهج البحث فى اللغة ١٠٦ - ١٠٧.

٦- الأصوات الغارية

وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات هى:

(أ) الشين:

صوت غارى احتكاكى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت الشين بأن يرتفع مقدمة اللسان نحو الغار ارتفاعًا يسمح بمرور الهواء محدثًا احتكاكًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، فيخرج الصوت مهموسًا وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الشين من خلال الفم.

ويلاحظ أن الشين ليس لها نظير مجهور فى اللغة العربى الفصحى، بيد أنها قد تأتى مجهورة إذا جاورت أصواتًا مجهورة كنطق الشين فى كلمة «مشغول» حيث تنطق مثل صوت (J) الانجليزية.

(ب) الجيم الفصيحة:

صوت غارى مركب (مزدوج) مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الجيم الفصيح بأن يلتصق مقدم اللسان بالغار (الحنك الصلب) التصاقًا تامًا يمنع مرور الهواء بينهما فترة من الزمن، ثم يزول السد ببطء، فينتج عن ذلك خروج الهواء محتكًا، شبيهًا بالاحتكاك الذى يحدث فى صوت الشين عندما تكون مجهورة (ج) ويجمع حينئذ صوت الجيم

الفصيح بين صفتى الانفجار، الذى لم يتم، والاحتكاك (أى أنه صوت مركب أو مزدوج) يبدأ النطق فيه بصوت دال مغوّرة، وينتهى بصوت شين مجهورة! وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديدًا (يسمح بمرور الهواء بينهما، ويخرج الصوت مجهورًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، وتضيق غرفة الرنين ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، وينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الجيم الفصيح عبر الفم.

وهذه الجيم بهذا الوصف، لا وجود لها فى اللهجات الحالية، إلا فى لهجة من لهجات صعيد مصر، وبعض أماكن الجزيرة العربية، كما أصبحت كافًا مجهورة تنطق من الطبق مع اهتزاز الأوتار الصوتية فى نطق القاهريين أى أن مخرجها انتقل إلى الخلف، وهى فى لهجة أهل سوريا، عبارة عن شين مجهورة، كما سبق أن ذكرنا كما تطورت فى نطق بعض أهالى الصعيد، إلى دال أسنانية لثوية بانتقال مخرجها إلى الأمام(١).

والظاهر أن صوت الجيم المزدوج هذا، ليس أصليا فى اللغة العربية القديمة، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت، والدليل على ذلك مقارنة اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية والحبشية، فصوت الجيم فى هذه اللغات صوت شديد (انفجارى) يشبه نطق المصريين(٢).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٥١.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٢.

ويقول المستشرق أنولمان: «نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلى، كان كما هو الآن فى مصر وكما كان ويكون فى اللغات السامية الباقية مثلا: كلمة «جمل» فى العربية Gamal وفى السريانية Gamalā، وفى الحبشية Gamal وتاريخ هذا النطق كما يأتى: فى الابتداء تغير نطق Gīm، فصار Ǧīm قبل حركة الكسرة فقط، ثم لفظت عند أهل الحجاز Ǧīm إذا وقعت قبل كل الحركات أى الفتحة والضمة والكسرة». وكان هذا النطق نطق القرشيين فى زمان النبى ﷺ فصار نطق القرآن الشريف[1].

(جـ) الياء:

صوت غارى احتكاكى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت الياء بأن يرتفع مقدمة اللسان نحو الغار ارتفاعًا يسمح بمرور الهواء محدثًا احتكاكا مسموعًا ويقترب الوتران الصوتيان اقترابًا شديداً يسمح بمرور الهواء بينهما، ويخرج الصوت مجهورًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، وينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الياء من الفم ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، ويخرج هواء صوت الياء من الفم.

ويلاحظ أن صوت الياء بهذا الوصف، يعد من الأصوات التى يطلق

---

(١) بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى، لأنولتيمان، بحث فى مجلة كلية الآداب، المجلد العاشر، جـ ١ - ٢، ١٩٤٨م.

عليها (أشبـاه الحركات) وسنتعرف الفرق بينهما وبين الحـركات الخالصة فى دراسة الحركات.

٧- الأصوات الطبقية

وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات وهى:

(أ) الكاف:

صوت طبقى انفجارى مهموس مرقق:.

ويتم نطق صـوت الكاف بأن يـلتـصق مؤخـرة اللـسان بالـطبق (الحنك الرخو) التصاقًا تاما، يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم يزول السد فجأة، فيخرج الصوت منفجرًا، وتضيق المسـافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء بينهما ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، فـيخرج الصوت مهموسًا، وينخفض مـؤخرة اللسـان بعيدًا عن الـطبق، فتضـيق غرفة الـرنين، ويخرج مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجـدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الكاف عبر الفم.

ويلاحظ أن الكاف ليس لها نظير مجهور فى اللغـة العربية الفصحى، بيد أن صوت الجيم القاهرية التى يرمز لها بالرمز (گ) من الخط الفارسى، هى النظير المجهـور للكاف وكما سبق أن سبق ذكرنا أن الجـيم القاهرية موجودة فى اللغة السامية، كالعبرية والسريانية والحبشية.

(ب) الغين:

صوت طبقى احتكاكى مجهور مستعلى:

ويتم نطق صـوت الغين بأن يرتفـع مؤخـرة اللسان نحـو الطبق (الحنك

الرخو) ارتفاعًا يسمح بمرور الهواء بينهما، ويتذبذب الوتران الصوتيان، فيخرج الصوت مجهورا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو اللهاة، فتتسع غرفة الرنين اتساعًا متوسطًا، يؤدى إلى خروج الصوت مستعليًا، أو مفخمًا تفخيمًا من الدرجة الثانية. ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الغين من الفم.

(جـ) الخاء:

صوت طبقى احتكاكى مهموس مستعلى:

ويتم نطق صوت الخاء بأن يرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق (الحنك الرخو) ارتفاعًا يسمح بمرور الهواء محدثًا احتكاكًا مسموعًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا، يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مهموسًا، ويرتفع مؤخرة اللسان، نحو اللهاة فتتسع غرفة الرنين اتساعًا، يؤدى إلى خروج الصوت مستعليًا أو مفخمًا. تفخيمًا من الدرجة الثانية، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الغين من الفم، ويلاحظ أن الغين هى النظير المجهور لصوت الخاء[1].

---

(١) يقول د/ تمام حسان: «يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين ينبنى كل منهما، على طريقة فهمهم لاصطلاح (حلق) فإذا كان هذا الاصطلاح مطابقًا لما نفهمه الآن، فهم ولا شك مخطئون فى القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق. أما إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له، حتى ليشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق، فلا داعى للقول بخطئهم» منهج البحث فى اللغة ١٠١.

٨- الأصوات اللهوية

وتضم هذه المجموعة صوتًا واحدًا فى العربية وهو

القاف: صوت لهوى انفجارى مهموس مستعلى:

ويتم نطق صوت القاف بأن يلتصق مؤخرة اللسان باللهاة والجدار الخلفى للحلق التصاقًا تاما، يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم يزول السد فجأة فيخرج الصوت منفجرًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فيخرج الصوت مهموسًا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو اللهاة، فتتسع غرفة الرنين اتساعًا يؤدى إلى خروج الصوت مستعليًا، أو مفخمًا من الدرجة الثانية! ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت القاف من خلال الفم.

يلاحظ أن القاف بهذا الوصف هى القاف التى يقرأها مجيدو القراءات للقرآن الكريم، كما يلاحظ أنه لا فرق بين وصف القاف والكاف، سوى أن القاف أعمق قليلاً من الكاف.

٩- الأصوات الحلقية

وتضم هذه الأصوات صوتين اثنين هما:

(أ) العين:

صوت حلقى احتكاكى مجهور مرقق:

ويتم نطق صوت العين بأن تضيق المسافة بين الحلق ولسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف، مع السماح بمرور الهواء، محدثًا احتكاكًا

مسموعًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا شديدًا، يسمح بمرور الهواء بينهما، ويخرج الصوت مجهورًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، فيخرج الصوت مرققًا ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت العين من الفم.

(ب) الحاء:

صوت حلقى احتكاكى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت الحاء، بأن تضيق المسافة بين الحلق عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف، مع السماح بمرور الهواء بينهما، محدثًا احتكاكًا مسموعًا، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقًا يسمح بمرور الهواء بينهما ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فيخرج الصوت مهموسًا، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ، ويخرج هواء صوت الحاء من الفم.

ويلاحظ أن الحاء هى النظير المهموس للعين وقد فطن ابن جنى إلى هذا الفرق بين الحاء والعين فقال: «ولولا بحة فى الحاء لكانت عينًا، ولأجل البحة التى فى الحاء، ما يكررها الشارق.فى تنحنحه وحكى أن رجلاً من العرب، بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح فشرب بعضه، فلما كظه الأمر قال: كبش أملح، فقيل له ما هذا؟ تنحنحت! فقال: من تنحنح فلا أفلح، وكرر الحاء مستروحًا إليها، لما فيها من البحة التى يجرى معها النفس وليست كالعين التى تحصر النفس»[1].

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٤٦.

١٠- الأصوات الحنجرية

وتضم هذه المجموعة صوتين هما:

(أ) الهمزة:

صوت حنجرى انفجارى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت الهمزة، بأن تنغلق الأوتار الصوتية انغلاقًا كليًا يمنع مرور الهواء فترة من الزمن، ثم يزول السد فجأة فينطلق صوت الهمزة منفجرًا، وتكون الأوتار الصوتية لحظة الانفجار فى وضع الهمس، حيث لا تتذبذب الأوتار الصوتية، وينخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا. ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج الهواء من خلال الفم.

جعل سيبويه الهمزة من الأصوات المجهورة، وهذا أمر مستحيل من الناحية المادية لصوت الهمزة، بيد أن الهمزة قد تسهل وحينئذ يكون إغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا يسمح بمرور الهواء، فتهتز الأوتار الصوتية، وتتذبذب. وحينئذ يكون الصوت الخارج صوتًا مجهورًا، وليس هو صوت همزة القطع (الوقفة الحنجرية بالطبع) ولكنه تضيق حنجرى أشبه بأصوات العلة.

ويرى كل من الدكتور/ إبراهيم أنيس، والدكتور /بشر، أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس حيث يقول د/ بشر: «والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأى الراجح، إذًا إن وضع

الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس»[١].

فى حين يرى د/ عبد الرحمن أيوب رأيًا آخر وهو يرفض الرأى السابق قائلاً: «يقرر د/ إبراهيم أنيس فى كتابه: الأصوات اللغوية، أن الهمزة، لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، والرجوع لتعريف د/ ابراهيم أنيس للجهر والهمس فى الكتاب نفسه، نجد أنه وصف الجهر بأنه صوت موسيقى، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منظمًا، ويصف الصوت المهموس، بأنه الصوت الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان. ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية، إما أن تتذبذب فيحدث الجهر، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين، ومن ثم فإن وصف الدكتور/ أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة، وصف غير دقيق»[٢].

ومن المعروف أن قريشًا وأهل الحجاز، ولا يهمزون، فى حين كانت قبائل نجد تهمز، كقبيلة تميم، وفى هذا يقول أبو زيد: "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا قال: وقال أبو عمرو الهذلى: قد توضيت، فلم يهمز وحولها ياء، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمزة[٣].

والنبر عند القدماء، هو ما يسمى بالهمز، يقول ابن منظور: «والنبر همز

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٤٧.

(٢) أصوات اللغة: هامش ١٨٣.

(٣) انظر مقدمة لسان العرب ١/ ١٤.

الحرف، ولكن لم تكن قريش تهمز فى كلامها ولما حج المهدى قدم الكسائى يصلى بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: تنبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن؟!»[١].

كما قال الفراء: «وقوله: (تأكل منسأته)، همزها عاصم والأعشى، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن، ولعلهم أرادوا لغة قريش، فإنهم يتركون الهمز»[٢].

وقال صاحب كتاب المبانى فى نظم المعانى: «فأما الهمز، فإن من العرب من يستعمله، وهم تميم، ومن يوافقها فى ذلك ومنهم من يقل استعمالهم له وهم هذيل وأهل الحجاز»[٣].

وقال ابن عبد البر فى التمهيد: قول من قال: «نزل القرآن بلغة قريش معناه عندى فى الأغلب لأن لغة غير قريش موجودة فى جميع القرآن، من تحقيق الهمز ونحوه وقريش لا تهمز»[٤].

(ب) الهاء:

صوت حنجرى احتكاكى مهموس مرقق:

ويتم نطق صوت الهاء، بأن يحتك الهواء فى أثناء مروره بالأوتار الصوتية دون أن يحدث بمنطقة الأوتار الصوتية، لما سمع غير صوت الزفير العادى، ولولا عدم اهتزاز الأوتار الصوتية لكان الهاء من الحزكات. وتنخفض مؤخرة

(١) لسان العرب (نبر) ٧/ ٤٠.

(٢) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٥٦.

(٣) مقدمتان فى علون القرآن ٢٢٦.

(٤) انظر البرهان للزركشى ١/ ٢٨٤.

اللسان بعيدًا عن الطبق، فتضيق غرفة الرنين، ويخرج الصوت مرققًا، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفى للحلق، فينسد التجويف الأنفى، وينفتح التجويف الفموى، ويخرج هواء صوت الهاء من الفم.

ويرى د/ تمام حسان أن الهاء صوت مجهور، حيث يقول:

«يتم النطق به بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة فى منتصف الطريق بين الهمس والجهر، حتى إذا مر هواء الرئتين بينهما، كان لاحتكاكه بهما أثر صوتى، لا هو بالحس ولا هو بالنفس، هذا الأثر الصوتى به بعض الذبذبة، وهو ما يجعلنا ننظر إلى هذا الصوت باعتباره مجهورًا»(١).

كما يقول د/ أنيس: «الهاء عادة صوت مهموس، يجهر به فى بعض الظروف اللغوية الخاصة»(٢).

(١) مناهج البحث فى اللغة ١٠٣.

(٢) الأصوات اللغوية ٨٢.

obeikandl.com

رسم تخطيطى للأصوات الصامتة (المخارج والصفات)

مخارج الأصوات	صفات الأصوات														
	انفجارية				احتكاكية				مزدوجة	متوسطة					
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور					
	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		جانبى	تكرارى	لثوى	شبه حركة
شفوى	ب		(ب)										
شفوى أسنانى					(ق)		ف						
أسنانى					ذ	ظ	ث						
أسنانى لثوى	د	ض	ت	ط	ز	(ز)	س	ص					
لثوى										ل	ر	ن	
غارى					(ج)		ش		ج				ى
طبقى			ك		غ		خ						
لهوى			ق										
حلقى					ع		ح						
حنجرى			عـ				هـ						

بين دراسة العلماء العرب القدامى للأصوات الصامتة وبين الدراسات اللغوية الحديثة

قدمنا فى أثناء عرضنا لمخارج الأصوات، كيفية توزيع العلماء العرب القدامى للأصوات على هذه المخارج، وذلك من خلال عرضنا لتوزيع كل من سيبويه وابن جنى للأصوات على مخارجها.

كما ذكرنا أن الخليل بن أحمد قد جعل هذه المخارج ثمانية وعشرين مخرجًا، فى حين جعلها كل من سيبويه وابن جنى ستة عشر مخرجًا، وذكرنا أن مخارج الأصوات فى الدراسات اللغوية الحديثة تشتمل على عشرة مخارج(١).

كما أننا ذكرنا أن العلماء العرب، قد رتبوا مخارج الأصوات ترتيبًا تصاعديا، يخالف ما نحن عليه الآن فى الدراسات اللغوية الحديثة، فالعلماء العرب يبدأ أول المخارج من أقصاها، حيث أقصى الحلق إلى الشفتين، وعلى العكس من ذلك ترتيب الدراسات اللغوية الحديثة حيث تبدأ من الشفتين وانتهاء بالحنجرة.

نعيد هنا عرضا موجزًا لتوزيع الأصوات على مخارجها، سواء عند العلماء العرب القدامى، أو فى الدراسات اللغوية الحديثة، ليسهل أمام القارئ إدراك الفرق بسهولة، وسوف نختار اللغوى الألمعى ابن جنى، ليمثل العلماء العرب القدامى، حيث إنه يمثل بحق أنضج محاولة فى هذا المجال، كما لا يختلف توزيعه للأصوات على مخارجها عن توزيع كل من سيبويه والخليل كثيرًا.

(١) جعل الدكتور / إبراهيم أنيس هذه المخارج سبعة فقط، كما يجعلها الدكتور/ بشر، أحد عشر مخرجًا.

توزيع الأصوات على مخارجها عند ابن جنى

يجعل ابن جنى بداية هذا التوزيع الحلق، فى حين يجعل الشفتين نهايته وذلك على النحو التالى: (ء ا هـ) ـ (ع ح) ـ (غ خ) ـ (ق) ـ (ك) ـ (ج ش ى) ـ (ض) ـ (ل) ـ (ن) ـ (ر) ـ (ط د ت) ـ (ص ز س) ـ (ظ ذ ث) ـ (ف) ـ (ب و م).

توزيع الأصوات على مخارجها فى الدراسات اللغوية الحديثة

ونقدمها بالطريقة التى اتبعها ابن جنى والأقدمون، أى ابتداء بالحنجرة وانتهاء بالشفتين، لتسهيل المقارنة، ويتيسر النظر فى كلتا المجموعتين:

(ء هـ) ـ (ع ح) ـ (ق) ـ (ك غ خ) ـ (ش ج ى) ـ (ل ر ن) ـ (د ض ت ط ز س ص) (ذ ظ ث) ـ (ف) ـ (ب م و).

كان من اللازم أن نبدأ ترتيب مجموعات المخارج، وفقا للترتيب الذى تتبعه الدراسات اللغوية الحديثة، وأن نضع مجموعات المخارج لدى ابن جنى بإزاء المجموعات التى لدينا، وهكذا إلى أن نصل إلى آخر المجموعات لدينا وأول المجموعات لدى ابن جنى، لكن هذا التصنيف يلقى صعوبة فى التنفيذ وبخاصة عند المطابقة والمقارنة.

لعل أول ما يثير دهشتنا، وهو وجود الألف ضمن مجموعة الأصوات الحلقية (أقصى الحلق) عند ابن جنى، على الرغم من أنه جعل الهمزة بداية لها، وجعله الهمزة فى بداية تلك المجموعة يدل حقيقة على دقة وحسن مذاق. أما دهشتنا، بل واعتراضنا فهو على وضعه الألف فى هذا الموضع، بين الهمزة والهاء ولسنا نجد ـ فى الحقيقة ـ مبرراً يسوغ وقوعها فى هذا

الموضع وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الباحثين يحاولون تلمس العذر لابن جنى، وهم يفسرون ذكر الألف بعد الهمزة، أنه ذكرها على سبيل الترادف، ولكن هذا العذر يفتقر إلى الدقة، حيث ان ابن جنى عندما ذكر الألف، فإنه عطفها على الهمزة، باعتبارها حرفًا أو صوتًا مستقلا، وبالطبع فإن هذا العطف الذى استخدمه، لا يخفى على ابن جنى ذلك العالم بأسرار الاستعمال اللغوى السليم فى أن العطف يقتضى المغايرة بين المتعاطفين!!.

كما نلاحظ أن ابن جنى يقدم القاف إلى الأمام على كل من الغين والخاء بالرغم من وضوح كون القاف أعمق مخرجًا وأدخل من كل من الغين والخاء!!.

كان ابن جنى دقيقًا إلى حد ما فى ترتيبه مجموعة الأصوات الحنكية، غير أنه جعل الجيم أسبق من الشين، والصحيح هو العكس فى عرف الدراسات الحديثة.

لم يكن ابن جنى موفقا فى وضعه الضاد[1] بين مجموعة الأصوات الحنكية والأصوات اللثوية وهى (ل ر ن) كما أنه قسم الأصوات اللثوية إلى مخارج ثلاثة مستقلة، ولا بأس فى ذلك، غير أنه قدم النون على الراء.

قسم ابن جنى مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية، التى تعد أكبر المجموعات وأثراها فى الدراسات اللغوية الحديثة، قسمها إلى قسمين، وفصل الضاد منها وأخرها كما أسلفنا، وهذا التقسيم لا بأس به، غير أنه قدم الطاء على الدال والتاء، كما أنه قدم الصاد على الزاى والسين.

---

(١) سنعرف تفصيلات أكثر حول الضاد من حيث مخرجها وصفاتها فيما بعد.

كان ابن جنى دقيقًا إلى درجة فائقة فى تحديده مجموعة الأصوات الشفوية فجاءت متطابقة تمام المطابقة مع ترتيبها فى الدراسات اللغوية الحديثة.

بعد هذا المقارنة، نستطيع أن نقرر أن ما توصل إليه ابن جنى من تحديد لمخارج الأصوات يعد عملاً علميا رائعًا، يدل على ذكاء صاحبه وحسن تذوقه للأصوات، فمظاهر الخلاف فيما بين الدراسات اللغوية الحديثة وبينه يسيرة إلى حد بعيد، باستثناء وضعه الألف فى موضع الهمزة والهاء على الرغم من كونها من الحركات الخالصة.

بعد هذا العرض لمواضع الخلاف بين العلماء العرب القدامى والدراسات اللغوية الحديثة فى ترتيب مخارج الأصوات الصامتة يجدر أن نقدم أبرز أوجهِ الخلاف فى تلك الصوامت من خلال صفاتها الأخرى المتعددة، المتمثلة فى الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والتفخيم والترقيق، وغيرها من الصفات.

ويمكننا أن نحصر الأصوات الصامتة، التى تمثل خلافًا فى الأصوات الخمسة الآتية:

١- الضاد.

٢- الطاء.

٣- الجيم.

٤- الكاف.

٥- العين.

أولا: الضاد

التفسير الصوتي للضاد (ض) في الدراسات اللغوية الحديثة:

وهو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم.

التفسير الصوتي للضاد (ض) عند العرب القدامى:

وهو صوت من أول حافة اللسان أو جانبه احتكاكي مفخم.

فالضاد في التفسير اللغوي الحديث تنطق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا التصاقًا يمنع مرور الهواء، ويرتفع الطبق فيلتصق بالحائط الخلفي الحلقي، فينسد التجويف الأنفي، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فيحدث التفخيم، ثم يندفع الهواء في مجراه في حالة انفجار، وتتذبذب الأوتار الصوتية في أثناء النطق به.

أما عند العرب القدامى، فإنها تختلف من حيث مخرجها.

يرى الخليل أنها من الأصوات الغارية، وهو يجعلها في حيز تلك الأصوات، فيقول «ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد»(١).

أما سيبويه فيقول: «ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد»(٢).

ويتفق معه ابن جني فيقول: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر»(٣).

(١) العين ١/ ٦٤.
(٢) الكتاب ٢/ ٤٠٥.
(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٢.

ويوضح ذلك المبرد فيقول: «الضاد مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجرى له فى الأيمن، وبعضهم تجرى له فى الأيسر»(١).

ويورد سيبويه نصا آخر نفهم منه أن الضاد التى وردت عند العرب ضاد أخرى تختلف عن ضادنا من حيث مخرجها وصفاتها، فهو يقول: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شىء غيرها»(٢).

ويفهم من هذا النص أن الضاد التى وصفها سيبويه، لا تتفق فى مخرجها مع الضاد فى الدراسات اللغوية الحديثة، إذ إنها عند سيبويه ليس لها نظير مرقق من مخرجها.

كما أن سيبويه يصرح أن الضاد صوت احتكاكى (رخو) حيث يقول: «ومن الأصوات الرخوة، وهى الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاى والسين والظاء والثاء والذال والفاء»(٣) كما أنهم لم يذكروها ضمن الأصوات الشديدة الانفجارية عندهم التى يجمعونها فى قولهم (أجدت طبقك) ويؤكد اعتبارها من الأصوات الاحتكاكية نص لابن جنى يقول فيه: «وأما الضاد فلأن فيها طولاً وتفشيًا، فلو أدغمت فى الطاء لذهب ما فيها من التفشى، فلم يجزه ذلك»(٤) ونص ابن جنى يؤكد صراحة كونها صوتًا رخوًا (احتكاكيا).

(١) المقتضب للمبرد ١٩٣.

(٢) الكتاب ٢/ ٤٠٦.

(٣) الكتاب ٢/ ٤٠٦.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٤.

وقد أدرك هذه الصفة الرخوة (الاحتكاكية) للضاد عند العرب كل من المستشرق: (شاده) (وبرجشتراسر) فيقول «شاده» عن سيبويه أنه: «عد من الحروف حرفًا خرج منها بعد فى كثير من اللهجات العربية، وهو الضاد، فإنها ليست الآن من الرخاوة إلا فى لفظ من قال: ضرب مثلاً، بضاد جانبية المخرج، وأما فى النطق المعتاد فى مصر، يعنى بضاد مقدمة المخرج، فقد لحقت فيه الشديدة»(١). ويقول برجشتراسر: «أما الضاد فهى الآن شديدة عند أكثر أهل المدن، وهى رخوة (عند القدماء) كما هى الآن عند أكثر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوى الحاضر نفس لفظها العتيق لأن مخرج الضاد (عند القدماء) فى حافة اللسان، ومن القدماء من يقول: من جانبه الأيسر، ومنهم من يقول: من الأيمن، ومنهم من يقول: من كليهما، فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد العتيقة حرف غريب جدًا، غير موجود ـ حسبما أعرف ـ فى لغة من اللغات إلا العربية، ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد، ويغلب على ظنى أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقًا قريبًا منه عند أهل حضر موت وهو كاللام المطبقة، ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك، ولذلك استبدلها الأسبان بصوت (Ld) فى الكلمات العربية المستعارة فى لغتهم، مثال ذلك أن كلمة: (القاضى) فى الأسبانية Alcalde ومما يدل أيضًا على أن الضاد كانت فى نطقها قريبة من اللام، أن الزمخشرى ذكر فى

(١) الأصوات عند سيبويه وعندنا ٩.

كتابه: (المفصل) أن بعض العرب كانت تقول: (الطجع) بدل (اضطجع) ونشأ نطق الضاد من هذا النطق البدوى باعماد طرف اللسان على الفك الأعلى، بدل تقريبه منه فقط، فصار الحرف بذلك فى نطقه شديداً بعد أن كان رخواً[١].

أما كانتينو فإنه يقول: «إن النطق القديم كان (ظْ لْ) أى ظاء ذات زائدة انحرافية، أى بتقريب طرف اللسان، من الثنايا كما فى النطق بالظاء، وبأن يجرى النفس لا من طرف اللسان فقط، بل من جانبيه أيضًا»[٢] ويرى د/ أنيس أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى ما نعهده من نطق فى مصر، وأن هذا التطور قد تم فى عهد ابن الجزرى، أى فى القرن الثامن الهجرى، فهو يقول فى كتابه التمهيد: إن المصريين وبعض المغاربة ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة.

ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما الظاء، كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف الذى روى لنا عن الضاد القديمة، والذين مارسوا التعليم فى بلاد العراق يذكرون كيف يخلط التلاميذ هناك بين الظاء والضاد، والضاد القديمة ـ كما تخيلتها ـ يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهى نطقه بالظاء، فهى إذن مرحلة وسط فيها شىء من شدة الضاد الحديثة وشىء من رخاوة الظاء العربية ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة»[٣].

---

(١) التطور النحوى ١٨.

(٢) دروس فى علم الأصوات ٨٦.

(٣) الأصوات اللغوية ٤٩.

ويرى د/ بشر أن قول «يوهان فك» إن الضاد فى الأصل هى النظير المفخم للدال، أى أنها حينئذ كانت تشبه ضادنا الحالية أو هى هى غير أن هذا الصوت ـ فى نظره ـ قد تغير فيما بعد فى اللغة الدارجة أو المولدة بسبب اختلاط العرب بغيرهم منذ بداية الفتوح الإسلامية الأولى».

ويقدم د/ بشر نص يوهان فك الذى يقول فيه «ويتعلق بهذا ـ أيضًا ـ (أى اكتساب اللغة المولدة بعض السمات الصوتية والصرفية والنحوية الجديدة) تغيير حرف الضاد. وهذا الصوت الذى هو فى أصله الحرف المطبق القسيم للدال خاص بالعربية، بحيث يسمى العرب فى أحد الأحاديث المشهورة الناطقين بالضاد، كما يقدم نصا آخر ليوهان فك يقول فيه: فمن الناس من ينطقها كالدال، وغيرهم كالطاء، وآخرون يومئون إليها بالطاء، كما أن بعض الناس ينطقها دالاً مفخمة، وبعضهم ينطقها دالاً عامية، وأخيرًا ينطقها بعضهم لامًا مفخمة»(١).

ويرى د/ بشر أن العرب ربما أخطئوا فى وصف الضاد، وربما وصفوا الضاد المولدة، لا الضاد العربية الأصلية، ثم رجح الرأى الأول(٢).

ويقول أستاذنا الدكتور/ رمضان عبد التواب: «وإذا نظرنا إلى اللغات السامية، وجدنا أن الضاد العربية تقابل صادًا فى اللغة الأكادية والأوجارتية والعبرية، فكلمة «أرض» فى العربية تقابل كلمة reṣetu وفى الأكادية وكلمة ṣrs فى الأوجارتية وكلمة ares فى العبرية، كما تقابل الضاد عينا فى السريانية مثل arca بمعنى «أرض» كذلك(٣).

(١) العربية ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) انظر: علم اللغة العام، الأصوات ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٦٨ - ٦٩.

ولم تبق ضاداً إلا فى العربية الشمالية، والعربية الجنوبية (السبئية والمعينية) والحبشية، مثل كلمة arḍ فى العربية الجنوبية بمعنى «أرض» كذلك[١] وكلمة Ḍahay بمعنى «الشمس ـ الضحى» فى الحبشية»[٢] وتقول «ماريه هفنر» أن هذه الضاد احتكاكية فى الحبشية، ولا بد أنها كانت كذلك فى العربية الجنوبية والدليل على صحة ذلك، ورود بعض الكلمات التى كتبت بالضاد فى بعض النقوش، وبالزاى فى بعضها الآخر، فلو كانت هذه الضاد انفجارية، لما التبستْ على الكاتب إطلاقا، فدلت كتابة إياها بصورة الزاى على أنها كانت احتكاكية»[٣].

وهكذا نرى أن الآراء قد تعددت واختلفت حول وضع الضاد، وكذا فى السر حول تسمية اللغة العربية بلغة الضاد! ويرجع د/ أنيس السر فى هذا الاختلاف إلى أن الضاد كانت من الحروف العسيرة النطق على الأعاجم من غير العرب، فيقول: «يظهر أن الضاد القديمة، كانت عصية على أهالى الأقطار التى فتحها العرب، أو حتى على بعضْ القبائل العربية فى شبه الجزيرة، ومما يفسر تلك التسمية القديمة (لغة الضاد) كما يظهر أن النطق القديم بالضاد كان أحد خصائص لهجة قريش[٤].

ومما يؤكد وجهه نظر د/ أنيس، قول ابن الجزرى: «والضاد انفرد

---

(١) موسكاتى An Introduction وكذا بروكلمان C. Brokelmann. Crundriss, 1128

(٢) انظر: كتاب «بريتوريوس» Praetorius, Athiop Grammatik, 8

(٣) انظر: M. Hofiner, Altsùdarabische Grammatik 18

(٤) الأصوات اللغوية ٤٩.

بالاستطالة، وليس فى الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يخرجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخمة، ومنهم من يشمه الزاى، كل ذلك لا يجوز»(١).

ويقدم الدكتور/ رمضان عبد التواب، مجموعة من الأمثلة من كتب اللغة تؤكد ذلك، فمن ذلك ما حكاه أبو الطيب اللغوى من قوله فى أمثله الضاد والظاء «الحضل والحظل» فساد يلحق أصول سعف النخل(٢) ومن أمثله الضاد والذال «ما ينبض له عرق نبضًا، وما ينبذ له نبذًا، وقد نبض العرق ينبض ونبذ ينبذ إذا ضرب»(٣) ومن أمثله الضاد واللام «تقيض فلان أباه وتقيَّله، وتقيضًا وتقيلاً إذا نزع إليه فى الشبه»(٤) ومن أمثله الضاد والزاى: «أنا على أوقاز، وعلى أوقاض، أى على عجلة»(٥) كما وردت أخبار تؤكد أن الناس كانوا يخلطون بين الضاد والظاء فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى أبو على القالى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين، أيضحى بضبى؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبى؟! قال: إنها لغة، قال: انقطع العتاب ولا يضحى بشىء من الوحش»(٦) وذكر الجاحظ

(١) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢١٩.
(٢) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٧٠.
(٣) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ١٦.
(٤) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٢٧٧.
(٥) الإبدال ٢/ ١٣٨.
(٦) ذيل الأمالى والنوادر للقالى ١٤٣ كذا المزهر ١/ ٥٦٢ - ٥٦٣ برواية أخرى.

بعضًا من هذا الخلط فى كتابه البيان والتبيين فيقول: «زعم يزيد مولى ابن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها، قال: يا ضمياء، بالضاد، فقال ابن المقفع: قل يا ظمياء! فناداها: يا ضمياء، فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثًا، قال له: هى جاريتى أو جاريتك؟!»(١).

ويذهب براجشتراسر إلى أن نطق الظاء كان قريبًا من نطق الضاد، وكثيرًا ما تطابقتا وتبادلتا فى تاريخ العربية، وأقدم مثال لذلك، مأخوذ من القرآن الكريم وهو (الضنين) فى سورة التكوير ٨١/ ٢٤، فقد قرأها كثيرون بالظاء مكان الضاد، التى رسمت فى كل المصاحف، وممن قرأها بالظاء: ابن كثير وأبو عمرو والكسائى، وكذلك النبى ﷺ كما قال مكى فى كتاب الكشف(٢) ويرى المفسرون أن المعنى مختلف على القراءتين، فهى بالضاد بمعنى «بخيل» وبالظاء بمعنى «متهم»(٣).

ويرى الدكتور/ رمضان عبد التواب أن هذا الخلط بين الصوتين كان قد شاع فى القرن الثالث الهجرى حيث يقول: «ولعل هذا الخلط بين صوتى الضاد والظاء، كان قد شاع فى القرن الثالث الهجرى، وكان هذا هو السر فيما ذهب إليه أبو عبيد الله محمد بن زياد الأعرابى، اللغوى المشهور (المتوفى سنة ٢٣١هـ) من أنه يجوز عند العرب أن يعاقبوا بين الضاد

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢١١.

(٢) التطور النحوى ١١ وانظر الكشف المكى ٢/ ٣٦٤. وتفسير القرطبى ٦٩/ ٢٤٢ وزينة الفضلاء ٩٧.

(٣) انظر: الكشف ٢/ ٣٦٤، القرطبى ١٩/ ٢٤٢، وزينة الفضلاء ٩٧.

والظاء، فقد روى ابن خلكان أن ابن الأعرابى كان يقول: «جائز فى كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطئ من يجعل هذه فى موضع هذه، وينشد:

إلى الله أشكو من خليل أوده

ثلاث خصال كلها لى غائض

بالضاد بدل (غائظ) ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب[١] وما يزال أثر هذا الخلط بين صوتى الضاد والظاء موجوداً حتى الآن فى بلاد الخليج العربى والعراق وتونس من بلاد الشمال الأفريقى، وما يزال هؤلاء القوم ينطقون بالضاد والظاء قريبين من صوت الظاء، بل أن لنا شبه من التلاميذ عندهم يجدون صعوبة فى التفريق بين الصوتين عند الكتابة، فإذا أمليت عليهم الضاد توهموها ظاء فكتبوها ظاء، ولا يدركون الفرق فيما بينهما فى أثناء الكتابة، إلا بعد المران والدراية وتقدمهم فى سنى الدراسة[٢].

(١) انظر: طبقات الزبيدى ٢١٥ وكذا وفيات الأعيان، ٣/ ٤٣٣.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية ٤٨ - ٦١، حيث العديد من وجهات النظر الأخرى حول الضاد - كذلك مشكلة الضاد والظاء، مجلة المجمع العراقى، المجلد ٢١ سنة ١٩٧١، كذلك مقدمة زينة الفضلاء لابن الأنبارى تحقيق د/ رمضان عبد التواب، كذلك مقال د/ خليل نامى: حرف الضاد وكثرة مخارجه، مجلة كلية الآداب، العدد الأول من المجلد ٢١، مايو ١٩٥٩، كذا دروس فى علم الأصوات ٨٧.

ثانيا: الطاء

التفسير الصوتى للطاء فى الدراسات اللغوية الحديثة:

هو صوت لثوى أسنانى انفجارى مهموس مفخم.

التفسير الصوتى للطاء عند العرب القدامى:

هو صوت من بين طرف اللسان وأصول الثنايا انفجارى مجهور مفخم.

ينص سيبويه على أن الطاء هى المفخم لصوت الدال بقوله: ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً[١].

ونلاحظ من خلال هذا النص أن الطاء القديمة كانت تنطق بما يشبه الضاد فى نطقنا الحديث، لأن النظير المرقق للطاء الحديثة هو صوت التاء وليس الدال، والدال هى النظير المرقق لصوت الضاد.

كما نص العلماء العرب القدامى على كون الطاء صوتًا مجهوراً، ولا سبيل إلى قبول هذا الوصف، لصوت الطاء، إلا إذا كان العرب فعلاً كانوا ينطقونها صوتًا شبيهًا بالضاد، وكما نعرف فإن الضاد فى نطقنا الحديث صوت مجهور، وقد رجح هذا الرأى كل من الدكتور/ أنيس، والدكتور/ بشر، حيث يقول د/ أنيس: «ولكن الذى أرجحه أن صوت الطاء كما وصفها القدماء كانت تشبه الضاد الحديثة لدى المصريين، ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن فى البلاد العربية فى نطقها، ثم تطور الصوتان، فهمست الأولى، وأصبحت الطاء التى نعرفها الآن، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها، فأصبحت تلك الضاد الحديثة، أى أن ما كان يسمى بالطاء، كان

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٦.

فى الحقيقة ذلك الصوت الذى ننطق به الآن نحن المصريين ونسمية ضاداً، فلما، همست أصبحت الطاء الحديثة التى فيما يظهر لم تكن معروفة فى النطق العربى القديم، أما الضاد القديمة العصية النطق، فقد تطور مخرجها وصفتها حتى أصبحت على الصورة التى نعهدها فى مصر»[١] ويستدل د/ أنيس على صحة رأيه بقوله: «ويؤيد هذا ما نسمعه من نطق أهل اليمن وبعض البدو للطاء فى كلمة مثل «مطر وأمطار» كأنما هى «مضر وأمضار» فالطاء القديمة المجهورة لا نزال نسمعها فى بعض اللهجات الحديثة»[٢]:

فى حين يجعل د/ بشر للأمر ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون العرب قد أخطئوا فى وصف الطاء بأنها صوت مجهور ويستدل على ذلك بعدم إشارة علماء العرب إلى وظيفة الوترين الصوتيين فى عمليتى الهمس والجهر.

أما الاحتمال الثانى: فهو يتفق مع د/ أنيس فى أن العرب كانت تنطق الطاء بما يشبه الضاد، ثم تطورت الطاء القديمة إلى أن أصبحت على ما هى عليه.

أما الاحتمال الثالث: فهو يرى أنهم ربما كانوا ينطقون الطاء بما يشبه الطاء التى ينطقها بعض أهالى الصعيد وبعض السودانيين الآن وهو صوت طاء مشربة بالتهميز، أى يشعر المستمع بأنها تنطق مصحوبة بصوت الهمزة»[٣] وقد ذكر ذلك د/ تمام حسان، حيث يقول: «إن الطاء القديمة

(١) الأصوات اللغوية: ٦٢.

(٢) الأصوات اللغوية: ٦٢.

(٣) علم اللغة العام، الأصوات ١٠٣ - ١٠٤.

كانت مهموسة، غير أنها كانت ذات نطق مهموز، وهذا هو ما أوقع اللغويين القدامى فى الخطأ، حين عدوا هذه الطاء مجهورة، فيقول: «أما الطاء التى وصفها لنا القراء القدماء مجهورة على ما رأوا وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة، ففى بعض اللهجات العامية المعاصرة، صوت من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز، ولإيضاح ذلك نقول: إن طرف اللسان ومقدمته، يتصلان فى نقطة بالثنايا واللثة، وتعلو مؤخرة اللسان وتتراجع إلى الخلف فى اتجاه الجدار الخلفى للحلق، ويقفل المجرى الأنفى للهواء الخارج من الرئتين بخلق اتصال بين الطبق والجدار الخلفى للحلق وفى نفس الوقت، تقفل الأوتار الصوتية، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الرئتين، وبذلك تتكون منطقة فى داخل الفم والحلق، يختلف ضغط الهواء فيها عنه فى الرئتين وفى الخارج، وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحركة، التى وصفنا اتصالها فى وقت ما، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج، ويندفع الهواء الخارجى إلى الداخل، فيحدثان بالتقائها أثراً صوتيا هو صوت الطاء كالتى تنطق فى بعض لهجات الصعيد مثلاً، ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية ـ حين النطق ـ فأصبح عنصر الهمز جزءا لا يتجزأ من نطقها.

هذه الطاء مهموسة قطعًا، لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر ويرجح عندى أن الطاء العربية الفصحى القديمة، التى وصفها القراء كانت فى صوتها وفى نطقها بهذا الوصف، ثم بقرابة صوتها على السمع،

أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة فى دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرققا لها»[١].

أما برجشتراسر فإنه يرى أن الطاء كان صوتًا مجهوراً، كما يرى ذلك القدماء، وأنها تشبه الضاد الحديثة، التى تطورت فضاع منها الجهر، وأصبحت تلك الطاء الحديثة، التى لم يكن لها وجود أصلاً فى العربية الحديثة[٢]، يقول برجشتراسر: «الطاء مهموسة اليوم مجهورة (عند العرب) ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماما»[٣] فى حين يرى «شاده» عكس ذلك، وأن نطق الطاء المجهورة ما يزال موجوداً فى جنوب الجزيرة العربية فهو يقول: «سيبويه يُعِدُّ من المجهورة الطاء والقاف، وفى لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية فى إنتاجهما، ولكن ذلك لا يصح إلا عن لفظ المدارس (يقصد الفصحى الحالية) وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإن سكان جنوب جزيرة العرب مثلاً، ينطقون الطاء كأنها ضاد المصريين والقاف كأنها جيم المصريين بإطباق، فيقولون مثلا: (وجع فوجنا مضر) يعنى: وقع فوقنا مطر، أو (قضعت ورجة) يعنى: قطعت ورقة.

ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب، من اللهجات العصرية[٤].

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ٩٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٧٥.

(٣) التطور النحوى ٩.

(٤) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ١٣.

ثالثا: الجيم (الفصيحة).

التفسير الصوتى للجيم فى الدرس اللغوى الحديث:

هو صوت غارى مركب (مزدوج) مجهور.

التفسير الصوتى للجيم عند العرب القدامى:

هو صوت غارى انفجارى.

تلاحظ أن العرب يجعلون الجيم صوتًا انفجاريا صرفًا، ولذلك وضعوه ضمن الأصوات الانفجارية وهى «أجدت طبقك» وهذا يخالف ما نحن عليه الآن من نطق الجيم عند المجيدين من قراء القرآن الكريم إذ إنهم ينطقونها صوتًا مركبًا، حيث ترتفع مقدمة اللسان فى أثناء نطقها نحو الغار، حتى يتصل به اتصالاً يحجز الهواء، من المرور، ثم ينفصل عضوا النطق ببطء، فيخرج الهواء محتكا احتكاكا يشبه نطق الشين المجهورة (ج) فيخرج صوت الجيم (ج) الفصيح كأنه صوت دال مغور، يعقبه صوت شين مجهور.

ويقول د/ بشر: «فهذا الصوت إذن مركب، الجزء الأول منه صوت قريب من الدال، والثانى صوت معطش كالجيم الشامية، أو الجزء الأول منه صوت قريب بجيم القاهرة، والثانى يشبه الجيم الشامية، وهذان الافتراضان مبنيان على أساس الاختلاف فى موضع نطق هذا الصوت عند المتكلمين، والاحتمال الأول يفسر نطق هذا الصوت المركب بالدال، كما يفعل أهل الصعيد فى نحو: «ديش» بدلا من «جيش» والاحتمال الثانى يفسر نطق القاهريين له «بالجيم الانفجارية الخالصة»[1] كما يفسر د/ بشر جعل العرب صوت الجيم انفجاريا من خلال أمرين اثنين:

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٢٦.

١- أنهم ربما وصفوا الجيم بالانفجار من خلال قصرهم هذا الوصف على الجزء الأول من نطق الجيم، وهذا الجزء يتمثل فى انطباق مقدم اللسان مع الغار انطباقًا تاما يمنع مرور الهواء ثم يحدث بعد ذلك (الانفجار) باعتبار أنهم لم ينظروا إلى المرحلة الثانية من نطق الجيم.

٢- أنهم وصفوا جيمًا أخرى، تشبه تلك التى نسميها بالجيم القاهرية وهذه الأخيرة صوت غارى انفجارى مجهور(١).

ويميل الدكتور/ بشر إلى صحة هذا الرأى الأخير(٢) وهذا هو الرأى الذى قال به أنوليتمان، فهو يؤكد أن نطق هذا الحرف الأصلى كان (Gīm) كما هو الآن فى مصر، وكما كان ويكون فى اللغات السامية الباقية، مثلا كلمة «جمل» فى العبرية Gāmāl وفى السريانية Gamlā مع الألف التى هى أداة التعريف وفى الحبشية Gamal، ويوجد Gāmalu أى رحم فى الأكدية، وتاريخ هذا النطق كما يأتى: فى الابتداء تغير نطق Gīm فصار ǦGīm قبل حركة الكسرة فقط.. ثم لفظت الـ Gīm عند أهل الحجاز ǦGīm إذا وقعت قبل كل الحركات أى الفتحة والضمة والكسرة، وكان هذا النطق نطق القرشيين فى زمان النبى ﷺ فصار نطق القرآن الشريف(٣).

وعلى ذلك فإن صوت الجيم الفصيح الذى تنزل به القرآن الكريم، صوت تطور عن صوت الجيم القديم (القاهرى).ومما يؤكد ذلك، قولهم عن

(١) انظر: علم اللغة العام ١٢٦.

(٢) انظر علم اللغة العام ١٢٦.

(٣) د/ أنولتيمان، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، جـ١، ١٩٤٨ ص ١ - ٢.

صوت بين القـاف والكاف والجيم أنها لغـة سائرة فى اليمن مـثل جمل، إذا اضطروا قالوا «كمل»[١] وقد أشار إلى ذلك أيضا أنولتيمان بقوله: «قد روى عند النحـويين (كـمل) فى جـمل و (ركل) فى رجل و (ركب) فى رجب و (كبهة) فى جبهة.

وعلى الأرجح فى هذه الكـلمات يـوجد النـطق الأصلى، يعنى الجـيم المصـرية والسامية العـامة، ولكن النحويين كتـبوا كافًا لعـدم الإشارة للنطق الصحيح[٢].

ويؤكد د/ بشر أن هذا الصوت، هو صـوت الجيم القاهرية لأنه الصوت الذى يتفق وتفسيرهم عنه بالجهر، ويعلل كتابتهم له بالكاف بأمرين هما:

١- أنهم خافوا أن يكتبوها جيما، فيظن أنهـا الجيم الفصيحة المعروفة، فكتبوها كافا لأنها أقرب إلى الجيم مخرجًا وانفجارًا.

٢- أن من المحتـمل أن يكونوا كتبوها جافا فـارسية (گ) أى الـكـاف بشرطة، ثم ضاعت الشرطة بفعل النساخ[٣].

رابعا: القاف

التفسير الصوتى للقاف فى الدرس اللغوى الحديث (كما ينطقها مجيدو القراءات فى مصر):

هو صوت لهوى انفجارى مهموس.

---

(١) الصاحبى ٢٥.

(٢) أنولتيمان ٣.

(٣) علم اللغة العام، الأصوات ١٢٧.

التفسير الصوتى للقاف عند العرب القدامى:

كما وصفها سيبويه، وقد تابعه فى ذلك ابن جنى وغيره، يقول سيبويه، بأنها «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى»(١).

أى أنها صوت من أقصى الحنك (حنكية) ويحصر د/ بشر الخلاف فى موضع النطق فى أمرين هما:

١- لعل العلماء العرب قد أخطئوا فى تقدير المخرج الدقيق للقاف.

٢- يرجع د/ بشر أن العرب ربما تحدثوا عن قاف أخرى تختلف عن قافنا، وهم ربما يقصدون بذلك صوت الجاف (الفارسية) ذلك الصوت الذى نسمعه فى بعض جهات الصعيد وريف الوجه البحرى(٢).

ويرى د/ أنيس أنهم وصفوا صوتًا قريبًا من الغين فيقول:

«نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنه ربما كان يشبه تلك القاف المهموسة التى نسمعها الآن بين القبائل العربية فى السودان، وبعض القبائل فى جنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقًا يخالف نطقها فى معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعًا من الغين، لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذى نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية، ثم همس مع توالى الزمن وأصابته صفة الشدة، فأدى هذا إلى ما نعهده فى قراءتنا، إذًا لا فرق بين نطق السودانيين للقاف، وبين نطق المجيدين للقراءة من المصريين لها إلا فى أنها مجهورة، وأميل إلى الرخاوة

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

(٢) علم اللغة العام ١١٠.

عند السودانيين مهموسة شديدة عند المصريين أو بعبارة أدق هى كذلك فى معظم اللهجات العربية الحديثة(١).

ويرجح كانتينو كون القاف مجهورة بقوله: «وبما أن قسمًا كبيراً من الألسن الدارجة العربية، ينطق بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان بالفعل حرفًا مجهوراً فى العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموسًا فى العربية الفصحى اليوم، ناتجًا عن كونه أصبح مهموساً فى اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدنى»(٢).

ويقول الدكتور/ رمضان عبد التواب: «يبدو أن القبائل العربية، لم تكن تنطق القاف بصورة موحدة»(٣) ويستدل على هذا التنوع والتعدد فى نطق القاف بقول ابن دريد: «فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدًا، فيقول: الكوم يريدون القوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف، وهذه لغة معروفة فى بنى تميم، قال الشاعر:

ولا أگون لگدر گد نضجت

ولا أگول لباب الدار مگفول(٤)

---

(١) الأصوات اللغوية ٨٤ - ٨٥.

(٢) دروس فى علم أصول العربية ١٠٧.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٧٩.

(٤) جمهرة اللغة ١/ ٥ وعلق كرنكو فى الهامش بقوله: «معنى تغليظ القاف التلفظ بالكاف الفارسية، انظر كذلك الصاحبى ٣٦ (البيت لأبى الأسود الدؤلى... ويروى لحاتم الطائى ولغيره).

ويستعرض الدكتور/ رمضان عبد التواب الصور المختلفة لنطق القاف بقوله:

وقد تطورت القاف فى اللهجات العربية الحديثة، تطوراً كبيراً، فهى فى كلام أهل مصر والشام همزة، كما تنطق غيناً فى بعض مستويات النطق فى السودان، وجنوبى العراق، وفى بعض الكلمات فى مصر مثل: يقدر > يغدر.

وتسمع جيما كالجيم القاهرية فى بعض البيئات بصعيد مصر، وبين كثير من قبائل البدو فى الصحراء(١).

ويقدم الدكتور/ رمضان عبد التواب مجموعة من الأمثلة الواردة فى كتب اللغة عن إمكانيات النطق الثلاث للقاف، وهى نطقها بالهمز تارة، والغين أخرى والجيم القاهرية ثالثة: فمن الأمثلة التى وردت فيها القاف والهمزة ما رواه أبو الطيب اللغوى من قول العرب: «قشبه وأشبه، أى لامه وعابه، والقوم زهاق مائة وزهاء مائة، أى قريب من مائة، والقفز والأفز، أى الوثب»(٢).

ومن الأمثلة التى وردت فيها القاف والغين، قولهم:

غلام أقلف وأغلف، أى لم يختن، والقمز من الناس والغمز، أى الرزال ومن لا خير فيه وقلقل الأرض وغلغل، أى ذهب فى الأرض(٣).

ومن أمثلة القاف والجيم قولهم:

(١) المدخل إلى علم اللغة، ٨٠.

(٢) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٥٦١ - ٥٦٢.

(٣) الإبدال ٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩.

بائقة وبائجة، للداهية، وحبق وجبج أى ضرط، وأحنق وأحنج أى ضمر الفرس وتلقفت البئر وتلجفت، أى أكل الماء جوانبها، وزلّقت الموضع وزلّجته أى ملّسته(١).

ولا شك أن ورود القاف بهذه الصور النطقية الثلاث، إنما يرجع إلى تعدد مخرجها فى حالة من هذه الحالات الثلاثة «وتطور الصوت بتغير مخرجه، يكون بأحد طريقين، إما بانتقال المخرج إلى الوراء أو إلى الأمام باحثًا الصوت فى انتقاله عن أقرب الأصوات شبها به من الناحية الصوتية، فتعمق القاف فى الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهمزة لوجود صفة الشدة فى كل منهما، فليس غريبًا إذن أن تطورت القاف فى لغة الكلام عندنا إلى الهمزة، أما فى الانتقال لمخرج القاف إلى الإمام، فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى الجيم القاهرية، وقد رجح تطور القاف فى لغة البدو وبعض أهالى صعيد مصر إلى الجيم القاهرية، أن القاف فى الأصل صوت مجهور فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور ـ أيضًا ـ يشبهها صفة، لهذا اختارت القاف فى تطورها الأمامى الجيم دون الكاف، لأن كلا من القاف الأصلية، والجيم القاهرية صوت شديد مجهور(٢).

ويجدر أن نقدم الوصف الصوتى لإمكانيات نطق القاف الثلاث على النحو التالى:

---

(١) الإبدال ١/ ٢٣٩ - ٢٤٥.

(٢) الأصوات اللغوية ٨٦.

١- **القاف الفصيحة:** كما ينطقها مجيدو القراءات فى مصر هو صوت لهوى انفجارى مهموس.

٢- **القاف العامية:** كما ينطقها أهل الريف المصرى وبعض الشوام هو صوت حنجرى انفجارى مهموس (أى صوت الهمزة).

٣- **القاف العامية:** كما ينطقها أهل الصعيد وبعض ريف الوجه البحرى فى مصر.

وهو صوت طبقى (من أقصى الحنك) انفجارى مجهور (أى صوت الجيم القاهرية).

ثمة حالة رابعة لنطق القاف، بأن تنطق غينًا بتعميق النطق فى الطبق أكثر من الجيم، وتلك الحالة ينطقها السودانيون وبعض أهالى جنوب العراق. وبعض الكلمات المحدودة من العامية المصرية مثل قولهم فى يقدر يغدر.

خامسا: العين

التفسير الصوتى للعين فى الدرس اللغوى الحديث:

هو صوت حلقى احتكاكى مجهور مرقق.

التفسير الصوتى للعين عند العرب القدامى:

عند سيبويه وغيره، أنه صوت من الأصوات المتوسطة، ويفسر ذلك د/ تمام حسان بقوله: «وربما كان ذلك، لعدم وضوح الاحتكاك فى نطقه وضوحًا سمعيًا، ولكن الأصوات المتوسطة، تشترك جميعها فى خصائص، ليست موجودة فى نطق العين، وأوضح هذه الخصائص هو حرية مرور الهواء فى المجرى الأنفى، أو المجرى الفمى، لأن سد طريقه أو عرقلة

سيره، بالتضييق عند نقطة مـا، وقد اتضح بصورة الأشعة، أن فى نطق العين تضييقًا كبيرًا للحلق، وهذا ما يدعونا وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك، إلى اعتبار صوت العين رخوًا لا متوسطًا[١].

أما د/ بشر فإنه يرى أن فى العين شبـهة كبيرة، حيث يقول: «ذلك لأن العين كمـا قدمنا، وإن كانت احتكـاكية ـ لم تزل أقل الأصوات الاحتـكاكية احتكاكًا، وقلة الاحـتكاك مسوغ ظاهر لضمها إلى هذه الأصـوات المتوسطة (أشباه الحركات) والعين. . تمثل حقـيقة فى تعرف خواصها، تلك الخواص التى لم يزل بعـضهـا غيـر واضح لنا وضـوحًا تامـا ـ ومهـما يكن من أمـر فالواجب تفـسير لمـصطلح «أصوات مـتوسطة» فان المـقصود أنهـا أصوات متوسطة بين الصامتة بعامـة والحركات لا بين الأصوات الشديدة (الانفجارية) والاحتكاكـية (الرخـوة) ويبدو أن من سـماها كـذلك من العرب، قـد خانه التوفيق فى التعبير[١].

والحق أن نطق العيـن عند العرب، يمثل صـعوبة كبـرى، ولا نجد من ينطقها عينًا البتة، إذ إنهم ينطقونها فى معظم الأحوال همزة.

ولعل تفسير ذلك من الناحية الصوتية أمر شبيه بظاهرة العنعنة عند تميم، ولكنها بطريقـة معكوسة، فبـدلاً من قلب الهمزة عينًا، تقلب العـين همزة، وعلى أية حال، يمكن تبرير ذلك فى ضوء التفسير الصوتى لظاهرة العنعنة.

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ١٠٢.

(٢) علم اللغة العام ١٣٢.

ثانيا: الحركات

يعرف دانيال جونز الحركات بأنها: «أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها» على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكًا مسموعًا[١].

تعد الحركات Vowels هى القسم الرئيسى الثانى من الأصوات اللغوية، وقد اهتم علماء الأصوات ببحثها وضبطها، بقطع النظر عن انتسابها إلى لغة معينة، فقد لاحظ العلماء أن اختلاف الحركات بين اللغات المختلفة اختلافًا كبيرًا، يصعب معه النطق السليم للغات الأجنبية ونظرًا لكثرة دوران الحركات على ألسنة المتحدثين، فإن أى انحراف عن نطقها بالطريقة المألوفة لأصحابها، يؤدى إلى الخطأ أو سوء الفهم.

ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات الهامة، التى يجب أن نتعرفها قبل أن نشرع فى دراسة الحركات[٢]:

١- تختلف الحركات من لغة إلى أخرى اختلافًا كبيرًا، وتستطيع أن تتأكد من ذلك حين تحاول المقارنة بين الحركات فى اللغة العربية واللغة الإنجليزية، فالحركات الأساسية فى العربية هى ثلاث حركات، فى حين تشتمل الإنجليزية على إحدى وعشرين حركة، بل أن حركات لهجة معينة تختلف عن لهجات اللغة المشتركة الأخرى اختلافًا واضحًا.

٢- إن نطق الحركات أصعب بكثير من نطق الأصوات الصامتة، يتجلى

(١) انظر: الأصوات اللغوية ٢٩ وما بعدها، علم اللغة العام، الأصوات ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٢١ - ١٢٥.

الأمر فى ذلك فى نطق اللغات الأجنبية، حتى إن المتخصصين والدارسين ليجدون صعوبة فى نطق اللغات الأجنبية، بسبب حركاتها.

٣- يؤدى الانحراف فى نطق الحركات إلى سوء الفهم، وذلك بسبب القرب الشديد بين الحركات بعضها وبعض.

٤- وضوح الحركات السمعى قياسًا بالأصوات الصامتة، يجعل الانحراف فى نطقها واضحًا ومستكرهًا.

٥- كثرة ورود الحركات فى النطق بالنسبة للأصوات الصامتة، يجعل الخطأ فيها واضحًا وملموسًا.

من أجل هذه الملاحظات الهامة، كان اهتمام العلماء والدارسين بالحركات اهتمامًا كبيرًا عن الأصوات الصامتة، وذلك نظرًا لكثرة المشكلات الصوتية التى تتعلق بها.

يرجع البحث فى الحركات إلى القرن السادس عشر، ولعل «روبرت روبنسون» R. Robinson من أوائل من حاول وصف الحركات من خلال مواضع نطقها، حيث قدم رسمًا للحركات الإنجليزية على أجزاء اللسان، وما يزال هذا الرسم مستعملاً حتى الآن.

كما يعد ويلز Wallis سنة ١٩٦٣م، ممن أولوا الحركات اهتمامهم، وقد أقام وصفه للحركات فى كتابه عن «النحو فى اللغة اللاتينية» على أساس التقابلات الزوجية، سواء بالنسبة لموضع اللسان، أو بالنسبة لوضع الشفتين، حيث يكون اللسان فى نطق الحركات، إما مرتفعًا، وإما منخفضًا، وحيث تكون الشفتان فى نطق الحركات إما مستديرة وإما ممتدة[١].

(١) انظر دراسة الصوت اللغوى ١٢١ - ١٢٥.

ومن العلمـاء الذين أولوا الحركـات اهتمامـهم ـ أيـضًا ـ العـالم «جون ولكـنز» J. Wilkins توفى سنة ١٦٧٢م. الذى قدم تصنيفًـا للحركات من خلال معيارى درجة انفتاح الشفتـين وحركاتهما من جهة، وموقع اللسان فى الفم من جهة أخرى، وقد اختار على الأساس السـابق ثمانية أصوات متميزة أقام عليها دراستـه التطبيقية، وهو نفس العدد الذى اتخذه دانيـال جولز فيما بعد(١).

أما فى القرن التاسع عشر، فقد تقدمت الدراسة الصوتية للحركات تقدمًا كبيـرًا، ويعد العالم بيل Bell من أشهر من أولىٰ الحركـات اهتمامهم، وقد صنف الحركات على أساس:

١- موقع اللسان فى الفم.

٢- درجة فتح الشفتين.

بالنسبة لموقع اللسان فى الفم:

فقد قسمها بيل Bell إلى قسمين اثنين هما:

(أ) علو اللسان:

وقد قسمه إلى درجات ثلاث هى:

١- كونه مرتفعًا.

٢- كونه متوسطًا.

٣- كونه منخفضًا.

---

(١) انظر كتاب جونز An out Line 97.

.(ب) نقطة العلو:

وقد قسمها ـ أيضًا ـ إلى ثلاثة مواضع وهى:

١- مقدم الفم.

٢- مؤخر الفم.

٣- خليط منهما.

بالنسبة لدرجة فتح الشفتين:

فإنه ينتج عن ذلك الأوضاع التالية:

(أ) كوت الشفتين فى حالة استدارة.

(ب) كون الشفتين فى حالة عدم استدارة.

ثمة تصنيف ثالث، يتمثل فى الفتحة بين مؤخر الفم والزور، حيث يمكن تكبيرها لتصبح واسعة.

وبحلول القرن العشرين، فإن الدراسة الصوتية، قد توطدت وتماسكت وتقدمت، وظهر علماء لغة عديدون، أولوا الحركات اهتمامهم، ولعل من أشهر هؤلاء العلماء وأبرزهم، العالم اللغوى الشهير دانيال جونز، الذى استطاع بدراسته العلمية الدقيقة القائمة على التجريب المعملى أن يقدم وصفًا دقيقًا للحركات العالمية، وباعتبارها حركات معيارية للغات العالمية، فلم يعتمد جونز فى دراسته للحركات على لغة واحدة معينة، كما أنه لا يفترض وجود هذه الحركات فى لغة معينة كذلك فهذه الحركات إذن هى حركات لا تنسب إلى أى لغة، وإنما هى معايير أو مقاييس عامة، تنتسب إليها وتقاس عليها حركات أية لغة يراد دراستها أو تعلمها[1].

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٣٩.

وقد اعتمد جونز فى دراسته للحركات المعيارية على أساس النظر إلى عضوين أساسيين وهما:

١- الشفتان.

٢- اللسان.

(أ) بالنسبة للسان:

فقد نظر إليه باعتبارين هما:

١- وضعه بالنسبة للحنك الأعلى، من حيث ارتفاعه تارة وانخفاضه أخرى.

٢- الموضع المعين للسان، الذى يحدث فيه الارتفاع، مقدمة اللسان أو مؤخرته.

الحركات المعيارية عند دانيال جونز

ذكرنا أن جونز، يعتمد فى تصنيفه «الحركات المعيارية» على أساسين اثنين هما:

١- حالة اللسان.

٢- وضع الشفتين.

ولقد قدم جونز من خلال هذا التصنيف ثمانى حركات معيارية، وتتوزع هذه الحركات الثمانى وفقا للأساسين السابقين..

فإذا نظرنا إلى الأساس الأول وهو:

حالة اللسان:

فإنه يمكن النظر من خلال هذا الأساس إلى تقسيمين اثنين هما:

obeikandl.com

١- تقسيم الحركات بالنظر إلى الجزء من اللسان الذى يفوق غيره من الارتفاع.

٢- تقسيم الحركات بالنظر إلى درجة العلو التى يرتفع إليها اللسان.

بالنسبة للتقسيم الأول:

وهو تقسيم الحركات بالنظر إلى الجزء من اللسان الذى يفوق غيره من الارتفاع، فإنه يتحصل لنا ثلاثة أنواع من الحركات وهى:

١- الحركات الأمامية: FRONT VOWELS

وهى تلك الحركات التى يرتفع الجزء الأمامى من اللسان، فى أثناء النطق بها نحو مقدم الحنك (الحنك الصلب) أو ما يسمى بالغار.

٢- الحركات الخلفية BACK VOWELS

وهى الحركات التى يرتفع الجزء الخلفى من اللسان فى أثناء النطق بها نحو الحنك اللين (أقصى الحنك) أو ما يسمى بالطبق.

٣- الحركات الوسطى MIDLE VOWELS

وهى تلك الحركات التى تكون أعلى نقطة فى اللسان فى أثناء النطق بها، وهى وسط اللسان.

وبالنسبة للتقسيم الثانى:

وهو تقسيم الحركات بالنظر إلى الجزء من اللسان الذى يفوق غيره فى الارتفاع، فإنه يتحصل لنا أربعة أنواع من الحركات وهى:

١- الحركات الضيقة: CLOSE VOWELS

وهى الحركات التى يرتفع فيها اللسان فى أثناء النطق بها إلى أقصى درجة من منطقة الحركات.

٢- الحركات المتسعة: Open Vowels

وهى الحركات التى ينخـفض فيها اللسان فى أثنـاء النطق بها إلى أقصى درجة هبوط.

٣- الحركات نصف الضيقة Half Close Vowels

وهى تلك الحركات التى يرتفع فيـها اللسان فى أثناء النطق بها إلى ثلث المسافة من الحركات الضيقة إلى الحركات المتسعة.

٤- الحركات نصف المتسعة Half Open Vowels

وهى تلك الحركات الـتى ينخفض فيها اللسـان فى أثناء النطق بها، إلى ثلثى المسافة بين الحركات الضيقة والحركات المتسعة.

وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الأمامية

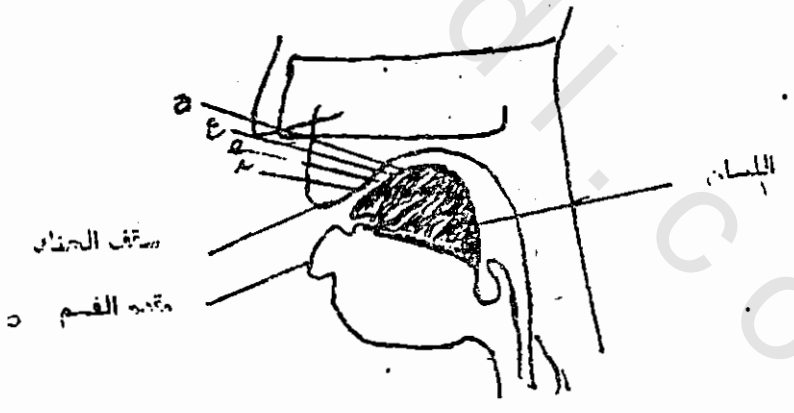

وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الخلفية

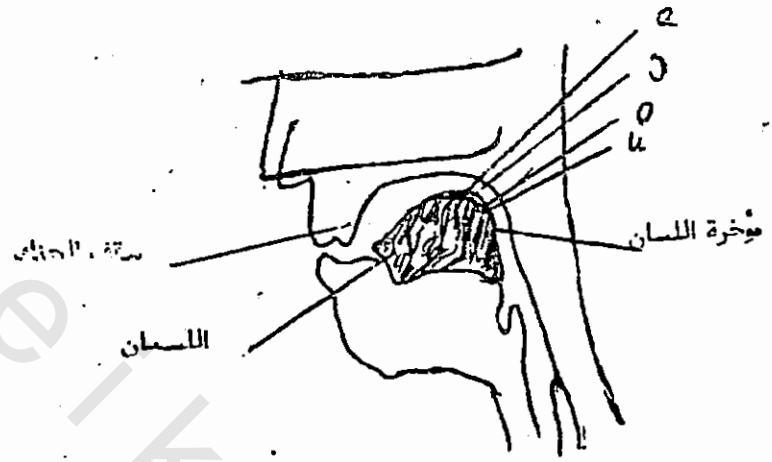

بالنظر إلى الأساس الثانى:

وهو وضع الشفتين.

وينتج عن هذا الأساس ثلاثة أوضاع وهى:

١- وضع الانفراج. ٢- وضع الانضمام. ٣- الوضع المحايد.

ويطلق على الحركات المنفرجة والمحايدة مصطلح الحركات غير المضمومة.

الحركات المعيارية وتوزيعها على مربع الحركات المعيارية

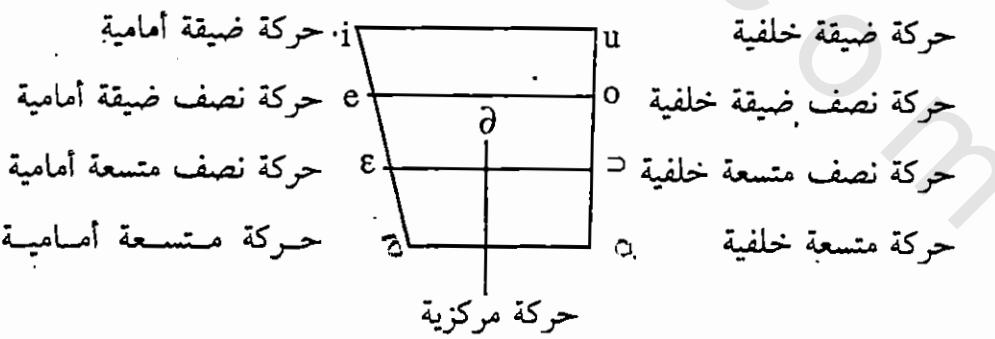

ويمثل دانيال جونز لهذه الحركات الثمانية بالكلمات الآتية:

١- **الحركة الأولى:** I ومثالها الكلمة الفرنسية si

ومثالها الكلمة الإنجليزية sit

٢- **الحركة الثانية:** e ومثالها الكلمة الفرنسية thé

ومثالها الكلمة الإنجليزية get

٣- **الحركة الثالثة:** ε ومثالها الكلمة الفرنسية méme

ومثالها الكلمة الإنجليزية cat

٤- **الحركة الرابعة:** a ومثالها الكلمة الفرنسية la

ومثالها بالعربية: مرساها، مجراها.

٥- **الحركة الخامسة:** ومثالها الكلمة الفرنسية pas

ومثالها الكلمة الإنجليزية father

٦- **الحركة السادسة:** ɔ ومثالها الكلمة الألمانية sonne

ومثالها الكلمة الإنجليزية hot

٧- **الحركة السابعة:** O ومثالها الكلمة الفرنسية Rose

ومثالها الكلمة الإنجليزية November

٨- **الحركة الثامنة:** U ومثالها الكلمة الألمانية gut

ومثالها الكلمة الإنجليزية put

٩- **الحركة التاسعة:** ə المركزية ومثالها بالإنجليزية singer

obeikandl.com

الحركات العربية

عندما نتحدث عن الكلمات العربية، يجب أن نقرر منذ البداية، أن هذه الحركات، هى تلك التى ينطقها المجيدون من قراء القرآن الكريم، لأنهم يمثلون تلك القراءة التى تنزل بها القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، وتلك هى لهجة قريش، التى أصبحت النموذج الأصلى للغة العربية الفصحى، واعتمادنا على نطق هؤلاء القراء دون سواهم لأنهم يمثلون النموذج المعتمد للغة الفصحى.

وأما ما ورد من لهجات عربية أخرى، فإنها لا تصل إلى درجة يمكن أن نثق فى دقتها، فقد وردت لنا أخبارها ودراستها مسجلة فى كتب العلماء اللغويين، ولم ترد لنا مسموعة كما هو الحال فى لهجة قريش، ومن ثم فلا يمكننا أن نعول عليها أو أن نعتمد على مصداقيتها.

كما ولسنا نجاوز الحقيقة حين نقرر أن علماء العربية القدامى، لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها فقد عدوا الحركات أشياء عارضة، تعرض للأصوات الصامتة، فهى تبع لها، وليست مستقلة مثلها فأصول الكلمات عندهم مكونة من الأصوات الصامتة، وهذه الأصوات هى الأساس أما الحركات فهى أصوات من شأنها أن تعدل الصيغة أو الوزن فقط[١].

واستمرت الدراسات اللغوية العربية على هذا الحال، إلى أن جاء العالمان الجليلان، أبو الأسود الدؤلى، والخليل بن أحمد، حيث قدما للعربية أول نظام للحركات، ابتكر فيه الأول نقط الحركات، وابتكر فيه الثانى، نظام الحركات بأشكالها المستقرة عليها الآن فى نظامنا الكتابى.

(١) علم اللغة العام، الأصوات ١٤١.

لكننا لا نعدم عالمًا آخر جليلاً فذًا، استطاع أن يدرك بنظرة ثاقبة ماهية الحركات، والقدرة على التفريق بين الطويلة منها والقصيرة، إنه اللغوى الألمعى ابن جنى، حيث يقول: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهى الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهى الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة[1]».

فالحركات العربية إذن عبارة عن ثلاث حركات طوال، وثلاث حركات قصار، فيصبح مجموع الحركات العربية ست حركات.

ولكن هذه الحركات قد ترد مفخمة تارة، ومرققة تارة، وبين التفخيم والترقيق تارة ثالثة.

١- فالفتحة القصيرة، تأتى مرققة فى نحو «جلس» وتأتى مفخمة فى نحو «ضرب».

٢- والفتحة الطويلة، تأتى مرققة فى نحو «شَاب» وتأتى مفخمة فى نحو «صام».

٣- والفتحة القصيرة تكون بين التفخيم والترقيق فى نحو «قعد» والفتحة الطويلة تكون بين التفخيم والترقيق فى نحو «قام».

٤- والكسرة القصيرة، تأتى مرققة فى نحو «رزق» وتأتى مفخمة فى نحو «ظل».

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩.

٥- والكسرة الطويلة، تأتى مرققة فى نحـو «ريق» وتأتى مفخمة فى نحو «ضيق».

٦- والكسـرة القصـيـرة، تأتى بين التـفخـيم والتـرقيق فى نحـو «غِل» والكسرة الطويلة، تأتى بين التفخيم والترقيق فى نحو «قِيل».

٧- والضمة القصيرة، تأتى مرققـة فى نحو «بُكم» والضمة القصيرة تأتى مفخمة فى نحو «ظُلم».

٨- والضمة الطويلـة، تأتى مرققة فى نحو «رُوحْ» والضـمة الطويلة تأتى مفخمة فى نحو «صُومُوا».

٩- والضمة القصـيرة تأتى بين التفخيم والترقـيق فى نحو «قُم» والضمة الطويلة تأتى بين التفخيم والترقيق فى نحو «غُول».

ويمكننا من خلال العرض الـسابق التفصيلى، للإمكانات المـختلفة التى يمكن أن تكون عليها الـحركات، يمكننا أن نقرر أن عدد الحـركات الممكنة من حيث النطق هى ثمـانى عشرة حركة، لكـنها من حيث تأثيرها فى تغـيير المعـانى، أى باعتـبارها «فونيـمات أساسـية» فى النظام اللغـوى العربى، لا تتعدى ثلاث حركات، وإذا ما وضعنا القصر والطول فى الاعتبار، فإنها ست حركات فقط.

توزيع الحركات العربية على مربع جونز للحركات المعيارية

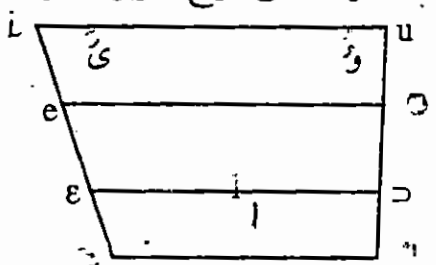

بالنظر إلى مواضع الحركات العربية على مربع الحركات المعيارية، فإننا نلاحظ ما يلى:

١- الكسرة العربية:

وهى أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الأولى (I) لكن مقدمة اللسان تكون أقل ارتفاعا نحو الغار (الحنك الصلب) من الحركة المعيارية الأولى وأعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان نحو الخلف قليلاً من الحركة الأولى وبذلك تكون الكسرة حركة أمامية.

٢- الضمة العربية

وهى أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الثامنة (U) غير أن الجزء الخلفى من اللسان يكون أقل ارتفاعًا نحو الحنك الرخو (الطبق) من الحركة المعيارية الثامنة، وأعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان تكون أمام أعلى نقطة للحركة الثامنة، وبذلك تكون الضمة حركة خلفية.

٣- الفتحة العربية:

وهى أقرب ما تكون من الحركتين الرابعة والخامسة (ɑ , a) أو هى بينهما من حيث جزء اللسان، فأعلى نقطة عند النطق هى وسط اللسان، من استوائه فى قاع الفم، وارتفاع طفيف فى وسطه فهى إذن حركة متسعة.

ثمة مجموعة أخرى من الحركات العربية، لكنها حركات ليست أساسية حيث إنها لا تعد من عداد «الفونيمات الأساسية» للحركات العربية، بل إنها من قبيل «الفونيمات الثانوية» أو التنوعات والتغيرات التى تطرأ على النوع الأول «الفونيمات الأساسية».

هذه المجموعة من الحركات، هى الحركات الممالة، وتضم اللغة العربية الفصحى، من هذا النوع ما يلى:

١- الكسرة الممالة:

ويرمز لها بالرمز (e) وهى تقع بين موضع الفتحة والكسرة بالنسبة لوضع اللسان، أى بين وضعه مستويًا فى قاع الفم ووضعه مرتفعًا من مقدمته نحو وسط الحنك، تحدث أوضاع كثيرة تحدث بسببها أنواع متعددة من الحركات، أبرزها فى أذهاننا صوت الكسرة الممالة (e).

٢- الضمة الممالة:

ويرمز لها بالرمز (o) وهى تقع بين موضع الفتحة والضمة بالنسبة لوضع اللسان أى بين وضعه مستويًا فى قاع الفم، وبين وضعه مرتفعًا من مؤخرته نحو سقف الحنك، أوضاع كثيرة تحدث عنها حركات متعددة، أبرزها فى أذهاننا صوت الضمة الممالة (o)[١].

مما تقدم نلاحظ أن حركة الضمة والكسرة، تتفقان فى خاصية الضيق بالنسبة لمقدمة اللسان عند الكسرة، ومؤخرة اللسان عند الضمة فهما حركتان ضيقتان.

رسم يوضح علاقة القربى بين الضمة والكسرة

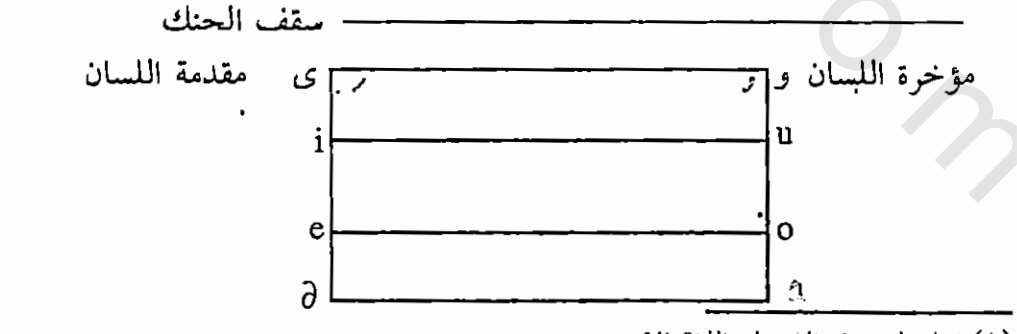

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٩٢.

يلاحظ من خلال الرسم التخطيطى السابق أن الضمة ليست عدوة للكسرة، كما يتردد فى بعض كتب النحو واللغة، بل إنهما من فصيلة واحدة وذلك على العكس من صوت الفتحة الذى يعد قسيمًا للضمة والكسرة، وله ظواهره وأحكامه الخاصة(١).

قد فطن إلى تلك العلاقة بعض علماء العربية، وأدركوا أن هناك علاقة بين الكسرة والضمة وبين ياء المد وواوه كذلك وفى هذه يقول ابن درستويه: «كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية، فَعَلْت، بفتح العين، ولم يكنْ ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق، فإنه يجوز فى مستقبلة يَفْعُل بضم العين ويَفْعِل بكسرها، كقولنا ضَرَبَ يَضْرِب، شكَرَ يَشْكُر، وليس احدهما أولى من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان.

فمما جاء واستعمل فيه الوجهان قولهم: ينفُر ينفِر، ويشتُم ويشتِم فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه، وأنهما شىء واحد، لأن الضمة أخت الكسرة(٢).

ويقول أبو زيد: «طفت بين عليا قيس وتميم مدة طويلة، أسأل عن هذه الباب صغيرهم وكبيرهم لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسرة أولى، فلم أعرف لذلك قياسًا، وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن(٣).

وقد نص ابن جنى صراحة على علاقة القربى، بين ياء المد وواوه،

(١) المدخل إلى علم اللغة ٩٤.

(٢) تصحيح الفصيح لابن درستويه ١٠٥.

(٣) تصحيح الفصيح ١١٠، وانظر: المزهر ١/ ٢٠٧.

فقال: «إن بين اليـاء والواو قربًا ونسبًا، وليس بينهـما وبين الألف، ألا تراها تثبت فى الوقف، وفى المكـان الذى تحذفان فيـه، وذلك قولك: هذا زيد، ومررت بزيد، ثم تقول: ضربت زيداً وتراهما تجتـمعان فى القصيدة الواحدة ردفين، فى نحو قول امرئ القيس:

قد أشهد الغـارة الشعواء تحملنى
جرداء مـعروقة اللحين سُـرْحُوبْ

ثم قال فيها:

كـالدَّلو بُتَّتْ عـراها وهى مـثقلة
وخـانهـا وذم منـهـا وتكْرِيبْ[1]

والفرق بين الحركـات القصيرة والطويلة، فرق فى الكميـة لا فى الكيفية بمعنى أن وضع اللسان فى كليهمـا واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول فى كل صوت فإذا قصر كان الصـوت قصيراً، وإذا طال كان الصوت طويلاً، والذى يحدد الطول والقصر هنا، هو العرف اللغوى عند أصحاب اللغة[2].

ويقـول كانتـينو: «فى الوقت الذى يسـتغـرقـه طول الحركـة يطلق اسم حركات طويلة، على الحركـات التى يمتد فيها إخراج النفس امـتداداً، يصير معه مـدى النطق فيها مـساويًا لمدى النطق بحركـتين بسيطتين، وقـد يتعدى ذلك»[3].

وقد أدرك العلماء العرب تلك العلاقة بين طول الحركات وقصرها، يقول

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣، انظر: ديوان امرئ القيس ٢٢٥ - ٢٢٧.
(٢) المدخل إلى علم اللغة ٩٦.
(٣) دروس فى علم أصوات العربية ١٤٥.

الخوارزمى: الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانية واو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو الممدودة اللينة ضمة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة، والألف الممدودة فتحها مشبعة وعلى هذا القياس الروم والإشمام نسبتهما إلى هذه الحركات، كنسبة الحركات إلى حروف المد واللين أعنى الألف والواو والياء[١].

ويجب أن ندرك أن طول الحركات وقصرها أمر نسبى، لا يتعلق بزمن محدد، أو بلغة معينة، ومن الطبيعى أن يقل طول الأصوات عندما تزيد سرعة الأداء، وأن تزيد طول الأصوات القصيرة عندما تقل، ومع ذلك لا بد من الاحتفاظ بالفرق بين الأصوات الطويلة والقصيرة، مهما زادت السرعة أو قلت وبهذا المعنى يمكن أن نقول: إن طول الأصوات أمر نسبى، لا أمر مطلق، فالصوت الطويل هو الذى يكون أطول من غيره فى نفس اللغة ولو كان هذا الصوت الطويل ينطق أقصر منه أحيانا أخرى[٢].

ولا يقتصر أمر الطول والقصر على الحركات فحسب، بل إن الصوامت ـ أيضًا ـ تطول وتقصر وإن الحرف المضعف، ما هو إلا صوت واحد طويل تم نطقه فى زمن صوتين اثنين. وفى هذا يقول ماريو باى «إن اصطلاح الصامت المضعف Double consonant هو اصطلاح مضلل. حقا لأنه قد استعير من طريقة الكتابة، ففى النطق يُمدُّ الصوت الصامت، بتطويل مدة

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمى ٣١.

(٢) أصوات اللغة ١٤٩.

النطق به، وإذا كان هذه المد ممكنًا ويكون هذا ممكنًا إذا لم يكن الصوت الصامت انفجاريا وبما أن الانفجارى لا يمكن مده عند نقطة مخرجه، فإن ما يسمى تطويلاً بالنسبة له، يكون عن طريق إطالة مدة قفل الطريق أمام الصوت قبل تفجيره(١).

أما كانتينو فإنه يعرف الحروف المضعفة بقوله: «هى التى عند النطق بها يتضاهى مداها مدى حرفين بسيطين تقريبًا، وترسم هذه الحروف عادة فى الأبجدية الأوروبية بحرفين متتابعين bb, mm وهكذا(٢).

أما فندريس فانه يعرف الحرف المضعف بقوله: «ففى كل صامت انفجارى ثلاث خطوات متميزة الإغلاق أو الحبس، أو الإمساك الذى يكون طويل المدى أو قصيره والفتح أو الانفجارى عند إصدار صامت بسيط مثل التاء فان الانفجار يتبع الحبس مباشرة والإمساك يضؤل إلى مدى لا يكاد يحس.

وعلى العكس من ذلك تظهر الخطوات الثلاث بوضوح فيما يسمى بالصوامت المضعفة وهى ليست إلا صوامت طويلة كما أنها تنطق بقوة أشد مما فى حالة القصيرة، فإذا تركنا مسألة الشدة جانبًا، وجدنا أن مجموعة مثل (atta) أتَّ، تتميز عن المجوعة (ata) أتَ لوجود مسافة بين الحبس والانفجارى يمكن للأذن أن تقدرها، ومن الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان فى atta، وساكن (صامت) واحد فى (ata) فالعناصر المحصورة بين

(١) أسس علم اللغة ١٤٦.

(٢) دروس فى علم أصوات العربية ٢٥.

الحركتين فى كلتا المجموعتين واحدة، عنصر انحباسى يتبعه عنصر انفجارى ولكن بينما نجد العنصر الانحباسى فى ata يتبعه العنصر الانفجارى مباشرة نجده فى atta ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق(١).

كما أننا لا نعدم من العلماء العرب من أدرك هذه الفكرة، فإن ابن جنى يقول فى خصائصه «الحرف لما كان مدغمًا خفى فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعد نبوة واحدة، فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد»(٢).

كما يقول فى تعبير آخر صريح: «إدغام الحرف فى الحرف، أخفى عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معًا نبوة واحدة(٣).

أما صاحب مراح الأرواح فإنه يصرح قائلا: «الإدغام الباث الحرف فى مخرجه مقدار الباث الحرفين»(٤). ويقول أيضًا: «المشدد زمانه أطول من زمان الحرف الواحد وأقصر من زمان الحرفين»(٥).

وعلل الدكتور/ رمضان عبد التواب السبب الذى دعا النحاة العرب إلى اعتبار المضعف حرفين بقوله: «أنه يقوم فى اللغة أحيانا بوظيفة صوتين، فقول العرب مثلا: يذَّكر، الذال المشددة فيه تنوب مناب التاء والذال فى يتذكر»(٦).

---

(١) اللغة الفندريس ٤٨.

(٢) الخصائص ١/ ٩٢.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٢٧.

(٤) مراح الأرواح ٨٢.

(٥) مراح الأرواح ٨٣.

(٦) المدخل إلى علم اللغة ٩٩.

الفونيم والكتابة الصوتية

اختلفت وجهات نظر العلماء، حول مفهوم الفونيم، وجاءت هذه الاختلافات تبعًا لاختلاف المناهج والأسس التى تبعها كل منهم وقد حصر د. بشر هذه الآراء فى أربعة، وهى:

١- الرأى الأول:

ويطلق على نظريتهم (النظرية التزكيبية أو المادية) ويعد دانيال جونز هو صاحب هذا الرأى، وقد اعتمد فيه جونز على الأساس النطقى للأصوات وهو يرى أن الفونيم عبارة عن «عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها فى الصفات فى لغة معينة التى تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء فى كلمة من الكلمات فى نفس السياق الذى يقع فيه أى عضو آخر من العائلة نفسها»(١).

ويرى جونز أن أحد هذه الأعضاء عضو رئيسى، والأعضاء الأخرى إضافية أو ثانوية.

أما سبب تسمية أحدها عضواً رئيسيا، فقد يكون أحد المبررات الآتية:

١- كثرة ورود هذا العضو فى الاستعمال اللغوى بصورة تفوق بقية الأعضاء.

٢- لأن هذا العضو، هو الذى يستعمل وحده منعزلاً عن السياق الفعلى.

٣- لأن هذا العضو، يأتى فى الموقع الوسط بين بقية الأعضاء(٢).

(1) D, Jones The Phonemic, its Nature and use, p. 212.

(2) D, Jones The Phonemic, its Nature and use, p.212.

تلك التنوعات الصوتية، سواء الرئيسى منها أم الثانوى، لا تتبادل المواقع الصوتية فيما بينها، حيث إن كل عضو منهـا خاص ببيئته الصوتية المعينة أما الفونيـم، فإنها تتـبادل المـواقع مع الفونيـمات الأخرى، فـمثلاً فـى قولنا: «ذاب، خاب» فإن الذال والخاء، قـد تبادلتا المواقع، وكان لهذا التـغيير أثر فى تغيير دلالة الكلمة.

ويرى أنصار هذا الرأى أن وظيفة الفونيم، تتمثل فى التميز بين الكلمات وإعطائها قيمًـا لغوية مختلفة، صرفية كـانت أم نحوية أم دلالية، ومن أمثلة ذلك قولنا: «أنتَ وأنتِ» فالتاء المـفتوحة تعطى الكلمة الأولى تمييـزًا صرفيا ونحويا عن التـاء المكسورة فى الكلمـة الثانية، التى تعطيـها تميـيزًا صرفـيا ونحويا آخرين، كما أن تبادل الفتحة مكان الكسرة يمنح كلتا الكلمتين مدلولا مختلفًا عن الآخر.

ويرى أصحاب هذا الرأى، أنـه يمكن ـ أيضًا ـ إلى جانب عمليـة التبادل السابقة أن يتم زيادة فونيم أو نقـصانه على الكلمة الواحدة، وأن تلك الزيادة أو النقصان يؤثر فى الكلمة تأثيرًا صرفيا أو نحويا أو دلاليا. مثال ذلك كلمة: (مدّ، مدّد) فزيـادة الدال فى الثانية تفيد دلالة جديدة عن دلالة نقـصانها فى الكلمة الأولى.

٢- الرأى الثانى:

ويطلق على نظرية أصحابه (النظرية العقليـة النفسية) وترى هذه المدرسة أو النظرية، أن الفـونيم صـوت واحـد له صورة ذهنيـة تجـريدية، يسـتطيع المتكلم اسـتحـضارها فى ذهنه، ويحاول لا شـعرويا أن ينطقـها فى الكلام

الفعلى ولكنه قد ينجح فى تحقيق هذه الصورة الذهنية والتعبير عنها بصوت حقيقى. وقد يفشل فى حالات أخرى، فيحاول أن يأتى بأقرب صوت إلى هذه الصورة، وإن لم يماثلها تمام المماثلة[١] ومن أصحاب هذه المدرسة العالم الأمريكى «سابير» الذى يقول: «إن هذه الأصوات المثالية التى يكونها الإحساس الفطرى بوجود علاقات مهمة بين الأصوات الحقيقية، أكثر واقعية وتحقيقًا بالنسبة للمتكلم العادى من الأصوات الحقيقية نفسها[٢].

٣- الرأى الثالث:

ويعتمد هذا الرأى على الأساس اللغوى ومن أنصار هذه المدرسة، اللغوى الإنجليزى «ونجفيلد» Wingfield وكذا اللغوى المشهور تروبتسكوى، الذى يعرف الفونيم أنه عبارة عن «النماذج الصوتية التى لها قدرة على تمييز الكلمات وأشكالها، أو الأنماط الصوتية المستقلة التى تميز الحدث الكلامى المعين عن غيره من الأحداث الأخرى[٣] ومن هؤلاء ـ أيضًا ـ اللغوى الأمريكى الشهير بلومفيلد الذى يقول:

«الفونيمات هى أصغر وحدات صوتية مميزة» أو أنها «أصغر وحدات صوتية تقوم بعملية التفريق بين معانى الكلمات»[٤].

٤- الرأى الرابع:

ويعتمد على الأساس التجريدى ويتزعم هذا الرأى العالم الأمريكى توادل

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٨٣.

(٢) ويقصد سابير بمصطلح «الأصوات المثالية» الفونيم.

(٣) دراسة الصوت اللغوى ١٥١ - ١٥٢.

(٤) علم اللغة العام ١٦٠ وكذا جونز ١١٢- ٢١٧.

«وخلاصة هذا الرأى أن الفونيم لا وجود لهـا، لا من الناحية العضوية، ولا من الناحية العقلية، وإنما هى وحدات تجريدية تخيلية مصطنعة[١] كما يقال ـ أيضًا ـ فى شرح هذه النظرية، انها عبارة عن «بعض الأصـوات لها ملامح مشتركـة كثيرة، يمكن أن تلخص فى مثال أو صورة أو انطبـاع ذهنى، يعتبر صوتا تجريديا على المستوى الأول. وهناك مـستوى ثان من التجريد، حيث يستخلص المرء عائلة ـ كاملة ـ من هذه الأصوات التجريدية فى شكل صورة عامة. هذه الأصوات التجريدية على المستوى الثانى، هى الفونيمات»[٢].

مكونات الفونيم

يجمع غالبية العلماء، على أن الفـونيم، عبارة عن «عائلة صوتية» يمكن تحديد مكوناتها وفقًا لأساسين اثنين هما:

١- الفونيم شىء مادى، يمكن أن يحلل إلى عناصر أو مكونات أخرى.

٢- الفونيم عـبارة عن ملمح أو كيـفية نطقـية، لا وجود لها بمـفردها، وإنما هى بانضمامها الى غيرها من الملامح، تشكل الصوت اللغوى[٣].

أنواع الفونيم

يقسم معظم العلماء الفونيم إلى قسمين اثنين هما:

١- الفونيم الرئيسى:

ويعنى بها تلك الوحدة الصوتية، التى تكون جـزءا من أبسط صيغة لغوية

(١) جونز ٢١١ - ٢١٢، كذا علم اللغة العام ١٦٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوى ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٥١ - ١٥٥.

ذات معنى منعزلة عن السياق، أو قل: الفونيم الرئيسية هى ذلك العنصر الذى يكون جزءا أساسيا من الكلمة المفردة وذلك كالباء والتاء والثاء. . . إلخ.

٢- الفونيم الثانوى:

وهى ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى فى الكلام المتصل فالفونيم الثانوية بعكس الرئيسية، لا تكون جزءا من تركيب الكلمة وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة.

وتمثل الأبجديات الصوتية المكتوبة النوع الأول، أى الفونيمات الأساسية، فى حين تمثل المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم والمفصل النوع الثانى، أى الفونيمات الثانوية، وهناك من يطلق على الأولى الفونيمات التركيبية، وعلى الثانية، الفونيمات فوق التركيبية.

ويرى الدكتور/ رمضان عبد التواب: «أن هذه الأصوات المختلفة (التنوعات الصوتية) التى يعبر عنها فى الكتابة برمز واحد ولا تستخدم فى اللغة للتفريق بين المعانى المختلفة، هى ما يطلق عليه الغربيون اسم «فونيم» Phoneme وحدة صوتية/ عائلة صوتية.

وفى إمكاننا نحن أن نطلق عليه اسم: «حرف» مقصوداً به الرمز الكتابى، ونعمل بذلك على التفريق بين الاصطلاحين «صوت» و «حرف» فالصوت هو الذى نسمعه ونحسه، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابى الذى يتخذ وسيلة متطورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات، لا يؤدى تبادلها

فى الكلمة إلى اختلاف المعنى[١]، كما يستخدم ـ أيضًا ـ د/ تمام حسان مصطلح حرف ليكون مرادفًا «للفونيم» ومصطلح صوت ليكون مرادفًا للتنوعات الصوتية حيث يقول عن الفرق بينهما هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب أو بين أحد المفردات والقسم الذى يقع فيه، فالصوت عملية نطقية تدخل فى تجارب الحواس وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقى حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقى حين أدائه.

أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية، واذا كان الصوت مما يوجده المتكلم فإن الحرف مما يوجده الباحث[٢] وحول هذه التفرقة فيما بين الصوت والحرف يقول فندريس: «لسنا فى حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات فى لغة ما، بعدد الحروف الموجودة فى أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما فى كتابتها من العلامات تلك حال الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية، ومع ذلك فإن عدد الأصوات فى أية لغة لا يكاد يتعدى الستين عادة، بل يمكن أن ينزل عن ذلك، نزولاً محسوسًا[٣]. ولم يكن علماء العرب قد توصلوا إلى فكرة الفونيم، أو حتى مجرد الإشارة إلى مفهوم يقاربها بالرغم من استخدامهم لمصطلح الصوت تارة، ومصطلح الحرف تارة أخرى، بل وتفريقهم فيما بين المصطلحين، حين نجد أن ابن

(١) المدخل إلى علم اللغة ٨٤.

(٢) اللغة بين الوصفية والمعيارية ١٣.

(٣) اللغة لفندريس ٦٣.

جنى يقول: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض لـه فى الحلق والفم والشفتين، تقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض لـه حرفًا، وتختلف أجراس الحروف، بحسب اختلاف مقاطعها، إذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ألا ترى أنك تبتدئ من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أى المقاطع شئت، فتجد له جرسًا ما، فان انتقلت عنه راجعا منه أو متجاوزًا له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صُدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا نطقت بها، سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن حزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين[١].

ويتضح من هذا النص السابق للعلامة ابن حنى، أن الصوت لديه مصطلح يطلق على مجرد ذبذبة الأوتار الصوتية عند نطق بعض الحروف، وأن مصطلح الحرف، فهو يرادف مفهوم مخرج الصوت، وحول نفس التفريق بين الصوت والحرف، نجد أن ابن سينا ـ أيضًا ـ يقول: «الحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تميزًا فى المسموع»[٢].

فالعلماء العرب القدامى إذن لم يدركوا حقيقة الفونيم، ولم يقتربوا من مفهومها ونستطيع أن نجزم أن الفونيم نظرية حديثة جدا فى مجال الدراسات الصوتية، وأن الذى جعلهم يتطرقون إليها، ما لاحظوه من أن الصوت

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦.

(٢) أسباب حدوث الحروف ٦.

(الأصوات) فى آية لغة من اللغات، ليس لها حد معين، وأن ما نسميه صوتًا واحداً، يتردد وينطق بصور عديدة متنوعة، بحسب الأبجديات المختلفة فى صورة حرف واحد، مما دعا العلماء إلى البحث حول هذه الظاهرة فنشأ عن هذه الدراسات نظرية صوتية، هى نظرية الفونيم.

إن تحديد الفونيم على أنه الحرف الكتابى «الأبجدى» يمثل فى الحقيقة أحدث التصورات اللغوية.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب، أن السبب فى تصور العلماء الفونيم على أنه الحرف، راجع إلى «أنهم لاحظوا أن أصوات أى لغة من اللغات لا حد لها فى واقع الأمر، وأن ما نسميه صوتًا، قد يتردد هو نفسه فى كلمة من الكلمات، أكثر من مرة، ولكنه لا ينطق بنفس الصورة فى كل مرة، فإننا إذا نطقنا كلمة مثل: «بطر» فإننا نجد أن صوت الفتحة الأولى فى هذه الكلمة، غير الفتحة الثانية، من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة، ومع أن هذه الفتحات الثلاثة متغايرة فيما بينها، فإن هذا التغاير لا يؤدى إلى تغير فى وظيفة أى منها فلا يكون للكلمة معنى معين إذا استخدمنا فيها فتحة من هذه الفتحات، ثم يتغير المعنى إذا غيرنا هذه الفتحة بفتحة أخرى[١].

إن الوظيفة اللغوية التى يؤديها الفونيم، هى التى تجعلنا نتغاضى عن التنوعات المختلفة، التى يمكن أن تظهر، وفقا لمقتضيات السياق الصوتى المعين. «إن النونات المختلفة صوتيا فى اللغة العربية لا تعارض أو لا تقابل بينها، لأننا لا نستطيع أن نغير معنى كلمة، بإحلال احداها محل سواها،

(١) المدخل إلى علم اللغة ٨٦.

ولكن ثمة تغيير آخر على الكلمة، فنقول: (داء) وهى من كلمات العربية، فالتاء فونيم والدال فونيم»[١].

إن تقابل الأصوات هذا، الذى يعد أساسًا لتحديد الفونيمات فى اللغة العربية يختلف من لغة إلى أخرى، سواء من حيث العدد أو النوع، فمثلاً كلمة Sister أى أخت فى الإنجليزية، فإن الرمز الكتابى (S) فيها، يعد فونيمًا تركيبيا (أساسيا) من فونيمات هذه اللغة، أما الكلمة Sun، والتى تعنى شمس فإن الرمز الكتابى (S) فيها وإن كان ينطق مفخمًا، أى كصوت الصاد العربية، إلا أنه لا يعد فونيما تركيبيا آخر يختلف عن الفونيم السابق، الذى ينطق مرققا، أى كصوت السين العربية بل إن هذا الأخير فى كلمة Sun ليس إلا تنوعا صوتيا يقتضيه السياق اللغوى فى اللغة المعينة.

ولعلنا بعد هذا العرض، لا نبتعد عن الحقيقة، عندما نقرر أن اعتماد الفونيم على نظام الرمز الكتابى، الذى يجعل لكل فونيم رمزًا كتابيا معينا، يعد طريقة ناقصة، يعتورها كثير من العيوب والثغرات، فمن المعلوم أن لكل فونيم عددا من التنوعات الصوتية (الألوفونات) وأن واضعى الأبجديات، لم يضعوا لهذه التنوعات (الألوفونات) رموزًا أبجدية مستقلة ومن ثم فإن الأجنبى عن اللغة العربية مثلاً، لا يستطيع أن يدرك الفروق المختلفة لفونيم كالنون والراء واللام التى يمكن أن تختلف من حيث ترقيقها وتفخيمها وفقًا للسياقات المختلفة.

ويوضح لنا ماريو باى مدى تضليل الكتابة وعدم دلالتها على فروع

---

(١) علم اللغة ـ مقدمة ـ إلى القارئ العربى ٢١٥.

الفونيم الواحد بقوله: «الراء في معظم اللغات مكررة أو ترددية، نطقها في مقدمة اللسان، مع حدوث دبذبة في الأوتار الصوتية، والصوت الممثل كتابته في الفرنسية بـ (R) المجهورة نتيجة ذبذبة اللهاة معه وفي الإنجليزية الأمريكية يتم إنتاجه غالبًا بتقعير اللسان، والسماح لتيار الهواء بالمرور على امتداد حوافه، هذه التنوعات الثلاثة، لصوت تمثله الأبجدية الإملائية في كل اللغات رمز واحد، أوضح مثال على وجوب عدم الثقة في نظام الكتابة العادي، لتمثيل الصوت المنطوق ولو أن أمريكيا أراد أن يتعلم الفرنسية عن طريق الصورة المكتوبة، فإنه لا شك سينطق ما يراد ممثلا على شكل (R) تمامًا بنفس قيمه في الإنجليزية الأمريكية[١].

ويتجلى هذا العيب بصورة أظهر من غيرها في تلك اللغات التي تعتمد على أصل واحد مشترك لأبجديات في الدلالة على أصواتها المختلفة.

ومن أجل هذا العيب في دلالة الكتابة على النطق الصحيح، حاول علماء الأصوات، وضع أبجديات صوتية، تمثل النطق تمثيلاً صحيحًا، وبذلوا في ذلك جهودًا كبيرة، وتشعبت بهم السبل في ذلك وأشهر تلك الأبجديات الصوتية «أبجدية الجمعية الصوتية الدولية» التي كانت نتيجة لجهود كثير من علماء الأصوات المختلفة[٢].

التنظيم الفونيمي في اللغة العربية الفصحى

يجدر أن نقدم التنظيم الفونيمي في اللغة العربية الفصحى، بعدما قدمنا

---

(١) أسس علم اللغة ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥.

عرضًا وافـيًا حول مفهـوم الفونيم ومكوناته وأنواعه، والآراء المخـتلفة التى تناولت تلك النظرية بالدراسة والبحث.

١- الفونيمات التركيبية (الأساسية)

وهى تلك التى تكون جزءا من أبسط صيغة لغوية، ذات معنى منعزلة عن السياق ويؤدى تغيرها إلى تغيير فى دلالة الصيغة ومعناها.

وتشتمل اللغة العربية الفصحى على ثمانية وعشرين فونيما صامتا، وعلى ستة فونيمات أخرى من الحركات.

(أ) الفونيمات العربية من الصوامت هى:

/ء/، /ب/، /ت/، /ث/، /ج/، /ح/، /خ/، /د/، /ذ/، /ر/، /ز/، /س/، /ش/، /ص/، /ض/، /ط/، /ظ/، /ع/، /غ/، /ف/، /ق/، /ك/، /ل/، /م/، /ن/، /هـ/، /و/، /ى/.

(ب) الفونيمات العربية من الحركات هى:

/ا/ ، /و/، /ى/ وكذا /ـَ/ /ـِ/ /ـُ/.

يجب أن ننبه إلى أن الواو والياء فى نظام الصـوامت، هى ما نطلق عليها فونيمات (أنصاف الحركات) أو (أشباه الحركات) وذلك نحو:

الواو فى كلمة: صَوْم، والياء فى كلـمة: بيْع فى حين أن الواو والياء فى الفونيمات الحركات، فتكون فى مثل: الواو فى كلمة: أرنو والياء فى كلمة: أحمى.

كما يجب أن يكون واضحًا أن الفـونيمات توضع دائمًا بين خطين ماثلين

على النحو السابق، فى حين توضع الأصوات بين قوسين على النحو الآتى:

(ء)، (ب)، (ت)، (ث)... إلخ.

٢- الفونيمات فوق التركيبية (الثانوية):

ويطلق عليها بعض العلماء، الفونيمات التطريزية، وهى تلك التى لا تكون جزءا من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة ومن أمثلة هذا النوع الثانوى من الفونيم فى اللغة العربية النبر والتنغيم، وكذا نظام المقاطع الصوتية، ونقدم لهذه الفونيمات فوق التركيبية بصورة تفصيلية ليتضح معناها ومفهومها فيما بعد.

obeikandl.com

الكتابة الصوتية

تمهيد:

كانت الكتابة الصوتية ضرورة ملحة، على علماء الأصوات واللغة أن يبتكروها، وحيث تستوجب ضرورات التحليل اللغوى الدقيق نوعا من الكتابة الدقيقة والأمينة، التى تجعل لكل منطوق رمزاً مكتوبًا وليس هناك من شك فى أن جميع الأبجديات الموجودة فى كل اللغات، تعد أبجديات قاصرة، فهى ناقصة ومعيبة، وتفتقر إلى كثير من الرموز والأشكال، التى يجب أن توجد، لتفى بالمنطوق من الكلام، ومن هنا، جاءت الجهود المخلصة للعلماء اللغويين، فى محاولات عديدة، لوضع نظام من الكتابة، يتلافى عيوب الأبجديات المستعملة وأخطاءها حيث يتمكن الباحثون من تدوين الكلام المنطوق، تدوينًا كاملاً، بكل صفاته وسماته.

والحق أن محاولات العلماء فى هذا السبيل، ليست وليدة العصر الحالى، ولكنها ترجع إلى القديم، حيث بدأت المحاولات منذ القرن السادس عشر الميلادى.

فقد قام العالم، جون هارت J. Hart بعمل أبجدية، تراعى رموزها الألفاظ المنطوقة وقد جعل رموزها من الأبجدية الرومانية.

كما قام العالم جون ولكنز J. Wilkins بعمل أبجدية صوتية، تتميز ـ أيضًا ـ بأنها عضوية حيث وضع رموزاً للتفريق بين حالات الأعضاء فى أثناء نطق الأصوات، وذلك يرجع إلى إدراكه للتنويعات المختلفة، التى يمكن أن يكون عليها الصوت الواحد، وهى تشبه إلى حد بعيد العلاقة بين (الفونيم

والألوفون) حيث يمثل الألوفون التنويعات المختلفة التى ترد للفونيم الواحد.

كما قام العالم وليم هولدر W. Holder بعمل أبجدية صوتية استخدم فيها الرموز اللاتينية، وهى تماثل فى دقتها التصنيف الحديث للأبجدية الصوتية الدولية، وتعد محاولة كل من: اليس وبيتمان Ellis, Pitman من المحاولات الجادة، التى استهدفا من خلالها تقديم أبجدية صوتية عالمية، وقد أصدرا مجلة أسمياها (الجريدة الصوتية).

كما قام اللغوى اسكندر بيل A. Bell بعمل رموز مرئية تسمى الكلام المرئى Visible Speech وهى تعتمد على إعطاء صورة بصرية، تشير إلى كيفية نطق الأصوات، ووَضَعَ رموزاً عضوية، تصور أشكال أعضاء النطق.

وتأتى محاولة أوتو يسبرسن O. Jesperson لتسهم إسهامًا كبيراً فى الأبجدية الصوتية الدولية.

أما محاولة هنرى سويت H. Sweet فتعد من المحاولات السديدة، التى قدم من خلالها أبجديتين، الأولى: للفونيمات، الثانية: للألوفونات، أو التنويعات الصوتية.

وفى سنة ١٨٨٦م، تأسست الجمعية الصوتية العالمية، وقد استخدمت فى أول الأمر، صيغة معدلة لأبجدية بيتمان Bitman ثم اعتمدت بعد ذلك أبجدية هنرى سويت H. Sweet بعد إدخال التعديلات عليها وتم اعتمادها فى سنة ١٨٨٨م وبدأ العمل بها سنة ١٨٨٩م.

وقد حرصت الجمعية الصوتية العالمية، على أن تدخل بعض التعديلات أو التحسينات على أبجديتها المعتمدة سالفًا ذلك بقصد:

١- تمثيل الأصوات الحية فى اللغة.

٢- جعل الأبجدية عالمية، ولذلك تمت إضافات وتعديلات كثيرة لتناسب اللغات العالمية.

وفيما يلى الرموز التى تمثل الأصوات الصامتة، فى اللغة العربية[١].

لصوت الهمزة الرمز (د) والباء الرمز (b) والتاء الرمز (t) والثاء الرمز (ṯ) والجيم الفصيح الرمز (ǧ) والجيم القاهرى الرمز (g) والجاء الرمز (ḥ) والخاء الرمز h/ والدال الرمز (d) والذال الرمز (ḏ) والراء الرمز (r) والزاى الرمز (z) والسين الرمز (s) والشين الرمز (š) والصاد الرمز (ṣ) والضاد الرمز (ḍ) والطاء الرمز (ṭ) والظاء الرمز (ẓ) والعين الرمز (ʿ) والغين الرمز (ġ) والفاء الرمز (f) والقاف الرمز (k̇) والكاف الرمز (k) واللام الرمز (L) والميم الرمز (m) والنون الرمز (n) والهاء الرمز (h) والواو الرمز (w) والياء الرمز (y).

الرموز التى تمثل الحركات العربية بأنواعها:

الفتحة القصيرة ورمزها	a
الفتحة الطويلة ورمزها	ā
الضمة القصيرة الخالصة ورمزها	u
الضمة الطويلة الخالصة ورمزها	ū
الكسرة القصيرة الخالصة ورمزها	i

(١) هذه الرموز مأخوذة من كتاب: فقه اللغات السامية، لبروكلمان ترجمة الدكتور/ رمضان عبد التواب، وقد عدل فيها بما يتناسب مع مطابعنا العربية ٧.

الكسرة الطويلة الخالصة ورمزها	$\bar{I}$
الضمة الممالة القصيرة ورمزها	o
الضمة الممالة الطويلة ورمزها	$\bar{ɔ}$
الكسرة الممالة القصيرة ورمزها	e
الكسرة الممالة الطويلة ورمزها	$\bar{ɛ}$
الفتحة المخطوفة ورمزها	
الكسرة المخطوفة ورمزها	
الضمة المخطوفة ورمزها	
المد غير الأصلى ورمزها	â

الكتابة الصوتية والكتابة الفونيمية

تُعرف الكتابة الصوتية، بأنها الأبجدية الصوتية Aliphabet Phonetics أو الكتابة الضيقة أو الدقيقة Narow transcriptions وتعرف الكتابة الفونيمية، بالكتابة الواسعة broad transcriptions أو الأبجدية الفونيمية Phonemic Alphabet توضع رموز الأبجدية الصوتية بين قوسين معقوفين [ ] وهى أبجدية عالمية، فى حين توضع الأبجدية الفونيمية بين خطين مائلين / / وهى تستخدم ـ فى العادة ـ رموز الأبجدية العادية للغات(١).

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوى ٧ وما بعدها ويمكن أن تضع الأبجدية الصوتية بين قوسين فقط هكذا ( ) أيضًا.

obeikandl.com

الفونيمات الثانوية (التطرزية)

أولا: المقاطع الصوتية

تمهيد:

تختلف الأصوات الكلامية ـ فى أية لغة من حيث قوة إسماعها من صوت إلى آخر، وبدون هذا الاختلاف بين قوة إسماع الأصوات، لما أمكن التمييز بين بعضها، ولما أمكن التفاهم ـ أيضًا ـ لقد ترتب على قوة إسماع الأصوات، أن تقسمت إلى قسمين اثنين:

١- الصوامت.

٢- الحركات.

وقد ثبت لدى العلماء أن الأصوات الصامتة بطبيعتها، أقل وضوحًا فى إسماعها عن الحركات غير أن اللام والراء والنون، وهى ثلاثتها من الأصوات الصامتة تقترب من الحركات فى قوة إسماعها، ويمكن تفسير هذا الشبه، بما يجرى حال النطق بهذه الأصوات، نلاحظ أن هواء اللام والميم والنون، يخرج حرا طليقًا كالحركات تمامًا، لكنه مع الحركات، يخرج من وسط الفم، ومع اللام من جانبى الفم، ومع الميم والنون من الأنف، فالشبه إذن ينحصر فى حرية مرور الهواء، ولكن هذه الأصوات، لم تعد حركات، لأن هواءها الحر، لم يخرج من وسط الفم، ولهذا سميت «أشباه حركات» ولكنها ليست حركات، على أن هناك تعريفات أوردها بعض العلماء، يمكن أن تنطبق على هذه الأصوات تطبيقًا كاملاً، أما الراء، فهو يشبه الحركات، لما يوجد عند النطق به من نوع من حرية الهواء، بسبب الاتصال والانفصال المتكررين وهذا السلوك يعطى الصوت نوعًا من الوضوح السمعى أقوى مما

يحدث مع بقية الأصوات الصامتة، ومما يقرب هذه الأصوات الأربعة من الحركات ـ كذلك ـ كونها جميعا مجهورة(١).

المقطع الصوتى:

وهو عبارة عن «مجموعة من الأصوات التى تمثل قاعدتين، تحصران بينهما قمة»(٢).

ويعرفها الدكتور/ رمضان عبد التوب أنها عبارة عن كمية من الأصوات، تحتوى على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها، والوقف عليها، ومن وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففى اللغة العربية الفصحى مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة(٣).

ويعرفه ماريوباى بأنه عبارة عن «قمة إسماع، غالبا ما تكون حركة مضافة إليها أصواتًا أخرى عادة ـ ولكن ليس حتما ـ تسبق القمة أو تلحقها ففى ah قمة الإسماع كما هو واضح، هى: a.وفى it هى: i وفى do هى: o وفى Get هى e(٤).

أما كانتينو، فيعرفه بأنه عبارة عن «الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز الصوت سواء أكان الغلق كاملاً أو جزئيا، هى التى تمثل المقطع»(٥).

---

(١) علم اللغة ١٣٨.

(٢) أصوات اللغة ١٣٩.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ١٠١.

(٤) أسس علم اللغة ٩٦.

(٥) دروس فى علم أصوات العربية ١٩.

يتأكد من خلال ما سبق من تعريفات للمقطع الدور العضوى فى إنتاج المقطع الصوتى، ومعلوم ان إنتاج الأصوات، عملية تبدأ بإخراج الهواء من الرئتين، واعترض أعضاء النطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عملية عضوية، تستمر قوتها دون اختلاف، بل إن ضغط الهواء يتفاوت مع جزء من أجزاء الحدث اللغوى إلى جزء آخر.

وتنقسم المقاطع الصوتية، بصفة عامة إلى قسمين اثنين هما:

١- المقاطع القصيرة. ٢- المقاطع الطويلة.

المقطع القصير:

هو المقطع الذى يبدأ بصوت صامت، تتلوه حركة قصيرة، ففى الفعل الماضى «شرب» ثلاثة مقاطع من هذا النوع هى: (ش + ر + ب) ša, ra, ba.

المقطع الطويل:

وهو المقطع الذى يتكون من صوت صامت، تتلوه حركة طويلة، أو صامت، تتلوه حركة قصيرة يتبعها صامت مغلق، مثال ذلك، المقطعان فى الفعل: قالتْ، فالمقطع الأول وهو: «قا» يتكون من صامت وحركة طويلة هكذا قا = K ā، والمقطع الثانى وهو: «لت» يتكون من صامت تتبعه حركة قصيرة، ثم صامت مغلق هكذا: لَ + تْ lat.

بالنظر إلى النوعين السابقين للمقطع، المقطع القصير والمقطع الطويل يتبين لنا أن النوع الأول، وهو المقطع القصير، لا يكون إلا مفتوحًا، أى منتهيًا بحركة، أما النوع الثانى فانه يكون مفتوحًا ويكون مغلقًا، فهو مفتوح كما فى المقطع «قا» k وهو مغلق كما فى المقطع «لت» lat.

وتشتمل اللغة العربية على خمسة أنواع من المقاطع وهى:

١- المقطع القصير المفتوح: وهو يتكون من صامت + حركة قصيرة.

٢- المقطع الطويل المفتوح: وهو يتكون من صامت + حركة طويلة.

٣- المقطع الطويل المغلق: وهو يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت.

يضاف إلى هذه الأنواع الثلاثة، نوعان اثنان آخران هما:

٤- المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة: وهو يتكون من صامت + حركة طويلة + صامت.

٥- المقطع الزائد الطول: وهو يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت.

والأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية، هى الشائعة وهى التى تكوِّن الكثرة الغالبة من الكلام العربى، أما النوعان الآخران، أى الرابع والخامس، فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا فى آواخر الكلمات حين الوقف(١).

ومن أمثلة المقطع الرابع، المقطعان الأخيران من كلمة «وللضَّالِّين» وهما: ضالْ + لِين على الوجه الآتى dāl + līn ونلاحظ أن المقطع الأول، جاء حين الوقف على اللام الأولى من اللام المدغمة السابقة أما المقطع الثانى، فقد جاء فى آخر الكلمة على الوجه الآتى: «لين».

ومن أمثلة المقطع الخامس، كلمة «مِصْرْ، وعَصْرْ» ونحوهما حين

(١) الأصوات اللغوية ١٦٤.

الوقف على الراء، أو الحرف الأخير، وهى تكتب مقطعيا على الوجه الآتى: misr, وغيرها.

ونحن نرمز للصوت الصامت بالرمز «ص» كما نرمز للحركة بالرمز «ح» فإذا كانت الحركات طويلة تكرر الرمز هكذا (ح ح) ويمكننا بعد ذلك أن نقدم الأنواع الخمسة السابقة من خلال الرموز على الوجه الآتى:

١- المقطع القصير المفتوح: ص ح

مثل المقاطع الثلاثة فى الفعل «كتب» هكذا ب + ت + ب، وبالرموز ba، ta، ka.

٢- المقطع الطويل المفتوح: ص ح ح

مثل المقطع التالى فى حرف الجر «فى» هكذا ف + ى وبالرمز fī.

٣- المقطع الطويل المغلق: ص ح ص

مثل المقطع التالى فى الفعل الأمر «قُمْ» هكذا قُ + مْ وبالرمز kom.

٤- المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة ص ح ح ص

مثل المقطع التالى فى الفعل «قالْ» و «باعْ» عند الوقوف على آخره هكذا ق + ا + لْ، ب + ا + عْ وبالرمز bāc ، kāl.

٥- المقطع الزائد الطويل ص ح ص ص

مثل المقطع التالى فى الكلمة «مِصْرْ، عَصْرْ» هكذا: مِ + صْ + رْ ، عْ + صْ + رْ وبالرموز هكذا misṛ , ʿaṣr.

ومما هو جدير بالذكر أن توالى المقاطع من النوع الأول ص ح، ومن النوع الثالث ص ح ص جائز فى الكلام العربى، وإن كانت اللغة العربية فى

تطورها تميل إلى التخلص من توالى النوع الأول[١]، أما توالى النوع الثانى ص ح ح فهو مقيد غير مألوف فى الكلام العربى، ولا يسمح الكلام العربى بتوالى أكثر من اثنين من هذا النوع[٢].

(١) كما هو الحال فى اللهجات «فالفعل: كتب الفصيح يتكون من ثلاث مقاطع من النوع الأول، فى حين حولته اللهجات إلى مقطعين اثنين هكذا كَ + تَبْ، أى بتحويل المقطعين الآخرين من النوع الأول ص ح إلى مقطع واحد من النوع الثالث ص ح ص.

(٢) الأصوات اللغوية ١٦٩.

obeikandl.com

ثانيا: النبر Stress

حدوث النبر من الناحية العضوية:

سبق أن عرفنا فى دراسة المقطع، كيفية حدوثه من الناحية العضوية ولا شك أن ارتباطًا وثيقًا بين كل من المقطع والنبر، فتحديد هوية المقطع تشكل أساسًا وفقًا لنوعية النبر الواقع على هذا المقطع.

أما النبر فهو «نشاط فى جميع أعضاء الجسم، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطًا كبيرًا كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليًا واضحًا فى السمع هذا فى حالة الأصوات المجهورة، أما مع الأصوات المهموسة، فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما من الصوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء ـ كذلك ـ يلاحظ مع الصوت المنبور نشاط فى اعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك (الغار) واللسان والشفتين، ولكنا حين النطق بالصوت غير المنبور نلحظ فتورا فى أعضاء النطق[١].

وهكذا فإن دور أعضاء النطق فى إحداث تأثير سمعى يحدد ماهية النبر حين يتحدث الإنسان بلغته، يميل فى العادة إلى الضعط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزًا أوضح فى السمع مما عداه من مقاطع الكلمة وهذا الضغط هو الذى يسميه المحدثون من اللغويين بالنبر Accent , stress[٢].

(١) المدخل إلى علم اللغة ١٠٣.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٦٠.

ويقول د/ بشر: «معنى أن المقاطع تتفاوت فيما بينها فى النطق قوة وضعفًا، فالصوت أو المقطع المنبور، ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيا، ويتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد، لاحظ الفرق مثلا فى قوة النطق وضعفه، بين المقطع الأول فى (ضرب) والمقطعين الآخرين (فى ذات الكلمة (ض / ر / ب) نجد (ض) ينطق بارتكاز أكثر من زميليه فى الكلمة نفسها[١].

أما درجات النبر، فهى تنقسم إلى ثلاث درجات هى:

١- النبر القوى:

ويكون ضغطه وأثره السمعى، على مقطعه الصوتى، أقوى وأوضح من أى مقطع آخر.

٢- النبر الوسيط:

ويكون ضغطه وأثره السمعى، على مقطعة الصوتى، أقل من النوع الأول.

٣- النبر الضعيف:

ويكون ضغطه وأثره السمعى أدنى وأقل من النوع الثانى، وللنبر بدرجاته الثلاث رموز تميز نوعه على المقطع المعين، بحيث يمكن التفريق بين أقوى المقاطع نبرًا وأوسطها وأضعفها كذلك وهذه الرموز هى:

النبر القوى: ويرمز له بالعلامة / ١/ وتوضع قبل المقطع المنبور مباشرة.

النبر الوسيط: ويرمز له بالعلامة / ١/ وتوضع قبل المقطع المنبور مباشرة.

(١) علم اللغة العام، الأصوات ٢١٠.

النبر الضعيف: ويتوسط مقطعه بلا رمز أو علامة.

والنبر عندما يقع على مقاطع كلمة مفردة، يطلق عليه نبر الكلمة، ولكنه يتعدل من حيث القوة أو الضعف فى كل من العبارات والجمل، ويعتمد على اهمية الكلمات داخل التركيب المعين، كما يعتمد ـ أيضا ـ على التنغيم[١] وهو نبر شائع فى كثير من اللغات، ويتعدل على أساسه معنى كل من الجمل والعبارات، ويجدر أن نذكر أن للنبر وظائف لغوية مهمة، سواء أكانت هذه الوظائف على مستوى الكلمات أم على مستوى الدلالات والمعانى.

فهناك لغات عديدة، تعتمد على النبر فى اختلاف المعانى والدلالات فالكلمة المفردة الواحدة لها أكثر من مدلول داخل سياقها من الجملة، وهذا التعدد إنما يأتى من تأثير نبر مقطع معين دون مقطع آخر، ومن أمثلة ذلك فى اللغة الإنجليزية مثلاً: الكلمة import فإذا ركز فى نطقها الإنجليزى على المقطع الأول، تكون الكلمة حينئذ اسما، فى حين إذا ركز نبره على المقطع الثانى تكون الكلمة فعلا (import الكلمة حينئذ اسم import الكلمة حينئذ فعل) ولعل من أهم اللغات التى تستخدم النبر فى تغير مدلولات الكلمات هى اللغة الصينية.

أما بالنسبة للغة العربية، فقد اختلف العلماء حول وجوده، ومكانه فى الكلمة، فبينما يقول بروكلمان: «فى اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقى، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعًا طويلاً، فيقف عنده فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها[٢].

(١) انظر: علم اللغة العام، الأصول ١٦٢.

(٢) فقه اللغات السامية ٤٥.

أما برجشتراسر فإنه يـرى أنه لا نص نستند عليه فى إجابة مسألة، كيف كان حال العربية الفصيحة فى هذا الشـأن، ومما يتضح من اللغة نفسها ومن وزن شعرها، أن الضـغط لم يوجد فيها، أو لم يـكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيـها حذف الحركات غير المـضغوطة، وتقصيرها وتضعـيفها ومد الحركات المضغوطة، وقد رأينا أن كل ذلك نادر فى اللغة العربية، وإذا نظرنا إلى اللهجـات العربية الدارجة كلهـا ـ فيما أعـرف ـ الضغط، وهو فى بعضها قوى، وفى بعضها متـوسط، غير أنها تختلف فى موضعه من الكلمة فى كـثيـر من الحالات، فـمن المعلوم أن الـمصـريين يضغطون فى مـثل: (مطبعة) المـقطع الثانى، وغيرهم يضغطون الأول، فلو أن الضـغط كان قويا فى الزمان العـتيق لكانت اللهجـات ـ على أغلب الاحتمـال ـ حافظت على موضعه من الكلمة، ولم تنقله إلى مقطع آخر(١).

وكما يذكر الدكتور/ رمـضان عبد التواب، فإنه ليس هناك نص يمكن أن نستند إليـه فى معرفـة النبر فى اللغة العـربية، لكننا ـ أيضًـا ـ لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود النبر فى العربية القديمة(٢).

ولذلك فإن د/ أنيس يقول، ليس لدينا من دليل يهـدينا إلى موضع النبر فى اللغة العـربية، كما كان ينـطق بها فى العصور الإسـلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المـؤلفين القدماء، أما كما ينـطق بها قراء القرآن الكريم الآن فى مصر، فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذ عنه(٣). ويؤكد د/ أنيس

(١) التطور النحوى ٤٦.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ١٠٤.

(٣) الأصوات اللغوية ١٧١.

أن للنبر فى اللغة العربية أربعة مواضع، وأن أشهر هذه المواضع النبر الذى يقع على المقطع الأخير.

ويوضح د/ أنيس كيفية معرفة تلك المواضع بقوله: «لمعرفة موضع النبر فى الكلمة العربية ينظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس (أى المقطعان المكونان من ص ح ص ص، ص ح ح ص) كان هو موضع النبر، وإلا نُظر إلى المقطع الذى قبل الأخير، فإن كان من النوعين الثانى والثالث (أى المقطعان ص ح ح، ص ح ص) حكمنا بأنه موضع النبرى، أما اذا كان من النوع الأول (أى المقطع ص ح) نظر إلى قبله، أى من النوع الأول ـ أيضًا ـ كان النبر على هذا المقطع الثالث حين تعد من آخر الكلمة ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين تعد من الآخر إلا فى حالة واحدة، وهى أن تكون المقاطع الثلاثة التى قبل الأخير من النوع الأول[1].

ويمكن أن نمثل للأنواع الأربعة السابقة على النحو التالى:

١- يكون النبر على المقطع الأخير:

إذا كان من النوعين (ص ح ص ص، ص ح ح ص) مثال الأول: الكلمة عانيتْ. . فإنها تتكون من مقطعين هما: عا + نيتْ nayt + ʕā = (ص ح ح + ص ح ص ص) ومثال الثانى كلمة نبيع، فإنها تتكون من مقطعين هما: نَ + بيعْ bīʿ + na (ص ح + ص ح ح ص).

(١) الأصوات اللغوية ١٧٢.

٢- يكون النبر على المقطع قبل الأخير:

ويكون ذلك فى المواضع التالية:

(أ) إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الثالث (ص ح ص) فكلمة مثل: توقف مثلا تتكون من المقاطع (تَ + وَ قْ + قَفْ) وبالرموز هى ta + wa̓k + ḳaf.

(ب) إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الثانى (ص ح ح) فكلمة مثل: ينادى مثلا تتكون من المقاطع (يُ + نَا + دى) وبالرموز الصوتية yo + nā + diy أى (ص ح + ص ح ح + ص ح ص).

(جـ) إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الأول: (ص ح) ومن نوع المقطع الأخير ـ أيضًا ـ فالكلمة: ناضَلَ (نَا + ضَ + لَ) وبالرموز الصوتية na + da̓ + la أى (ص ح ح + ص ح + ص ح).

وكذلك الكلمة: يَشْرَبُ (يَشْ + رَ + بُ) والرموز الصوتية yaš + ra̓ + bu أى (ص ح ص + ص ح + ص ح).

٣- يكون النبر على المقطع الثالث من الآخر:

ويكون ذلك فى المواضع الآتية:

(أ) إذا كان المقطع الثالث من الآخر من نوع المقطع الأول ص ح وما بعده مثله ـ أيضًا ـ أى (ص ح) مثال ذلك الكلمة كَتَبَ، فانها تتكون من (كَ + تَ + بَ) فالمقطع الثالث من الآخر وهو: كَ (ص ح) ما بعده مثله (ص ح) ومقاطع الكلمة هى (ka̓ + ta + ba) أى (ص ح + ص ح + ص ح).

أما الكلمة: (اجتمع) فإنها تتكون من أربعة مقاطع هكذا: (ا جْ + تَ +

مَ + عْ) وبالرموز الصوتية: ig + ta + mà + ca أى (ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح).

٤- يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من للآخر:

ويكون ذلك فى مثل كلمة: حَلَقَةْ، التى تتكون من المقاطع الآتية: (حَ + لَ + قَ + تن) وبالرموز الصوتية هكذا ha + la + ka + tòn أى (ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ص).

ويكون ذلك عندما تكون المقاطع الثلاثة قبل الآخر من نوع المقطع الأول، على النحو السابق.

وعلى الرغم من أن قدامى اللغويين العرب، لم يدرسوا النبر بمعنى الضغط على بعض مقاطع الكلام، فان بعضهم، قد لاحظ أثره فى تطويل بعض حركات الكلمة، ويسميه ابن جنى (مطل الحركات)(١) وفى ذلك يقول ابن جنى: «حكى الفراء عنهم أكلت لحما شاه، أراد لحم شاه، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا»(٢). ويقول الفراء أيضا: وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة فى قمت: قمتا، أى قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة أنتى، أى: أنت عاقلة ونحو ذلك، ومع الضمة: قمتو، فى قمت إلى زيد، ونحو ذلك(٣).

---

(١) الخصائص ٣/ ١٢٣.

(٢) الخصائص ٣/ ١٢٩.

(٣) الخصائص ٣/ ١٢٩.

التنغيم (موسيقى الكلام) INTONATION والنغمات

التنغيم هو رفع الصوت وخفضه فى أثناء الكلام، للدلالة على المعانى المختلفة للجملة الواحدة، كنطقا الجملة مثل «لايا شيخ» للدلالة على النفى أو التهكم أو الاستفهام، وغير ذلك وهو الذى يفرق بين الجمل الاستفهامية والخبرية، فى مثل: «شفت أخوك» فإنك تلاحظ نغمة الصوت تختلف فى نطقها للاستفهام عنها فى نطقها للإخبار(١).

ويعرفه د/ بشر بقوله: «التنغيم» Intonation وهو مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه فى الكلام، ويسمى أيضًا موسيقى الكلام، إننا نلاحظ أن الكلام تختلف نغماته ولحونه وفقًا لأنماط التركيب والموقف ويساعد هذا الاختلاف على فهم المعنى المقصود(٢).

ويرى د/ أنيس أن «التسلسل الذى نلحظه بفى درجة الصوت (التنغيم) يخضع لنظام خاص يختلف من نغمة إلى أخرى، ولا بد من معرفة هذا النظام فى اللغة التى يراد تعلمها، والا فقد الكلام صبغته الخاصة وبعد عن النطق الطبيعى الخاص بكل لغة(٣).

ويذكر مارتينيه M.Marttient أن النغمات هى عبارة عن وحدات مقطعة، شأنها فى ذلك شأن الوحدات الصوتية، وهى أيضًا ظواهر عروضية، لأنها تخضع للتقطيع الصوتى.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ١٠٦.

(٢) علم اللغة العام، الأصوات ١٦٣.

(٣) الأصوات اللغوية ١٧٥.

ومن المعلوم أن الصوت يحدث نتيجة لاهتزاز الأوتار الصوتية التى لا بد أن تتوتر من أجل حدوث هذا الاهتزاز، فعندما يكون أحد الأوتار مشدوداً بقوة، ينتج عن اهتزازاته صوت عالٍ، كما ينتج عنه صوت عميق، إذا كان الشد ضعيفًا وعند الغناء يرتفع الصوت وينخفض على درجات، أى فى طبقات صوتية، وفى أثناء الكلام يرتفع الصوت وينخفض بشكل متصل[١].

وهذا يعنى أن نغم الكلام شىء تلقائى إلي حد ما، أى أن المتكلم لا يستطيع أن يختار بين وجوده أو عدم وجوده، ومع أن الفرص المتاحة لاستعماله لغويا بهذه الصورة، فرص محددة، إلا أن نغم الكلام يؤدى بلا شك دوراً يختلف نوعه، كما تختلف أهميته من لغة إلى أخرى اختلافًا بينا ولا توجد سوى لغات قليلة يستعمل فيها هذا النغم، فى هيئة وحدات مقطعة، أى على شكل نغمات، وليس من النادر أن يستعمل فى سبيل إظهار التباين أى عند التأكيد بواسطة النبر.

ويؤكد مارتينيه ـ كما أسلفنا ـ أن التنغيم يخضع لضرورة شد الأوتار عند بداية الكلام، كما يخضع أيضًا لدواعى ميل تلك الأوتار للاسترخاء، حالما يقترب الكلام من نهايته، حيث يقول: «وبين البداية والنهاية، إمكان المتكلم أن يستخدم هذا المسار لإدخال بعض التمايز، وهذا ما يحدث عند البشرية كلها، بطريقة واحدة، ولو أن الأشكال تختلف من مجتمع لآخر[٢] وهو يقرر أن الباحث لا يستطيع أن ينكر على التنغيم كل قمية لغوية، إلا أنه لا يقوم بعملية ضمن إطار التقطيع المزدوج[٣]، وبالنسبة لقيم التنغيم وتأثيرها

(١) مبادئ اللسانيات العامة ٧٧.

(٢) مبادئ اللسانيات العامة.

(٣) مبادئ اللسانيات العامة ٧٧ - ٧٨.

فى اللغة الفرنسية، يذكر مارتينيه أنه: «ليس للتغييرات التى تحدث فى منحنى التنغيم، وظائف متباينة تستطيع أن تسهم فى تحديد المعنى إسهامًا مباشرًا[١]، فليست كلمة pleut فى جملة ?il pleut إذا نطقناها بنغم يتدرج صعودًا، غير كلمة pleut فى جملة il pleut إذا نطقناها بنغم يندرج هبوطًا.

هذا فيما يخص اللغة الفرنسية، بطبيعة الحال، ولكن الأمر يختلف فى بعض اللغات الأخرى وهذا ما يقرره مارتينيه نفسه، ويذكر أن من اللغات العالمية، ما يكون لها قيمة لغوية، ويذكر منها اللغات التى تنتشر فى أفريقيا، جنوب الصحراء، وفى شرق وجنوب آسيا حيث أن تحديد كلمة ما أو وحدة دالة بصورة كاملة فى اللغات النغمية، لا يمكن أن يتم إلا بعد أن نحدد نغماتها وكذا بعد أن نحدد وحداتها الصوتية «ولذلك فإن القول أن كلا من إجاصة وكستناء يحملان تسمية واحدة فى اللغة الصينية، وهى كلمة «لى» Li ليس صحيحًا، كما ـ قلنا بأن le pré (Pre، المخرج) و le prêt (Pré القرض) مشتركان لفظيا فى اللغة الفرنسية، والصحيح أن الكلمة الصينية، التى تشير إلى الاجاصة تنطق بنغمة صاعدة، بينما تنطق الأخرى التى تشير إلى «الكستناء» بنغمة هابطة، والتأثير الذى يمارسه الفرق بين النغمتين يماثل الذى يمارسه الفرق فى مدى اتساع الحرف وهو الذى يسمح لنا أن نميز بين pret و pre فى اللغة الفرنسية[٢].

---

(١) انظر مبادئ اللسانيات العامة ٧٨.

(٢) مبادئ اللسانيات العامة ٧٨ - ٧٩.

وينقسم التنغيم عند مارتينيه إلى نوعين اثنين هما:

١- التنغيم الموضعي:

وهو التنغيم الذى يقع على موضع معين فقط فى مسار النغمة الانسيابى، وقد يكون أعلى موضع، كما قد يكون أعمق موضع فى هذا المسار، وفى اللغة التى تميز بين نغمتين موضعيتين، لا بد أن تكون إحداهما عالية والأخرى عميقة لكن بعض اللغات تميز بين ثلاث نغمات موضعية، نغمة عالية، وأخرى متوسطة، وثالثة عميقة، وفى معظم اللغات التى تكون فيها نغمات موضعية، تميز كل لغة مقطعًا، ويكون لكل مقطع نغمة(١).

ويمثل لذلك النوع من التنغيم، بمثال من لغة اللونكوندو وهى لغة ذات طبقتين (تنغيميتين) وهى تنتشر فى منطقة الكونغو، فإذا نطقنا فى هذه اللغة كلمة Lòkòlò بنغمة عميقة على مقاطعها الثلاثة فإننا نشير إلى: ثمرة النخيل، أما إذا نطقناها بنغمة عميقة على المقطع الأول، وبنغمة عالية على كل من المقطعين اللاحقين، أصبح معنى كلمة (Lokólo) استحضار الأرواح وتعنى فى اللغة ذاتها كلمة ataoma معنى أنت لم تقتل اليوم، وتعنى ذات الكلمة atâoma معنى: أنت لم تقتل البارحة.

٢- التنغيم الانسيانى:

وهو التنغيم الذى لا تتحدد فيه النغمة، من خلال نقطة معينة، داخل المنحنى التنغيمى، وإنما يشارك فى هذا الدور اتجاه المنحنى أو اتجاهاته المتتابعة ونميز فى أبسط الحالات بين نغمة صاعدة، ونغمة هابطة، وإلى جانب هذين النوعين من النغمات قد نعثر على نوع ثالث نسميه بالنغمة

(١) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٠ - ٨١.

المعلقة أو «الموحـدة» (أو.ما يطلق عليها بالنغمة المسـتوية) وهى نغمة ليس فيها صعود ولا هبوط ظاهر.

ويذكر مارتينيه، أنه يمكن أن يكون فى مقابل نغمة بسيطة أو عدة نغمات بسيطة، ذات اتجاه واحد، أن توضع نغـمة مركبة ذات اتجاه متـغير، ويمثل مارتينيـه لذلك بكلمة (Komma) أى فاصلة فى اللغة الأسوجيـة، فنغمتها ذات اتجاه واحد، قد يكـون صاعداً أو هابطًا، حسب كل لهجة مـما يميزها عن كلمة Komma بمعنى: جاء، التى تبدأ بنغمة هابطة، ثم نغمة صاعدة.

إن انسيـابية التنغيم، يسـتوجب عدداً من الـمقاطع، بحـيث يصبح لكل مقطع نغمته الخاصة.

ويذكر مارتينيه، أن النغمات الانسيـابية، قد تنتمى ـ فى إحدى اللغات ـ إلى طبقـة صوتية، لكن هذا لا يعنى أن بداية نغـمة صاعـدة فى هذه اللغة، يجب أن تكون من طبقة واحدة مثل نهاية نغمة هابطة وإنما يعنى فقط، انه لا يتميز فى هذه اللغة نغمتان عن بعضـهما، من خلال طبقتها فقط وعلى الرغم من ذلك فإن هناك لغات، تربط بين النغـمات الانسيابية والطبقـات الصوتية، وفيـها يستطيع المـرء أن يميز بين نغـمة عالية مـتصاعـدة، ونغمة منخفـضة متصـاعدة علمًا بأن كل نقطة فى المسار الصـوتى للنغمة الأولى، تقع أعلى من مثيلتها فى النغمة الثانية[١].

ونقـدم فـيمـا يلى حـصـراً، للإمكانات المـختلفـة، التى ترد علـيهـا النغمات[٢]:

(١) انظر مبادئ اللسانيات العامة ٨٠ - ٨١.

(٢) انظر: أصوات اللغة ١٥٣ وما بعدها.

٢- النغمة المستوية:

وهى عبارة عن عدد من المقاطع الصوتية، التى تكون درجاتها متحدة، سواء أكانت منخفضة أم عالية أم متوسطة، وعلى ذلك فالنغمة المستوية، تأتى، على صور ثلاث هى:

(أ) نغمة مستوية منخفضة.

(ب) نغمة مستوية مرتفعة.

(جـ) نغمة مستوية متوسطة.

ويرمز للنغمة المستوية، بخط أفقى هكذا (-) ويوضع أعلى السطر أو أسفله أو وسطه بحسب كون النغمة مرتفعة أو منخفضة أو متوسطة.

٢- النغمة الهابطة:

وهى النغمة التى تتطلب وجود درجة عالية فى مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضًا، وقد تتألف من نغمة متوسطة الدرجة تليها نغمة منخفضة، كما قد تتألف من نغمة عالية الدرجة، تليها نغمة متوسطة.

ويرمز للنغمة الهابطة بالخط المائل ناحية اليسار هكذا (\ ) ويوضع فوق المقطع ذى النغمة الهابطة.

٣- النغمة الصاعدة:

وهى النغمة التى تتطلب وجود درجة منخفضة فى مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر علوا، وقد تتألف من نغمة منخفضة، تليها نغمة متوسطة، وقد تتألف من نغمة متوسطة، تليها نغمة عالية.

ويرمز للنغمة الصاعدة بالخط المائل ناحية اليمين هكذا (/) ويوضع فوق المقطع ذى النغمة الصاعدة.

٤- النغمة الهابطة الصاعدة:

وهى النغمة التى تتطلب وجود درجة عالية، فى مقطع أو أكثر، تليها درجة أقل منها، ثم درجة عالية.

ويرمز لها بالرمز (ˇ) ويوضع فوق النغمة الهابطة الصاعدة.

٥- النغمة الصاعدة الهابطة:

وهى النغمة التى تتطلب وجود درجة منخفضة فى مقطع أو أكثر، تليها نغمة أعلى، ثم نغمة أكثر انخفاضًا.

ويرمز لها بالرمز ˆ ويوضع فوقها مباشرة

علاقة النبر بالنغمات

يشترك كل من النبر، والنغم الصوتى، فى خاصية فيزيائية واحدة فكلاهما يستفيد من الوحدة الصوتية.

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال حول إمكانية وجود النبر والنغم الصوتى فى لغة واحدة كواقعين منفصلين.

والحقيقة أن هناك لغات نغمية بلا نبر، يكون فيها لكل مقطع نغمة متميزة، كما أن هناك لغات أخرى نبرية، فيها نغمات، وحينئذ يكون لكل كلمة أو لكل وحدة نبرية نغمة تمييزية واحدة فقط، ويرتبط موضعها بموضع النبر ذاته[١].

ونقدم فيما يلى، بعض النماذج التحليلية للنغمتين الهابطة والصاعدة ويجب ملاحظة ما يلى:

---

(١) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٤.

١- توضع الرموز الدالة على نوعية النغمة، فوق المقطع ذى النغمة المعينة، وفى نهايته.

٢- توضع الرموز الدالة على نوعية النبر، فوق حركة المقطع المنبور.

٣- يترك المقطع غير المنبور بلا رمز، للدلالة على عدم وجود نبر فيه.

أولا: النغمة الهابطة:

ويكثر ورودها فى الجمل التقريرية، والجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة، كثيرة الدوران على ألسنة العامة فى لهجات الخطاب العادية، مثل قولهم: «فين» للمكان وقولهم «مين» للعاقل وقولهم «امته» للزمان، وقولهم «اراى» للحال وغيرها من الأدوات وكذلك فى الجمل الطلبية.

ففى قولنا: أنا موجود:

يتم توزيع رموز النبر والتنغيم على الوجه التالى:

ʾa nā maw ˥ū d

وفى قولنا: انت فين؟

يتم توزيع رموز النبر والتنغيم على الوجه الآتى:

ʾin ta fēn ˥?

ثانيا: النغمة الصاعدة:

وتكون فى جمل الاستفهام التى تتطلب الإجابة بنعم أو بلا وكذلك فى الجمل المعلقة على شرط مثلاً:

ففى قولنا: انته جيت؟

توزع رموز النبر والتنغيم كالاتى:

ʾin ta ˥ēt ?

وقد تظهر النغمتان، الصاعدة والهابطة فى جملة واحدة، كجملة الشرط بطرفيها، فجملة الشرط تشتمل على نغمة صاعدة، لعدم تمام الكلام وجملة الجواب ذات نغمة هابطة، لتمام الكلام.

وهكذا يتضح أن للتنغيم فوائد جمة فى التفريق بين دلالات الجمل ومعانيها، إذ إن للتنغيم وظائف نحوية ودلالية هامة، فالجملة الواحدة قد تكون إثباتية (تقريرية) أو استفهامية والفيصل والحكم فى التمييز بين الحالتين، يرجع إلى التنغيم، فالجملة العامية «شفت أخوك» جملة إثباتية، إذا نطقت بتنغيم خاص، ولكنها تكون جملة استفهامية، إذا نطقت بتنغيم من نوع آخر، ولعل السبب فى إبراز دور التنغيم فى مثل هذه الجمل من اللهجات المحلية، وهو خلوها من أدوات الاستفهام وغيرها فاستخدمت اللهجات التنغيم لإبراز المعانى المختلفة فيها، وعلى الرغم من أهمية التنغيم فى اللغة، كما هو واضح من الأمثلة التى قدمها «مارتينيه» فإن أمثلته فى اللغة العربية ولهجاتها هو فى ذلك النوع الذى لا يمكن اطراده فى قاعدة ثابتة، لأن وجوده يرجع بالدرجة الأولى، إلى العادات النطقية، سواء على الأفراد أم على مستوى اللهجات بعامة.

ويتجلى التنغيم، وبخاصة فى اللهجات فى الانتقال، بالمعنى الحقيقى إلى المعانى البلاغية العديدة، فقد يدل على التهكم أو الزجر أو الموافقة أو الرفض أو الاستغراب والدهشة... إلخ.

وتعد اللغة الصينية، من أشهر اللغات، التى تستخدم التنغيم فى التعبير عن الدلالات والمعانى المختلفة للكلمة الواحدة.

لم تدرس ظاهرة التنغيم، عند العلماء العرب القدامى، إلا أننا لا نعدم، من ألمع إلى اختلاف الدلالات في المثال الواحد.

فهذا ابن جنى اللغوى القدير، يقول: «وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم نسير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكان هذا إنما حذفت فيه الصفة، لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك، من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك[1].

(١) الخصائص ٢/ ٣٧٠ - ٣٧١.

الفواصل الصوتية وأنواعها

تعد الفواصل الصوتية بأنواعها، من الفونيمات فوق التركيبية، أو تلك التى يطلق عليها الفونيمات التطريزية، وتشتمل على، الوقفات والسكتات والاستراحات.

ويرتبط وجود هذه الفواصل بأنواعها بأمرين هامين وهما:

١- المعنى أو الدلالة: أى معنى الكلام ودلالته.

٢- القواعد النحوية للغة: فلكل لغة صحتها النحوية، التى يلتزم بها متكلموها.

والحق أن هذين الأمرين ضروريان، لوجود هذه الفواصل، وهما أمران متكاملان، ولا يمكن الاعتماد على أحدهما دون الآخر، وليس هنا مجال للحديث عن مدى علاقة القواعد بالدلالة فهى علاقة وثيقة، وللعلماء جهود مشكورة وعديدة، حول بيان العلاقة بين النحو والدلالة، وهذه العلاقة تعد من الأمور التى يعول عليه اتباع المنهج التوليدى التحويلى.

أولا: الوقفات:

وتكون الوقفات ـ عادة ـ عند تمام الكلام، من حيث المعنى وذلك يتحقق فى الجمل المكونة من العناصر اللغوية، الموافقة للموقف المعين، فقد يكون الوقف على نغمة هابطة ويكون ذلك مرتبطًا بالمعنى، ويحدث ذلك ـ كما أسلفنا ـ فى الجمل الاستفهامية بالعلامات الخاصة، التى لا تتطلب إجابة بنعم أو بلا، وكذلك فى الجمل غير المعلقة ويكون الوقف على نغمة صاعدة فى الجمل الاستفهامية، التى تستوجب الاجابة بنعم أو

مواضع الوقف:

لا يمكن أن نحصر مواضع الوقف فى اللغة، حصرًا كاملاً ونهائيا، لأن الوقف يرتبط بالمعنى، والمعنى مرتبط بمواقف لا تقع تحت حصر، ولكن القاعدة الثابتة التى تقول: «شرط الوقف تمام الكلام مع صحته لغويا» يكون الاعتماد عليها فى تحديد مواضع الوقف.

مواضع عدم الوقف أو ما لا يجوز فيه الوقف:

وهى ـ أيضًا ـ مواضع عديدة، ترتبط بالدلالة وصحة التركيب النحوى، ومن أهم تلك المواضع ما يأتى:

١- لا يجوز الوقف بين الفعل والفاعل، ولا يجوز الوقف بينهما وبين المفعول به.

٢- لا يجوز الوقف بين المضاف والمضاف إليه، فالمتضايفان كل لا يتجزأ، وهما يؤلفان كلمة مركبة واحدة.

٢- لا يجوز الوقف بين النعت والمنعوت، اللهم الا إذا كان النعت مقطوعا، فيجوز أن يكون بينهما سكتة خفيفة.

٤- لا يجوز الوقف على اسم الإشارة وبدله أو (عطف بيانه) إلا إذا تغير الموضع الإعرابى من بدل أو عطف بيان إلى خبر حينئذ يجوز أن تكون هناك سكتة خفيفة.

٥- لا يجوز الوقف بين المكملات، وما تأتى لبيان حاله أو تمييزه أو تعيين وقته، سواء أكانت المكملات حالاً أم تمييزًا أو ظرفا.

٦- لا يجوز الوقف على أداة الاستثناء.

٧- لا يجوز الوقف بين الأدوات السابقة للأفعال والأفعال.

٨- لا يجوز الوقف بين حروف الجر ومجروراتها.

٩- لا يجوز الوقف بين الحروف الناسخة وجملها، وكذلك بين الأفعال الناقصة وجملها.

ثانيا: السكتة الخفيفة:

وهى ظاهرة صوتية، وتعد من الفونيمات فوق التركيبية، ولها مواضع كثيرة، ويجوز أن تهمل ومن هذه المواضع:

١- السكتة بين المبتدأ والخبر المعرفتين.

٢- السكتة بين القول ومقوله.

٣- السكتة عند تفصيل الكلام، إذا بدأ الكلام التالى بقولنا: . . . بأن.

٤- السكتة بين النعت والمنعوت المقطوع.

٥- السكتة بين الجمل المعلقة، مثل جمل الشرط.

ثمة نوع من السكت، ورد فى القرآن الكريم، يعد وقفًا واجبًا، من ذلك قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فلا بد من السكت بعد كلمة «مرقدنا» سكتًا واجبًا، وإلا فسد معنى الآية.

وعند السكتات تكون المقاطع الصوتية «صناعدة» حيث أن الكلام لم ينته بعد.

ثالثا: الاستراحة:

وتعد الاستراحة هى الأخرى، من الفونيمات فوق التركيبية وإن كانت

أقلها تأثيرا، ويلجأ المتكلم إلى الاستراحة، عندما يطول الكلام، حيث يلجأ إليها لالتقاط النفس.

وليس للاستراحة قواعد ثابتة، يمكن تحديد مواضعها من خلالها، لأنها تتعلق فحسب بقدرة المتكلم على الاستمرار فى الكلام وطول النفس، مع مراعاة فهم المعنى وصحة التركيب نحويا، فهى إذن قدرة خاصة بصاحبها، تعد من الخبرات الخاصة، فهناك من الناس من يستطيع مواصلة الكلام الطويل دونما حاجة إلى استراحة مع مراعاة صحة المعنى والتركيب، وهناك أناس آخرون لا يستطيعون مواصلة الكلام الطويل فيستريحون لقصر نفسهم من جانب، ولتصويب المعنى والعمل على صحته وصحة التركيب النحوى من جانب آخر.

قوانين التغيير الصوتية

ان اللغة ـ أية لغة ـ كائن حي، تحيا على ألسنة متكلميها من البشر، ومن ثم فهى خاضعة، لسنة التغيرُّ التى يخضع لها الكائن الحى ذاته، سواء فى نشأته أم فى نموه، واللغة أيضا ـ تعد ظاهرة اجتماعية، تحيا فى ظله، وتستمد كيانها من عاداته وتقاليده وسلوك أفراده فهى ترقى وتسمو، فى حالات رقيه، وتنحط بانحطاطه وتخلفه.

إن اللغة مِلك لأبناء المجتمع جميعهم، تعبر عن رغباتهم وأحاسيسهم ومشاعرهم وتمثل وسيلة الاتصال والتفاهم بين أفراده، واللغة فى ذلك، شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، عرضة للتغيرُّ المطرد فى مختلف عناصرها، أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالتها.

وتغيرُّها هذا لا يجرى تبعًا للأهواء ولا مصادفات، أو وفقًا لإرادة الأفراد، إنما يخضع فى سيره لقوانين جبرية ثابة مطردة النتائج، والمعالم محققة الآثار، ولا يد لأجد على وقف عملها، أو تغيير ما تؤدى إليه من نتائج فليس فى قدرة الأفراد أن يوقفوا تغير لغة ما، أو أن يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها فى سبل غير السبيل التى رسمتها لها سنن التغير الطبيعى فمهما أجادوا فى وضع معجماتها، وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط أصواتها وقواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم فى إتقان تعليمها للأطفال قراة وكتابة ونطقًا، وفى وضع طرق ثابتة سليمة، يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة فى محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم الأغلال، وتفلت من هذه

القيود، وتسير فى السبيل التى تريدها على السير فيها سنن التغير[١] وفى ذلك يقول ماريوباى:

«إن الاتجاه الطبيعى للغة، وبخاصة فى صورتها الدارنجة، أو المتكلمة، وهو اتجاه يبعدها عن المركز، فاللغة تميل إلى التغيير، سواء خلال الزمان أو عبر المكان، إلى الحد الذى لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز، هذه الخاصية العالمية للغة، هامة لعالم اللغة التاريخى، حيث إنها تشكل الأساس فى كل تغير لغوى»[٢].

فالغة من شأنها الحركة والتغير، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تثبت فى مكانها بلا حراك وفى ذلك يقول ستيفن أولسان: «اللغة ليست جامدة أو ساكنة، بحال من الاحوال، وبالرغم من أن تقدمها، قد يبدو بطيئا فى بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات، ومعانيها، معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغيير فقط، هى التى تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لتكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كبيرة، من شأنها أن تفوق فهم المرحلة السابقة، وإدراكها إدراكًا تاما»[٣].

ونستطيع أن نؤكد أن سنة التطور والتغيير، هى بمثابة سيف مسلط على رقاب اللغات، كل اللغات، وأنه لن تنجو منه لغة أو تفلت.

(١) انظر: اللغة والمجتمع، دكتور/ على عبد الواحد وافى ٧٨.

(٢) أسس علم اللغة ٧١.

(٣) دور الكلمة فى اللغة ١٥٦.

«واللغة العربية الجاهلية، ليست بدعًا بين اللغات، فهى حلقة فى سلسلة حلقات طويلة من التطور والتغيير، أى انـها لم تكن كما يتخيل بعض الناس بصورتها التى رويت لنا، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها»(١).

إن التـعصب القـومى، قد يؤدى بالعلمـاء إلى القول بأسـبقـية لغـاتهم وهيمنتهـا على سائر اللغات! وأن جمـيع اللغات العالميـة، ما هى إلا فروع منبثقة منها أو خارجة من تحت عباءتها!! وهذا التعصب، ليس مقصورًا على أمة بعينها، بل إن لكل لغة من يدعى للغته، فضل السبق والقدم.

ولعل من غريب ذلك، بل وطريفـة، ما روى لنا عن شاعـر عربى على لسان قحطان بن هود عليه السلام، يـحاول أن يخفف الكآبة والحزن والجزع عن أبيه هود، مما أصابه من قومه عاد حيث يقول(٢):

وأنى رأيـت أبى هودا يـؤرقـــه
حـزن دخـيل وبلـبـال وإسـهـاد
لا يحـــزُنك أن طاحت بداهيـــة
عاد بن لا وى فـعاد بئـسمـا عاد

وليت الأمر يقف عنـد هذا الحد من العصـر المتقـدم من الزمان، الذى يعبـر فيه قحطان بن هود علـيه السلام عن حزن أبيـه وجزعه من قومـه عاد باللغة العربية!! وقد أكـد لنا القرآن الكريم زوال قوم عاد عن آخرهم وأنه لم يبق منهم من باقـية!! ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

(١) التطور اللغوى: مظاهره وعلله وقوانينه ٦.
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام، للأصمعى ٤.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة ٧، ٨) ناهيك عن اللغة التى كانوا يتكلمون بها، وهل كانت اللغة العربية حقا!!.

بل إننا نرى من يروى عن آدم عليه السلام، عندما قال شعراً عربيا يرثى فيه ولده هابيل، حينما قتله أخوه قابيل... وقالوا بأن أول من «أقوى» فى الشعر هو آدم عليه السلام، وهو يقول فى قصيدته[١].

تغيرت البلاد ومن عليها

فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى حسن وطيب

وقل بشاشة الوجه المليح

ونحن نريد أن نؤكد أن اللغة العربية الفصحى تشتمل على العديد من ظواهر التطور، حيث مكننا أن نرى للظاهرة اللغوية الواحدة صورتين أو أكثر.. ومن الثابت أن إحدى هذه الصور تمثل مرحلة تاريخية أقدم من غيرها من الصور الأخرى.

الصور المتعددة للظاهر اللغوية، ليست جميعها وليدة فترة زمنية واحدة، بل إن إحداها فقط، و هى التى تمثل مرحلة البداية، وأما بقية صور الظاهرة، فقد جاءت بسبب التطور أو بالتغيير الذى يصيب الظواهر اللغوية على فترات حياتها.

بيد أنه من المهم لنا أن ندرك أن اللغة العربية الفصحى دون غيرها من سائر اللغات، لها خاصية تميزها، من حيث إنها لغة القرآن الكريم، حيث لا

(١) الدرر اللوامع، للشنقيطى ٢/ ٢٠٩.

بد أن يُحافظ على صحتها وسلامتها من جميع الوجوه والمستويات، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، حتى لا تنغلق على الفهوم والعقول فيبتعد الأمد وتتسع المسافة بينها وبين القرآن الكريم.

ومن ثم فإن دعاوى التطور والتغيير، بالنسبة لهذه اللغة على وجه الخصوص، يجب أن تؤخذ بحذر واحتراز شديدين، وألا يطلق العنان لدعاة التحرر والانطلاق، أو أن يترك الحبل على الغارب، لمن يريد أن يحدث فى اللغة ما شاء له من الإحداث والتغيير.

إنه مما لا شك فيه «أن اللغة كائن حى، يتطور على ألسنة المتكلمين بها، فينشأ عن هذا التطور اختلاف بين لغة عصر والعصر الذى سبقه، وهنا يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم، وأنصار الشكل الجديد وبعد فترة يصبح قديمًا ما كان أمس جديداً، فيتصارع مع جديد آخر، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر، غير أن كل جديد، لا يظهر فجأة ولا يقضى على القديم بين يوم وليلة بل يظل الصراع بينهما لفترة، قد تطول أو تقصر غير أن الانتصار يكون فى النهاية للشكل الجديد تلك سنة الحياة، وتاريخ اللغات كلها يشهد بهذا، ولا نعرف لغة على ظهر الأرض، جمدت على شكل واحد مئات السنين»(١).

ونؤكد القول، بأن اللغة العربية الفصحى، لما لها من خصوصية تتعلق بكونها لغة القرآن الكريم ما تزال فتية نابضة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، فالمولى جلت قدرته، هو الذى ضمن لها صفة البقاء والخلود إلى يوم الدين

(١) التطور اللغوى ٧ - ٨.

مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ حيث تتعطر بقراءته ألسنة المسلمين فى أنحاء الدنيا، يذكرون ربهم فى كل وقت وآن.

ولولا هذه الميزة العظيمة للغة القرآن الكريم لكان مصيرها الزوال والاندثار مثل غيرها من اللغات التى نشأت مع زمانها، كاللغة اللاتينية واللغة السنسكريتية، وغيرها من اللغات الإنسانية، التى جاءت متزامنة مع اللغة العربية فى نشأتها، لكنها بادت وهلكت واندثرت! ـ

وحول هذا المعنى يقول الشيخ أحمد رضا العاملى: «أنا لا أرتاب فى أن اللغة التى تحملها الفرنسيس أيام الحروب الصليبية إلى سوريا، لم تكن كالغة التى حملها أحفادهم إليها فى هذه الأيام، وأن اللغة التى نظم بها شكسبير قصائده، لا يفهمها العامى الإنجليزى اليوم، أكثر مما يفهم العامى العربى قصائد المتنبى وأبى العلاء المعرى، وأن لغة موليير الفرنسية، فيما أحسب ـ بعيدة عن لغة اميل زولا ولكن لغة المتنبى، لم تتغير عن لغة شوقى، وبينهما ألف عام، إلا أن لغة المتنبى تخالف الزاجل فى زجل اليوم، بل أن لغة الزاجل اليوم، تخالف لغة الزاجل فى عصر ابن خلدون»(١).

وأخيرًا، فإن هذه اللغة العربية الفصحى، التى ما تزال وستظل باقية شامخة، إنما واتاها هذا العز وهذا الشموخ، أنها استمدت صفة ديمومتها وبقائها بفضل القرآن الكريم، الذى ضمن لها البقاء وعدم التغيير.

---

(١) مولد اللغة، للعاملى ٢.

مواضع التطور ومجالاته

يجب أن ندرك منذ البداية، أن اللغة تتكون من مجموع من المستويات أو الأنظمة، وأن النظام الصوتى لأية لغة، ما هو إلا واحدًا من هذه المستويات وأن مجالات التغير فى كل مستوى من هذه المستويات عديدة ومتنوعة، فالنظام الصوتى يشتمل على مجالات ومواضع تتمثل فى نظام الصوامت والحركات والفونيمات والمقاطع الصوتية، وظواهر النبر والتنغيم ونظام الأبنية يشتمل على الكلمات والصيغ واشتقاقاتها، ونظام التراكيب والدلالة يشتملان على طرائق متنوعة يمكن أن يحدث فيها التطور أو التغيير.

ليست تلك المستويات على درجة واحدة من حيث سرعة التغير، فهناك فرق بين سرعة التغير فى المستوى الصوتى تختلف عن سرعة التغير فى بقية المستويات.

فالنظام الصوتى «يستقر منذ الطفولة، ويستمر طول الحياة، فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التى تعودت عليها أعضاؤه الصوتية، منذ الطفولة، اللهم إلا أن يحدث له عارض ناتج من التعليم، وذلك فى حالة أن يتلقن نطقًا أجنبيا، يحل محل النطق القومى، والنظام الصرفى ثابت أيضًا، نعم إن استقراره يتطلب وقتًا أطول، ولكنه بعد أن يستقر، لا يعتريه تغير يذكر، ذلك لأن الصرف، لا يتغير فى أثناء جيل واحد، بل هو كالصوتيات، إنما يتغير فى الانتقال من جبل إلى جيل، فالنظام الصوتى والنظام الصرفى إذا ما اكتسبا مرة، بقينا طول العمر، وهما يدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنية المتكلم.

أما المفردات، فإنها على العكس من ذلك، لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف، فكل متكلم يكون مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به فالإنسان يزيد فى مفرداته، ولكنه ينقص منها أيضا، وتغير الكلمات فى حركة دائمة من الدخول والخروج ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة ـ دائمًا ـ فالذهن يروض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة ذلك لأن الحياة تشجع على تغيير المفردات، لأنها تضاعف الأسباب التى تؤثر فى الكلمات، فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغير المفردات، وتقضى على الكلمات القديمة، أو تحور معناها وتتطلب خلق كلمات جديدة»(١).

بيد أننا يجب أن ندرك، أن النظام الصرفى فى اللغة الحية، ليس مثله فى اللغة المدونة فهو عرضة للإصابة بسهم التطور والتغير، ولذلك فإننا نجد أن هذا النظام «لا يثبت على حال كذلك، ولسنا نتحدث هنا عن الأخطاء الفردية التى تند أحيانًا عن أقلام الكتابة مهما بلغ حرصهم ولكن كل نظام صرفى فيه مواضع نقص، لا تخلو منها أية لغة، ولو كانت من أشد اللغات تثقيفًا، ففى كل قاعدة من قواعدها شواذ لا يبررها منطق، وقصارى القول أن النظام الصرفى لدى كل متكلم، يحمل فى نفسه، من أسباب التغيير بقدر ما يحمله النظام الصوتى، والفرق بين المسلكين، يظهر فى نتائجهما، فالتطور الصوتى عام شامل، لا يترك وراءه بقايا، إذ إنه يستبدل حالا جديدة، مكان حال

(١) اللغة لفندريس ٢٤٦ - ٢٤٧.

قديمة، أما التطور الصرفى، فيندر أن يشمل جميع الحالات التى يؤثر فيها، فهو يدع إلى جانب الصيغ الجديدة التى يستحدثها، عدداً كبيراً من الصيغ القديمة التى تستمر فى الاستعمال وهكذا تترك كل حلقة من حلقات التطور الصرفى بقايا لها[١]. حيث إن التغير لا يكون تاما إطلاقًا، فكثيراً ما تبقى الصيغ القديمة إلى جانب الصيغ المستحدثة حتى لنلاحظ أن النظام العام للغات التى لها تاريخ طويل والتى عانت تطوراً ضخمًا، كالفرنسية أو الإنجليزية، مزيجًا من النظم التى تضم حالات مختلفة»[٢] وهذه البقايا الصرفية من النظام القديم تبدو كظواهر شاذة فى داخل النظام الجديد، وهى التى يطلق عليها الدكتور رمضان عبد التواب «الركام اللغوى للظواهر المندثرة فى اللغة»[٣].

ولعل انتشار اللغة بين غير أصحابها، وكثرة المتحدثين بها من أصحابها هى من الأسباب التى تعمل على سعة تطور اللغة وتغيرها ويؤكد فندريس هذه الحقيقة، المتمثلة فى تأثير سرعة انتشار اللغة فى أقاليم أخرى، على تطورها وتغيرها، وأن انتشارها فى أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها، الموغلة فى الذاتية، والتأثير الذى يقع عليها من الخارج، يؤدى بها إلى التغير السريع، فإذا ما قارنا لهجة موطن أصلى بلهجة مستعمراته تبين لنا أن هذه الأخيرة، قد فقدت بعض القواعد النحوية الخفية

(١) اللغة لفندريس ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) اللغة لفندريس ٤٢٣.

(٣) انظر: مقالة «الركام اللغوى» فى المجلة العربية، السنة الثانية العدد الأول ٥٥، كذا لحن العامة والتطور اللغوى ٣٧٦.

الدقيقة، ذلك لأن التقاليد قد أبقت عليها فى مهبط رأسها، ثم تلاشت بهجرتها بعيداً عن موطنها من ذلك أن الاختلاف بين I will, I shall لم يعد له وجود فى الإنجليزية المتكلمة فى أمريكا فلا يقال الآن إلا: I will[١].

كذلك الحال بالنسبة لأحوال المتكلمين للغة من ابنائها، حيث ان حياتهم فى حالة من التخلخل والتفرق، ستؤدى بالضرورة إلى التبدد والانقسام وظهور لهجات عديدة للغة الواحدة وذلك على العكس من كونهم متجمعين فى مكان واحد متقارب، فإن ذلك سيؤدى إلى توحد لغتهم فالتأثير الاجتماعى، له خطورته الهامة، فهو لا يعوق فقط تطور اللغة أو يعجل به، بل إنه يعين كذلك وجهة هذا التطور ومداه[٢].

ويؤكد الدكتور/ رمضان عبد التواب أن التطور اللغوى «لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها فى صورة قوانين دقيقة، إذا تناولنا لغة ما فى عصرين متتابعين من تاريخ تطورها»[٣].

---

(١) اللغة لفندريس ٤٢٧.

(٢) انظر اللغة لفندريس ٤٢٨.

(٣) التطور اللغوى ١٣.

القوانين الصوتية

إن القوانين الصوتية: هى تلك التى تعبر عن «علاقة بين جانبين متتابعين للغة الواحدة، فى وسط اجتماعى معين»[١] وليس بالضرورة أن تقوم هذه القوانين بالعمل على سائر اللغات أو اللهجات، فقد نجد تطوراً صوتيا فى احدى اللهجات، فى حين لا نجد مثله فى لهجة أخرى وليس معنى أنها قوانين، أى أنها لا بد أن تطبق على سائر أنواع النشاط اللغوى الإنسانى، فهى ليست قوانين عامة، مثل قوانين الطبيعة أو الكيمياء أو القوانين الرياضية، فمن المعلوم مثلاً أن القوانين فى العلوم الطبيعية تصدق دائمًا، بقطع النظر عن المكان والزمان، فالتيار الكهربائى إذا وقع تحت ظروف معينة، سوف يحلل الماء إلى أوكسجين وهيدروجين فى أى مكان وفى أى زمان، وسوف يكون فى استطاعتنا أيضًا، أن نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حد معين، أما قوانين الأصوات فليس لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط عن مقدار معين من الاطراد فى التطورات السابقة، فى حدود معينة، من حيث الزمان والمكان أى أنها تشير ألى أن صوتًا معينًا قد تطور إلى صوت آخر بذاته، فى فترة كذا وفى لغة كذا، تحت ضروف معينة ومحددة تحديداً دقيقًا[٢].

ومن ثم، فإننا نلاحظ أن ما يجمع بين حالتين متتابعتين فى لغة واحدة، إنما حدث من خلال رباط تخلقه هذه اللغة، وليس بقانون تقوم بتنفيذه لذلك

---

(١) علم اللسان، انطوان مية ٤٦٧.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٨٧ - ١٨٨.

لا يعرف مقدمًا، كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك، لأنه لا يوجد دائمًا فى تطور الأصوات عدد يكثر أو يقل من العوامل غير المنظورة التى تنتج أثرها ومع ذلك، فالقانون الصوتى، بوصفه تعبيراً عن تغير وقع فى الماضى، له صفة الإطلاق، وهذه الصفة، نتيجة لانسجام النظام الصوتى، واطراد التعبيرات(١).

ويؤكد فندريس، أنه يمكن أن نقوم بدراسة ما طرأ على لغة من تغير فى أصواتها، على لغة أخرى من اللغات، فى ظل قوانين اللغة المدروسة كما يمكن أن نتعرف سر هذه التعبيرات، فيقول: «فإذا كان هناك لهجتان صادرتان عن لغة واحدة، تبعا لقوانين خاصة، فإن مظهرها الصوتى يستبين بمعرفة هذه القوانين، فإذا عرفنا أن الألمانية، قد أبدلت ألـ: z (تْس) من ألـ: t (ت) القديمة الواقعة فى أول الكلمة والتى احتفظت الانجليزية بها، فهمنا المقابلة التى بين: zehn , ten (عشرة) وبين twing (يضغط) و Zwingen (يقسر) و وبين: zunge , tongue (لسان)... إلخ، فالواحدة من هذه الكلمات تنبئ عن الأخرى(٢).

ويجدر بعد ذلك أن نقدم أهم الخصائص التى تتصف بها القوانين الصوتية فيما يلى:

١- يتسم التطور الصوتى بأنه غير شعورى، أى أنه تطور تلقائى، غير متعمد، ولا دخل فيه للإرادة الإنسانية (فالطفل حينما يخطئ فى تقليد أبويه، لا يعتقد إلا أنه يحسن تقليدهما).

(١) اللغة لفندريس ٧٢.

(٢) اللغة لفندريس ٧٢.

٢- يتسم التطور الصوتى، بأنه تعبير اجتماعى، وليس تعبيراً فرديا كما كان يسود الاعتقاد بذلك لدى القدماء.

٣- يتسم التطور الصوتى، بأنه بطىء فى سيره وتدرجه، حيث إنه لا يحدث بين يوم وليلة، وإنما تظهر آثاره بعد أجيال.

٤- يتسم التطور الصوتى، بأنه محدود بالمكان المعين، فهو مقصور على بيئة معينة دون سواها (كتطور صوت القاف وتحوله إلى همزة فذلك مقصورٌ على بيئة بعينها، وليست كل البيئات).

٥- يتسم التطور الصوتى، بأنه محدود بزمان معين، ينتهى بعدها أثر القوانين الصوتية (مثال ما لوحظ من أن العربية كانت تنطق الشين المستعارة من الآرامية سينا، فى فترة من الفترات فنقول فى مثل: سارية (بالسين) بدلا من Šarita (بالشين) غير أن هذا القانون، فقد أثره بعد مدة، فأبقت العربية على الشين، فى الكلمة التى استعارتها من الآرامية، فى هذه الحقبة الجديدة من الزمن، مثل (شر قراق) وهو طائر النقار الأخضر[١].

٦- يتسم التطور الصوتى، بأنه مطرد، فالتطور الذى يصيب صوتًا من الأصوات، يسرى على هذا الصوت فى جميع أحواله وفى جميع الكلمات المشتملة عليه، وعند جميع الأفراد الذين يوجدون فى هذه البيئة[٢].

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية، لبروكلمان ٤٩ - ٥٠.

(٢) انظر: التطور اللغوى ١٧.

التغييرات التاريخية والتركيبية للاصوات

يجب ان نعرف أن التغييرات الصوتية، تشتمل على قسمين اثنين هما:

١- التغييرات التاريخية.

٢- التغييرات التركيبية.

أولا: التغيرات التاريخية:

وهى تلك التغيـيرات التى تحدث من التحول فى الـنظام الصوتى للغة، بحيث يصير الصوت اللغوى، فى جميع سياقاته صوتًا آخر(١).

ثانيا: التغييرات التركيبية:

وهى التى تصيب الأصوات، من جهة الصلات التى تربط هذه الأصوات بعضها ببعض، فى كلمة واحدة(٢).

أولا: التغييرات التاريخية

عرفنا المـقصود بالتغيـيرات التاريخيـة للأصوات، ونقدم مجـموعة من الأمثلة التى توضح كيفية حدوث هذا التحول التاريخى فى الكلمات.

١- تطور الباء المهموسة (p) إلى فاء:

(أ) تطور الباء الـمهمـوسة (P) فى اللغة السـاميـة إلى «فاء» ف، فى اللغات السامية الجنوبية، وهى العـربية والحبشية مع بقاء الأصل (P) البـاء المهمـوسة، كما هى فى اللغـات السامية والشـمالية وهى العبـرية والآرامية والأكادية، مثال ذلك كلمة: Pōl فى العبرية، التى صارت فى العربية «فول» وفى الحبشية fal بالفاء.

---

(١) التطور اللغوى ١٧.

(٢) التطور اللغوى ١٧.

(ب) كلمة «فو» العربية بمعنى «فم» بالتميم. . فقد تطورت الباء المهموسة (P) فى اللغات السامية، مثل: Pē فى العبرية Pūmā فى الآرامية، Pū فى الأكادية إلى صوت الفاء، كما هو واضح فى العربية.

(جـ) كلمة «فِلْجٌ» أو «فَلَجٌ» فى العربية بمعنى الشق، وكلمة flag فى الحبشية بمعنى (جدول) حيث تطورت الباء المهموسة (P) فى اللغات السامية، مثل pālag فى العبرية، plāg فى الآرامية بمعنى (شق) وكذلك palgu فى الأكادية بمعنى (قناة) تطورت الباء المهموسة فيها جميعًا إلى صوت الفاء فى العربية والحبشية[1].

٢- تطور صوت الجيم القاهرى (g) إلى الجيم الفصحى (dj):

إن مقارنة بين اللغات السامية كلها تشير إلى أن النطق الأصلى لهذا الصوت، كان نطقًا بسيطًا غير مركب (أى بغير يتعطيش) وهو الصوت الذى ينطقه القاهريون، ومعظم سكان مصر وبخاصة فى الوجه البحرى، فكلمة «جمل» فى العربية، هى كلمة gămāl فى العبرية، وكلمة: gamlā فى الآرامية وكلمة gamal فى الحبشية.

أما صوت الجيم الفصيح (dj) فقد تحول عن الجيم القاهرية، وذلك بأن تحول نطقه من منطقة الطبق (الحنك الرخو) أى أقصى الحنك، إلى منطقة الغار (الحنك الصلب) أى وسط الحنك كما تحولت صفته من كونه صوتًا بسيطًا إلى صوت مركب أو مزدوج، يبدأ النطق به من صوت الدال فى منطقة الغار وينتهى بصوت الشين المجهورة.

---

(١) انظر: التطور اللغوى ١٧ - ١٨.

وقد حدثت تغيرات تاريخية لصوت الجيم الفصيح (dj) على ألسنة العوام فى اللهجات العربية الحديثة، حيث انحل إلى جزئية أو عنصرية على الوجه الآتى:

ـ فى صعيد مصر، ينطقون الجيم دالاً ففى كلمة مثل: «جرجا» ينطقونها: «دردا».

ـ فى حين تحول صوت الجيم الفصيح (dj) المركب تحول عند الشوام، وبخاصة الفلسطينيون منهم إلى الجزء الثانى، وهو الشين المجهورة، فهم ينطقون كلمة مثل: «جمال» بما يشبه صوت الـ (j) الانجليزى.

وقد حدث مثل هذا الانقسام فى صوت الجيم الفصيح، قديمًا، ونطق الناس بأحد عنصريه وهو الدال، فقد ذكر ابن مكى الصقلى (توفى سنة ٥٠١هـ) فى كتابه: تثقيف اللسان، وتلقيح الجنان: أن الناس فى عصره كانوا يقولون: «دشيش» فى: «جشيش»[١] كما ذكر أبو بكر الزبيدى (توفى سنة ٣٧٩ هـ) فى كتابه: «لحن العوام» مثل ذلك عن عوام الأندلس[٢]. وذكر ابن هشام اللخمى (توفى ٥٧٧ هجرية) كذلك كلمة: «تدشيت» فى تجشأت[٣].

كما انحلت الجيم الفصيحة ـ كذلك ـ فى زمن أقدم من ذلك إلى صوت الشين المجهورة، لكن بعد أن ضاع الجهر منها، فصارت شينًا مهموسة، كما هو الحال، فى الشين العربية الأصلية، حيث روى عن قبيلة تميم أنهم

(١) لحن العامة والتطور اللغوى ٢٠٦.

(٢) لحن العوام للزبيدى ٢٠.

(٣) انظر: لحن العامة والتطور اللغوى ٢٤١.

كانوا يقولون فى المثل: «شر ما أشاءك إلى مخِّه عرقوب[١] بدلا من «أجاءك».

وكقول زهير بن ذؤيب العدوى[٢]:

فيالَ تيم صابروا قد أشئتمُ

إليه وكونوا كالمحربة البُسل

كما قال الراجز[٣]:

إذا ذاك حبل الوصال مُدْمش

أى: قد أجئتم بمعنى: الجئتم فى البيت الأول ومدمج فى الثانى.

ومن ذلك التطور فى صوت الجيم الفصيح إلى صوت الشين المهموس ما يرويه لنا أبو عمرو الشيبانى فيقول: الإشاءة: الاضطرار، وأهل الحجاز يقولون: الاجاءة، يقول: ما أجاءك كذا وكذا؟ أى ما اضطرك إليه، قال الله عز وجل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وقال الأخطل[٤]:

ستقذف وائل حولى جميعا

وأطعن إن أُشِئتَ إلى الطعان

ثمة تطور تاريخى ثالث للجيم فى اللهجات العربية، وهو تحولها إلى صوت الياء، وقد حدث هذا فى لهجة تميم، فقد روى أن تميم يقولون فى

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ٢/ ١٦٤.

(٢) الصحاح للجوهرى (شيا) ١/ ٥٩.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٥.

(٤) الجيم لأبى عمرو الشيبانى ١/ ٧٠ كذا، ديوان الأخطل ١٩٢.

«الصهريج» وفى جمعة «الصهاريج» يقولون «الصهرى» و «الصهارى» كما روى أبو زيد أن بعضَ تميم قال فى «شجرة شيرة».

وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى

فأبعدكن الله من شيرات

أى: شجرات.

وتشيع هذه الظاهر فى عصرنا الحديث فى بلدان الخليج العربى بعامة وجنوب العراق.

٣- التطور التاريخى فى صوت القاف:

لقد عانى صوت القاف من العديد من صور التطور التاريخى ووصف صوت القاف، طبقا للغات السامية، يدل على أنه صوت شديد مهموس (كما ينطقه قراء القرآن الكريم فى عصرنا الحديث) فهو فى العبرية، فى كلمة ḳōl بمعنى (صوت) وفى الآرامية، فى كلمة ḳḏām بمعنى: قدام، وفى الحبشة: ḳōma بمعنى (قام) وفى الأكادية Paḳad بمعنى (بحث) غير أن العرب قديمًا، كانوا ينطقونه مجهورًا، وذلك طبقًا لما وردنا من وصف العلماء العرب فإن كان هذا الوصف حقا، هو ما ينطقه العرب القدماء، لكان ذلك من قبيل التطور التاريخى فى هذا الصوت منذ القدم.

وهناك تغييرات أخرى تاريخية عديدة، طرأت على صوت القاف فى البلدان العربية بعامة:

(أ) ففى معظم نواحى مصر والشام، تحول هذا الصوت إلى

همزة، وقد حدث ذلك، منذ قديم، فقد روى أبو الطيب قولهم «القفز» و «الأفز»[١].

(ب) وفى السودان وجنوب العراق: تحول هذا الصوت إلى غين، فيقولون فى كلمة الاستقلال «الاستغلال» وهناك فى العامية المصرية، كلمتان على هذا المنوال، وهما كلمة: «يغدر» ومشتقاتها أى «يقدر» وكلمة «زغزغ» بمعنى تحريك اليد فى خاصرة الطفل، ولها صلة بكلمة «الزقزقة» المروية عن العرب بمعنى «ترقيص الطفل»[٢].

(جـ) فى بعض بلدان الخليج كالبحرين، وكذا الرياض، تحول هذا الصوت إلى صوت جيم مزدوج، ففى البحرين يقولون: «الجبلة» أى القبلة وفى الرياض يقولون «الدزبلة» أى القبلة حيث يجعلون الازدواج فى الصوت عن طريق "zd" وليس "dj" كما هو فى الفصحى.

(د) عند الفلسطينيين تحول هذا الصوت إلى صوت الكاف فهم يقولون فى قال: كال، وفى: قتل كتل.. وغير ذلك.

ثانيا: التغييرات التركيبية:

ذكرنا أن التغيرات التركيبية، هى تلك التى تصيب الأصوات، من جهة الصلات التى ترتبط بعضها ببعض فى كلمة واحدة، وهى لذلك مشروطة بتجميع صوتى معين، وليست عامة فى الصوت فى كل ظروفه وسياقاته اللغوية[٣].

(١) الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٥٦٢.

(٢) التطور اللغوى ٢٢.

(٣) التطور اللغوى ٢٢.

وهناك قوانين عديدة للتغييرات التركيبية، لعل من أهمها، قانون المماثلة والمخالفة، وكذلك قانون السهولة والتيسير وكذا انتقال النبر وبلى الألفاظ، وتأثير المقاطع الصوتية، وقانون الأصوات الحنكية وغيرها من قوانين التغييرات التركيبية.

ونقصر حديثنا فى هذه الدراسة على بعض من هذه القوانين، بغرض الوقوف على كيفية عملها ومدى تاثيرها فى الأصوات من خلال السياق والاستعمال.

obeikandl.com

أولا: قانون المماثلة والمخالفة

Assumulation, Dissimilation

١- المماثلة: Assimilation:

من المعلوم أن الأصوات اللغوية، تتأثر فيما بينها، عند النطق بها، سواء فى الكلمات أو فى الجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكى تتفق فى المخرج أو فى الصفة، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها فى الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام، بين الأصوات المتنافرة فى المخارج أو فى الصفات، ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها ـ كما نعرف ـ فى المخارج والشدة والرخاوة والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وما إلى ذلك، فإذا التقى فى الكلام، صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهوراً مثلاً، حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه فى صفاته كلها أو فى بعضها[1]. وهذا التوافق يحدث فيما بين الأصوات الصامتة وكذا فيما بين الحركات، وأيضًا فيما بين الصوامت والحركات.

والحقيقة أن العرب، قد فطنوا إلى مثل هذا التأثر فيما بين الأصوات، فهذا هو العلامة ابن جنى يقول فى قول تأبط شرا:

وكأنما حثحثوا خصًا قوادمه

أو أم خشف بذى شتٍّ وطبَاق

(١) التطور اللغوى ٢٢.

إنه أراد: حثثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، وإنما ذهب إليه البغداديون، وأبو بكر بن السراج معهم، وسألت أبا على عن فساده، فقال: العلة فى فساده، أن أصل القلب فى الحروف، إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء، والهمزة والهاء، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه فأما الحاء فبعيدة عن الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها قال: وإنما (حثحثت) أصل رباعى و (حثث) أصل ثلاثى، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه الا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة و(حثث) من مضاعف الثلاثة(١).

وفى ذلك يقول ابن سيدة: «ما لم تتقارب مخرجاه ألبته فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يسمى بدلاً، وذلك كإبدال حزف من حروف الفم، من حرف من حروف الحلق»(٢).

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٧.

(٢) المخصص ١٣/ ٢٧٤.

رسم تخطيطى لأشكال التأثر وصوره (أنواع المماثلة)[١]

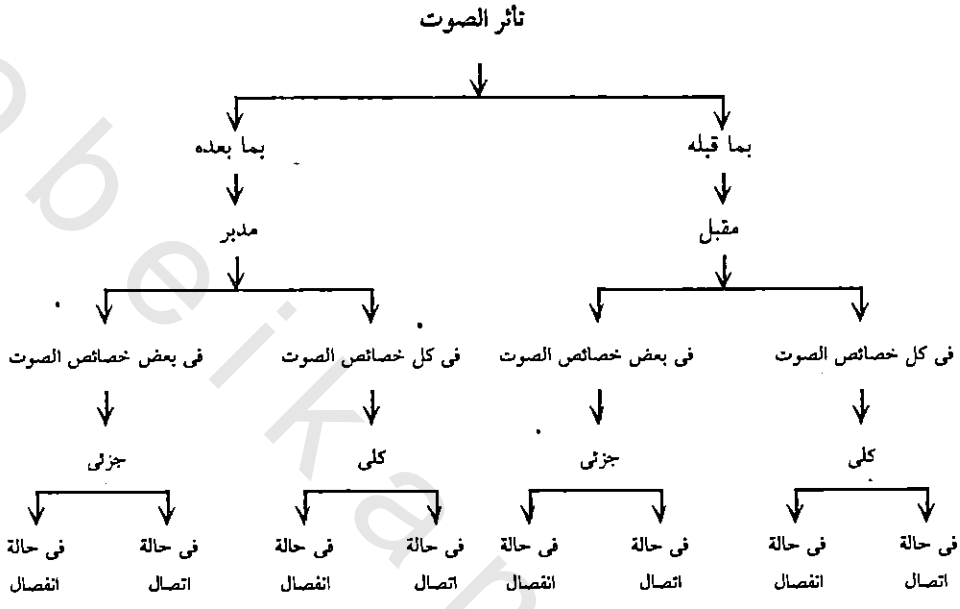

وينتج عن هذه الأشكال المرسومة، ثمانية أشكال على النحو الآتى:

١- تأثر مقبل كلى فى حالة الاتصال.

٢- تأثر مقبل كلى فى حالة الانفصال.

٣- تأثر مقبل جزئى فى حالة الاتصال.

٤- تأثر مقبل جزئى فى حالة الانفصال.

٥- تأثر مدبر كلى فى حالة الاتصال.

٦- تأثر مدبر كلى فى حالة الانفصال.

٧- تأثر مدبر جزئى فى حالة الاتصال.

(١) انظر: التطور اللغوى ٢٣.

obeikandl.com

٨- تأثر مدبر جزئى فى حالة الانفصال.

ونقدم فيما يلى بعض الأمثلة التى تمثل كل نوع من هذه الأنواع الثمانية من التأثر (المماثلة):

١- التأثر المقبل الكلى فى حالة الاتصال:

وفى هذه الحالة، يتأثر الصوت بالصوت الذى قبله مباشرة فيتحول إلى نفس الصوت السابق، ويدغم فيه فى صورة صوت واحد والأمثلة على ذلك عديدة، نذكر منها:

(أ) تأثر تاء الافتعال دائمًا بالدال أو الطاء قبلها، فتقلب دالاً أو طاء ومثالها صيغة افتعل من الأفعال الآتية:

أدرك: تحولت تاء الافتعال، دالاً، نظرًا للقرابة المخرجية (كلاهما صوت لثوى أسنانى)

أ د ت ر ك ← أ د د ر ك ← ادّرك

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اطلَّب: تحولت تاء الافتعال طاء، نظرا للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة الهمس.

ا ط ت ل ب ← ا ط ط ل ب ← اطَّلب

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

(ب) تأثر تاء الافتعال غالبًا بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها، فتقلب ذالاً أو ضاداً مثال ذلك: صيغة افتعل من الأفعال الآتية:

اذَّكر: تحولت تاء الافتعال ذالاً، نظراً للقرابة المخرجية.

ا ذ ت ك ر ← ا ذ ذ ك ر ← اذَّكر

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اضّجع: تحولت تاء الافتعال ضاداً، نظرا للقرابة المخرجية.

ا ض ت ج ع ← ا ض ض ج ع ← اضَّجع

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اصَّبر: تحولت تاء الافتعال صاداً، نظرا للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة الهمس.

ا ص ت ب ر ← ا ص ص ب ر ← اصَّبر.

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

(جـ) تأثر تاء الفاعل بلام الفعل، إذا كانت طاء، فتقلب طاء فى بعض اللهجات القديمة، وعلى هذه اللغة، جاء قول علقمة بن عبده التميمى:

وفى كل حى قد خبَّط بنعمة

فحق لشأس من نداك ذَنُوب .

وفى ذلك يقول سيبويه «وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبهما طاء، لأن هذه التاء، علامة الإضمار، وإنما تجىء لمعنى وليست تلزم هذه التاء الفعل، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائبًا قلت (فعل) فلم تكن فيه تاء»[1].

فكلمة: خبطَّ: تحولت فيها التاء طاء، ثم زدغمت فى الطاء قبلها، نظرا للقرابة المخرجية، والاتفاق فىْ صفة الهمس:

خ ب ط ت ← خ ب ط ط ← خبطّ

ف ع ل ت ← ف ع ل ت ← فعلت

(١) الكتاب ٢/ ٤٢٢.

٢- التأثر المقبل الكلى فى حالة الانفصال:

وفى هذه الحالة، يتأثر الصوت بالصوت الذى يسبقه ولكن يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت، فيتحول إلى صوت مماثل بالصوت السابق، ومن أمثلة ذلك:

(أ) تأثر حركة الضم فى ضمير النصب والجر الغائب المفرد (المذكر) والمثنى (بنوعية المذكر والمؤنث) والجمع (بنوعية المذكر والمؤنث) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمة إلى كسرة، ومثال ذلك:

المفرد المذكر:

برجلهُ ← برجلِه ← تحولت الضمة فى الضمير هُ الى كسرة هِ لتماثل كسرة اللام قبلها.

فيهُ ← فيهِ ← تحولت الضمة فى الضمير هُ الى كسرة هِ لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

عليهُ ← عليهِ ← تحولت الضمة فى الضمير هُ إلى كسرة هِ لتماثل الياء قبلها.

جمع المذكر:

بصاحبهُم ← بصاحبِهم تحولت الضمة في الضمير هُم إلى كسرة هِم لتماثل كسرة الباء قبلها.

قاضيهُم ← قاضيهِم تحولت الضمة فى الضمير هُم إلى كسرة هِم لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

عليْهُم ← عليْهِم تحولت الضمة فى الضمير هُم إلى كسرة هِم لتماثل الياء قبلها.

جمع المؤنث: .

بِهُنَّ ← بهِنَّ تحولت الضمة فى الضمير هُنَّ إلى كسرة هِنَّ لتماثل كسرة قبلها.

المثنى بنوعيه:

بِهُما ← بِهِما تحولت الضمة فى الضمير هُما إلى كسرة هِما، لتماثل الباء قبلها.

وقد حافظت قراءة حفص عن عاصم على الضمة، ولم تحولها كسرة، أى أنه حافظ على أصل الحركة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ (الكهف: ٦٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ (الفتح: ١).

كما حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل فى نطقها، وفى ذلك يقول سيبويه: فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة.. وذلك قولك مررت بهى قبلُ، ولديهما مال، ومررت بدار هى قبل.

وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديه مال، ويقرءون «فخسفنا بهو بدارهو الأرض»(١).

كما يقول المبرد: «فأما أهل الحجاز خاصة، فعلى الأمر الأول فيها، يقرءون فخسفنا بهو وبدارهو الأرض، ومن لزم اللغة الحجازية قال: عليهُ مال»(٢) وفى ذلك يقول ابن مالك أيضًا: «ولغة الحجازيين فى هاء الغائب

---

(١) الكتاب ٢/ ٢٩٤.

(٢) المقتضب للمبرد ١/ ٣٧.

الضم مطلقًا، وهو الأصل، فيقولون: ضربُتهُ، ومررت بهُ ونظرت إليهُ، ولغة غيرهم الكسرة بعد الكسرة أو الياء الساكنة اتباعا، وبلغة غيرهم قرأ القراء إلا وحفصًا فى: «وما أنسانيه إلا الشيطان» و «بما عاهد عليهُ الله» وحمزة فى: «لأهلهُ امكثوا» فى الموضعين، فإنهما قرءا بالضم على لغة الحجازيين»[1].

٢- التأثر المقبل الجزئى فى حالة الاتصال:

ويكون ذلك، بأن يتأثر الصوت بصوت سابق عليه، يماثله فى القرابة المخرجية أو فى بعض الصفات الصوتية، فيتحول الصوت اللاحق إلى صوت آخر قريب الشبه فى المخرج أو فى الصفات.

ومن أمثلته ما يلى:

(أ) تأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالزاى قبلها، فتقلب طاء فى الحالتين الأوليين، ودالاً فى الحالة الثالثة، مثل اصطبغ: تحولت تاء الافتعال طاء، لتأثرها بالصاد قبلها نظراً للاتفاق فى صفة التفخيم.

ا ص ت ب غ ← ا ص ط ب غ ← اصطبغ

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اضطجع: تحولت تاء الافتعال طاء، لتأثرها بالضاد قبلها نظراً للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة التفخيم.

ا ض ت ج ع ← ا ض ط ج ع ← اضطجع

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

ازدجر: تحولت التاء إلى دال، لتأثرها بالزاى قبلها نظراً للقرابة المخرجية، والاتفاق فى صفة الجهر.

(١) شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٤٤.

ا ز ت ج ر ← ا ز د ج ر ← ازدجر

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

(ب) تتأثر تاء الافتعال بالجيم، إذا كانت فاء للفعل، فتقلب دالا فى بعض اللهجات القديمة وذلك مثل:

اجدمع: تحولت تاء الافتعال دالاً، لتأثرها بالجيم قبلها نظراً للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة الجهر.

ا ج ت م ع ← ا ج د م ع ← اجدمع

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اجدزّ: تحولت التاء دالاً، لتأثرها بالجيم قبلها، نظراً للقرابة المخرجية، والاتفاق فى صفة الجهر.

ا ج ت ز ز ← ا ج د ز ز ← اجدزّ

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

وفى ذلك يقول ابن جنى: «وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم فى بعض اللغات، قالوا: اجدمعوا فى: اجتمعوا، واجدزّ فى: اجتزّ، وأنشدوا:

فقلت لصاحبى لا تحبسانى

بنزع أصوله وأجدرّ شيحا

ولا يقال ذلك إلا أن يسمع، لا تقول فى اجترأ: اجدرأ، ولا فى اجترح، اجدرح»[1].

(جـ) تأثر الشاء بالأصوات المجهورة قبلها، فتقلب ذالاً فى بعض اللهجات القديمة، مثل:

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠١.

. يجـذو: حيث تأثرت الثـاء بالجيم قـبلها، فـتحـولت ذالاً، وذلك نظراً للاتفاق فى صفة الجهر.

ى ج ث و ⟵ ى ج ذ و ⟵ يجذو

ى ف ع ل ⟵ ى ف ع ل ⟵ يفعل

تلعذم حيث تأثرت الثاء بالعين قبلها، فتحولت ذالاً، وذلك نظراً للاتفاق في صفة الجهر.

ت ل ع ث م ⟵ ت ل ع ذ م ⟵ تلعذم

ت ف ع ل ل ⟵ ت ف ع ل ل ⟵ تفعلل

وابن جنى ينكر أن يكون ذلك من قـبيل التـأثر والممـائلة ويقول إنهـما لغتـان، «وأما قـولهم: جذوت وجـثوت، إذا قمت على أطـراف أصابعك، وقرأت على أبى على:

إذا شـئت غـنتنى دهاقـيـن قـرية

وصنّاجـه تجـذو علـى كل منْسم

فليس أحد الحـرفين بدلاً من صـاحبه، بل همـا لغتان، وكـذلك قولهم ايضا: قرأ فما تلعثم وما تلعذم»(١).

(د) تأثر تاء الفاعل بلام الفعل، إذا كـانت صوتًا مفخمًا، فـتقلب التاء طاء فى بعض اللهجات القديمة، مثال ذلك قولهم: «فحصط برجلى بدلا من فحصت»(٢).

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠١.

(٢) الكتاب ٢/ ٤٢٣، وكذا سر صناعة الإعراب ٢/ ٢٢٥.

فحصط :تأثرت التاء بالصاد قبلها، فقلبت طاء، وذلك نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق فى صفة الهمس والتفخيم معا.

ف ح ص ت ⟵ ف ح ص ط ⟵ فحصط

ف ع ل ت ⟵ ف ع ل ت ⟵ فعلت

(هـ) تأثر صوت الزاى المجهورة، بصوت الشين المهموسة قبلها، فقلبت إلى نظيرها المهموس، وهو صوت السين. . مثال ذلك ما رواه أبو الطيب فى أنه يقال فى: «نشز نشس».

٤- التأثر المقبل الجزئى فى حالة الانفصال:

ويكون ذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة، بما قبلها من الأصوات، غير المتصلة بها مباشرة، حيث يفصل بينهما فاصل ويتم التحول فى ضوء القرابة المخرجية أو الاتفاق فى الصفة الصوتية ومن أمثلة ذلك ما يلى:

(أ) تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور، وهو صوت الزاى ومثال ذلك ما رواه ابن هشام اللخمى، عن لهجة الأندلس العربية فى القرن السادس الهجرى إذ إنهم يقولون فى كلمة: مهراس، مهراز[1].

(ب) تأثر صوت الذال بالقاف قبلها، فتقلب الى نظيرها المفخم وهو صوت الظاء، وذلك فى بعض اللهجات العربية القدمية حيث يقال للشاة التى تضرب بخشبة حتى تموت: وقيذ ووقيظ ويقول ابن جنى: «يقال: تركته وقيذا ووقيظا، والوجه عندى والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤.

اسمه: والموقوذة بالذال، ولقولهم: وقذه يقذه، ولم أسمع: وقظه ولا موقوظة، فالذال أعم تصرفًا، فلذلك قضينا بأنها الأصل»[١].

(جـ) تأثر الدال بالراء قبلها فتقلب إلى نظيرها المفخم، وهو الضاد، حيث أن صوت الراء، قد يتسم أيضا بصفة التفخيم، ومثال ذلك ما روى عن لهجة الأندلس العربية فى القرن الرابع الهجرى فى كلمة مثل: معربد تحولت الى معربض[٢].

٥- التأثر المدبر الكلى فى حالة الاتصال:

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بما يليه مباشرة من الأصوات فيتحول إلى نفس الصوت، ثم يدغم فيه.. والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر نظرا لكثرتها، نذكر منها:

(أ) فى مضارع صيغتى: تفعّل وتفاعل، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل، إذا كان صوتًا من أصوات الصفير أو الأسنان ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضى ومن أمثلة ذلك ما يلى: يذّكرّ: تأثرت التاء بالذال بعدها، فقلبت ذالاً، ثم أدغمت الدال نظرا للقرابة المخرجية:

ى ت ذ ك ك ر ← ى ذ ذ ك ك ر ← ى ذّ كّ ر (يذّكّر)

ى ت ف ع ع ل ← ى ت ف ع ع ل ← ى ت ف عّ ل (يتفعل)

وكذلك الحال فى صيغة الماضى: اذّكّر

ا ت ذ ك ك ر ← ا ذ ذ ك ك ر ← ا ذّ كّ ر (اذّكّر)

ا ت ف ع ع ل ← ا ت ف ع ع ل ← اتفعّل (اتفعّل)

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣٣.

(٢) لحن العوام للزبيدى ٢٩٦.

يطَّهر: تأثرت التاء بالطاء بعدها، فقلبت طاء، ثم أدغمت الطاء فى الطاء نظرًا للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة الهمس.

ى ت ط هـ هـ ر ← ى ط ط هـ هـ ر ← ى طّ هـّ ر (يطّهّر)

ى ت ف ع ع ل ← ى ت ف ع ع ل ← ى ت ف عّ ل (يتفعّل)

وكذلك الحال فى صيغة الماضى اطّهر

ا ت ط هـ هـ ر ← ا ط ط هـ هـ ر ← ا طّ هـّ ر (اطّهر)

يدّارأ: تأثرت التاء بالدال بعدها، فقلبت دالا، ثم أدغمت الدال فى الدال، نظرا للقرابة المخرجية.

ى ت د ا ر أ ← ى د د ا ر أ ← ى دّ ا ر أ ← (يدّارأ)

وكذلك الحال فى صيغة الماضى: ادّارأ

ا ت د ا ر أ ← ا د د ا ر أ ← ا دّ ا ر أ ← ادّارأ

يثّاقل: تأثرت التاء بالثاء بعدها، فقلبت ثاء، ثم أدغمت الثاء فى الثاء، نظرًا للقرابة المخرجية والاتفاق فى صفة الهمس.

ى ت ث ا ق ل ← ى ث ث ا ق ل ← ى ثّ ا ق ل ← (يثّاقل)

وكذلك الحال فى صيغة الماضى: اثّاقل

ا ت ث ا ق ل ← ا ث ث ا ق ل ← ا ثّ ا ق ل ← (اثّاقل)

وقد حدث هذا فى اللغة العربية القديمة، وجاء ذلك فى القرآن الكريم جنبًا إلى جنب مع الصيغة الأخرى التى لم يحدث فيها تطور كقوله تعالى:

﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ (التوبة: ٣٨).

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (البقرة: ٧٢) ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴾

(النمل: ٦٦) ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ (عبس: ٣: ٤) ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ (يونس: ١٠).

ويعرض الدكتور/ رمضان عبد التواب، أمثلة تؤكد أن هذه الظاهرة، كانت فى سبيل تكونها وظهورها فى اللغة العربية عندما جاء الإسلام، بدليل أن القرآن الكريم فيه من الآيات التى تطورت كلماتها، والكلمات التى حافظت على صورتها القديمة بغير تطور «لذلك نجد أمثلتها فى القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ جنبًا إلى جنب مع الصيغ القديمة التى لم يحدث فيها تغير للأصوات كقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ (القلم: ٤٩) ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ (غافر: ١٣) ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ (يس: ٤٨) وهو يقول فى آية أخرى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ (النمل: ٤٧) بل ان الآية الواحدة لتحتوى فى بعض الأحيان على الصورتين معا، كقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)[١].

(ب) تتأثر لام التعريف بما بعدها من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة وهى ما يطلق عليها علماء العرب الحروف الشمسية حيث تقلب إلى صوت منها، ثم يدغم الصوت فى الصوتِ. . وهذه الأصوات الشمسية جمعها أحد الشعراء فى أوائل كلمات البيت التالى:

طلب ثم صل تفز ضف ذا نعم

دع سوء ظن زر شريفا للكرم

(١) التطور اللغوى ٣٠.

كما ذكرها أبو العلاء المعرى على هذا النحو: «والحروف التى تدغم فيها لام التعريف، تنقسم فى ترتيب حروف المعجم ثلاثة أقسام: فالقسم الأول: حرفان متواليان وهما الثالث من حروف المعجم والرابع، وذلك: التاء والشاء، والثانى: عشرة أحرف متواليات، أولهما الدال على ترتيب حروف المعجم، وآخرها الظاء، والثالث: حرف فارد، تدغم فيه اللام، وهو النون»(١).

(جـ) تأثر اللام بالراء فى كلمة (بل) مع الكلمة التالية المبدوءة بالراء فتقلب اللام راء نظراً للقرابة المخرجية، والاتفاق فى صفة الجهر وذلك كقول الشاعر:

عافت الماء فى الشتاء فقلنا

بل رديه تصادفيه سخينا

«فانها تنطق (برّديه) وكان ذلك هو السبب الذى أوقع قطربًا النحوى المشهور فى الخطأ، حين زعم أن «برد» من كلمات الأضداد تأتى بمعنى: برَّد وسخّن، اعتمادا على هذا البيت، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام فى (بل) وقد عابه بذلك أبو الطيب اللغوى فى كتابه الأضداد (١/ ٨٦) ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: ١٤) وهذا هو السر فى أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة، حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها، فلا تتأثر بها»(٢).

---

(١) الصاهل والشاجح ٤٨٥.

(٢) التطور اللغوى ٣٢.

(د) فى بعض قراءات القرآن الكريم، تتأثر الراء باللام بعدها، فتقلب لاما، وذلك فى قوله تعالى «يغفر لكم» لكن ابن جنى كان ينكر ذلك فى قوله «اعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها فى غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبى عمرو: يغفر لكم، بإدغام الراء فى اللام فمدفوع عندنا، وغير معزوف عند أصحابنا، إنما هو شىء رواه القراء ولا قوة له فى القياس[١].

(هـ) أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (هل) و (بل) بالشين والثاء والتاء بعدها، مثل قول طريف العنبرى:

تقول إذا استهلكت مالا بلذة

فكيهة هشّىء يكفيك لائق

يريد: هل شىء.

كما قرأ أبو عمرو هثّوب الكفار، يريد: هل ثوّب الكفار، وقد قرئ: بتّوثرون الحياة الدنيا، يريد: «بل تؤثرون» وقال مزاحم العقيلى:

فدع ذا ولكن هتُّعين مُتيمًا

على ضوء برق آخر بالليل ناصب

يريد: هل تعين[٢].

٦- التأثر المدبر الكلى فى حالة الانفصال:

ويكون ذلك، بأن يتأثر الصوت بالصوت الذى يليه، ولكن مع وجود

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٦.

(٢) الكتاب ٢/ ٤١٧.

فاصل بينهما، ويتم هذا التأثر بسبب القرابة المخرجية أو بالاتفاق فى صفات الأصوات، ومن أمثلة ذلك ما يلى:

(أ) كلمة: «مُنْذُ» التى تعمل الجر فى الأسماء بعدها، فهى عبارة عن حرف مركب، يتكون فى الأصل من كلمتين هما: (مِنْ: حرف الجر، ذُو: اسم الموصول) (عند الطائيين) حيث تأثرت كسرة الميم فى الكلمة: مِنْ بضمة الذال فى الكلمة: ذُو، فتحولت الكسرة إلى الضمة فصارت الكلمة (مُنْذُ) بعد حذف الواو، بفعل قانون بلى الألفاظ، وأما قلب الكسرة إلى الضمة، فأمر تبرره القوانين الصوتية فهما من الأصوات الضيقة.

وفى اللغة الحبشية ما يساعد على ذلك التفسير، فكلمة emza تقابل كلمة: «مُنْذُ العربية» وهى فى الحبشية مركبة من: em بمعنى: «مِنْ» و za بمعنى اسم الموصول «ذو» الطائية[١].

(ب) تأثرت كسرة الميم فى صيغتى اسم الآلة: (مِفْعَل مِفْعَلة) بفتحة العين فيهما، فتحولت الى فتحة، فصارت الصيغتان (مَفْعَل ومَفْعَلة) فكان هذا التحول مطردا فى لهجة الأندلس العربية فى القرن الرابع الهجرى[٢] وأن ذلك الأمر قد استمر فيما بعد، فقد روى ابن هشام اللخمى (توفى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون:

مَصَيْدَة، ومَطْرَقَة، ومَفْرَمة، ومَرْوَد، ومَشْرَط، ومَنْجل، ومَنْبَر ومَكْنَسَة، ومَرْوَحة، ومَلْعَقة[٣].

(١) انظر: التطور اللغوى ٣٢ - ٣٣.

(٢) انظر: اللسان (منذ) ٥/ ٤٧.

(٣) انظر: لحن العامة والتطور اللغوى ٢٣٧ - ٢٣٨.

وهذا هو الاتجاه العام فى تطور هاتين الصيغتين فى اللهجات العربية الحديثة، ففيهما يسود التأثر المدبر كما فى الأمثلة السابقة، غير أن ابن الجوزى (توفى سنة ٥٩٧ هـ) يروى «أن العامة فى عصره، يقولون : مِكْنَسَة بدلا من مَكْنَسة»(١) على عكس المعروف عن هذه الصيغة فى اللغة العربية.

٧- التأثر المدبر الجزئى فى حالة الاتصال:

ويتم ذلك بأن يتأثر الصوت، بالصوت الذى يليه مباشرة، فيتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو من حيث الصفات ومن أمثلة ذلك ما يلى:

(أ) تأثر صوت الصاد، بصوت الدال بعده، فيتحول إلى صوت الزاى المرقق، حيث يتخلى عن صفة التفخيم ليتناسب مع الدال المرققة بعده، وقد حدث مثل هذا التحويل فى اللهجات العربية القديمة، وذلك فى مثل «يزدق» فى كلمة يصدق» حيث تأثرت الصاد بصوت الذال بعدها فتحولت الصاد إلى نظيرها المرقق وهو الزاى، لتناسب الذال المرققة.

قال ابن السكيت: «والعرب تقول: ازْدُق بمعنى اصْدُقْ، ولا يقولون: زَدَقَ»(٢).

وفى المثل العربى ورد فى لحن العوام للزبيدى «لم يحرم من فزدله»(٣).

كما ورد عن أبى الطيب قوله: «ويقال فى المزدغة والمصدغة للمخدة، وطيئ تقلب كل صاد ساكنة، زايًا، قال الأصمعى: كان حاتم الطائى أسيراً

(١) تقويم اللسان لابن الجوزى ٤٤.

(٢) انظر: القلب والإبدال لابن السكيت ٤٥.

(٣) انظر: لحن العوام للزبيدى ١٩٤.

فى عنزة فجاءته النساء بناقة ومفصد وقلن له افصد هذه الناقة، فأخذ المفصد فلتم فى سبلتها، أى نحرها وقال: هكذا فزدى أنَهْ، أى: فصدى أنا، ثم قال:

لا أفصد الناقة من أنفها

لكننى أوجرها العالية

وقد قرئ: «حتى يصْدُر الرعاء» ويزْدُر الرعاء، ويقال: هو كثير الفزد لك، والفصد لك(١).

ويعلق الدكتور/ رمضان عبد التواب على ذلك بقوله «وكل هذه الأمثلة، وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة، وهى السبب فى هذه المماثلة، فلا يصح أن يقال كما فى هذا النص «وطيئ تقلب كل صاد ساكنة زايًا، بل تزاد عبارة «قبل دال» ولعلها ساقطة من أصل الكتاب»(٢).

(ب) تأثر صوت النون الساكنة، بصوت الباء بعدها مباشرة، فتقلب النون ميمًا، وذلك نظيرًا للقرابة المخرجية، وقد أطلق علماء القراءات على ذلك «الإقلاب» وذلك كثير فى القرآن الكريم، فى مثل قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾.

ففى هذه الآيات البينات، وغيرها من صور تحول الميم الساكنة، نونًا على ألسنة العوام حتى عصرنا الحديث فى قولهم فى: منبر، ممبر، وقولهم فى: كرنب، كرمب، وقولهم فى جنب، جمب.

---

(١) الابدال لأبى الطيب ٢/ ١٢٦ - ١٢٨.

(٢) التطور اللغوى ٣٤.

(جـ) ومن أمثلة ذلك مـا ورد على ألسنة العوام فى عصـرنا الحديث من قولهم فى «يزحف» ويسحف حيث تأثرت الزاى وهو صوت مجهور، بصوت الحاء المهموس بعدها، فقلب الزاى المـجهورة إلى نظيرها المهموس، وهو السين، لتناسب الحاء.

ومن أمـثلة ذلك قولهم فى: أسـرة، أصـرة وذلك بقلب السين صـادًا، لتناسب الراء بعـدها فى صفـة التفـخيم وكذا الحـال فى قولهم مـصطرة فى كلمة: مسطرة وغيرها من الأمثلة.

٨- التأثر المدبر الجزئى فى حالة الانفصال:

ويكون ذلك بأن يتأثـر الصوت، بصوت بعـده، بشرط أن يفصل بينهـما صوت آخر، فيتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذى بعده فى المخرج أو فى الصفات الصوتية الأخرى ومن أمثلة ذلك ما يلى.

ما ورد عـن قراءة «ورش بن نافع»: «أم هم المـصيطرون «لست عليـهم بمصيطر» بإخلاص الصاد، وروى محمد بن الجهم عن الفراء، قال: الكتاب وخط المصحف بالصاد فى مصيطر والمصيطرون والقراء بالسين»[١].

حيث تأثرت السين المرققة، بصوت الطاء المفخمة فقلبت صادا لتناسب الطاء المفـخمة، ويكثر ذلك على ألسنة العوام، فى عصرنا الحـديث، مثل قولهـم فى كلمة: توصـيل، طوصيل، وقـولوهم فى تلخيص، طلخـيص، حيث تأثرت التـاء فيهـما بالطاء بعـدها، فتحـولت إلى النظير المـفخم وهو الطاء، وكذلك الحال فـى قولهم فى سور، صور، وفى ماسـورة، ماصورة،

(١) انظر: مقدمتان فى علوم القرآن ١٤٨.

حيث تأثرت السين المرققة بصوت الراء المفخمة، فتحولت السين إلى نظيرها المفخم وهو الصاد، وذلك كثير الدوران على ألسنة العوام فى عصرنا الحديث.

ثانيا: قانون المخالفة DISSIMILATION

وهذا القانون الصوتى ـ كما أسلفنا ـ يسير عكس القانون السابق، وهو المماثلة، حيث يعمد قانون المخالفة إلى صوتين متماثلين تماما فى كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة، أو من الأصوات المائعة (المتوسطة) وهذه الأصوات هى اللام والراء والميم والنون، وقد زاد عليها العلماء العرب القدامى صوت الواو والياء، وجمعوها فى كلمة: يرملون.

ويعرف فندريس المخالفة بقوله: «ينحصر التخالف، وهو الشكل المضاد للتشابه فى أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان حقها أن تعمل مرتين، فمن الكلمة اللاتينية Arborem (أربورم) بمعنى شجرة، نشأت الكلمتان: الأسبانية arbol (أربل) والبروفينسية albre (ألبْر) فالذى حدث فى كلتا الحالتين، مع اختلاف الترتيب، هو أن المتكلم، اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات، التى يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركتين، واستعاض عن الأخرى، بحركة من الحركات التى تنتج عن اللام المائعة[1].

ومن أمثلة المخالفة الصوتية ما يلى:

---

(١) اللغة، لفندريس ٩٤.

١- المخالفة بين السامية الأم والعربية:

كلمة «شمس» فهى فى السامية الأولى: «شمش» كما هو الحال فى الأكادية والعبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين فى السامية الأم، تقلب فى العربية (سينًا) وأن هذا القلب هو من قبيل التغيرات التاريخية لصوت الشين السامية وبتطبيق هذا القانون التاريخى، تصبح الكلمة العربية هى «سمس» إلا أن المخالفة بين صوتى السين فى الكلمة أدى إلى تحويل الأولى شينًا، ويبدو أن اللهجات العامية فى مصر قد حافظت على القانون التاريخى لتحويل صوت الشين إلى سين فى العربية، فهم يقولون فى شمس، العربية «سمس» بدون مخالفة صوتية(١).

كلمة «سنبلة» «قنفذ» حدثتا فى اللغة العربية عن طريق المخالفة الصوتية بين الصوتين المشددين، ومقارنة للكلمتين باللغات السامية، يكشف ذلك، فهما على الترتيب فى اللغة العبرية "Kippod" "šibbōlēt".

فالكلمتان السابقتان كانتا: سُبّله، قُفّذ، يتضعيف الباء فى الأولى، وتضعيف الفاء فى الثانية، ثم تحولت إحدى الباءين والفاءين فى كل منهما نونًا، وذلك للمخالفة بين الصوتين المشددين المتماثلين(٢).

كذلك الحال فى الكلمات العربية الآتية:

كلمة: قيراط، دينار، بدلا من قرّاط، دنّار، بدليل أنها فى حالة الجمع تأتى «قراريط» و «دنانير» فقد فصل بين المتماثلين، وهما على الترتيب صوت الراء وصوت النون، بصوت الياء، وذلك للمخالفة بينهما.

(١) انظر: التطور الغوى ٣٧.

(٢) انظر التطور اللغوى ٣٨.

ومن أمثلة ذلك قديمًا، ما ذكره الكسائى (توفى سنة ١٨٩ هجرية) من أن الناس كانوا فى عصره يزيدون النون فى هذه الكلمات اجاص «للكمثرى» «انجاص» وفى «اترج» «اترنج» وفى «اجانه» «انجانه» وقال: «يقال أترج واجّاص واجانه» هذه الأحرف بإسقاط النون(١).

كذلك كان أهل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى يقولون: «كرناسة» فى «كراسة» كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة «عدنبس» بدلا من الكلمة القديمة «عدبس» وكانوا يقولون: «تقّعور» بدلا من الفعل «تقعّر»(٢).

كذلك روى أبو منصور الجواليقى (توفى سنة ٥٣٩ هـ) أن عوام عصره، كانوا يقولون: «مِنْطر» فى «مِمْطر» وكانوا يقولون: «خرمش» فى «خمّش»(٣).

كما حكى لنا ابن هشام (توفى سنة ٥٧٧ هـ) بعض الأمثلة التى يمكن أن تفسر فى ضوء قانون المخالفة الصوتية، وذلك عن طريق إبدال أحد المتماثلين حرف مد مثل: «عايرت الموازين» فى «عيّرت» و «عوش الطائر» فى «عش» و «مصافُهم» فى «مصفُّهم» و «ضارة المرأة» فى «ضرة» و «موخ» فى «مخ»(٤).

كذلك حكى ابن السكيت عن العرب أنهم يقولون: «الذم» و «الذام» للعيب(٥).

(١) ما تلحن فيه العوام للكسائى ٣٥.
(٢) لحن العوام للزبيدى ٣٥ - ١٦١ - ٢٦٤.
(٣) تكملة ما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٣٤ - ١٣٩.
(٤) انظر: المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ - ٥٤ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣.
(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٦.

ولعل هذا النوع من المخالفة، هو ما أطلق عليه النحاة القدماء «كراهية التضعيف» أو «كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد» أو «اجتماع الأمثال مكروه»[١] أو «استثقلوا اجتماع المثلين» ومن ذلك ما ورد فى كتاب سيبويه فى قوله: «هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء، لكراهية التضعيف وليس بمطرد[٢].

وقال أبو عكرمة الضبى: أنشدنى أبو العالية لبعض بنى أسد:

إذا برِحتَ فنقع مستكفّ

وان تقنى مسلّعْدٌ عذوم

تعنى: صارت فى قنان من الأرض، وهى آكام ذات حجارة، الواحد قنه، وكان الأصل تقنن، فأبدل النون الأخيرة ياء، كراهية لاجتماع حرفين من جنس واحد، كما قالوا: تظنيت والأصل تظننت، وكقول العجاج:

تقضّى الباز إذا البازى كسر

أى: تقضض، ولهذا أمثال كثيرة[٣].

ومن صور المخالفة ـ أيضًا ـ ما ورد فى قواعد الصرف، من قلب الواو همزة، إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقًا أو ساكنة متأصلة الواوية، ومن أمثلة ذلك:

«أواصل» و «أواق» فإن أصلهما هو «وواصل» و «وواق» فهما جمعان

---

(١) شرح الملوكى لابن يعيش ٤٥١.

(٢) الكتاب ٢/ ٤٠١.

(٣) الأمثال لأبى عكرمة ٨٤ - ٨٥.

لكلمتى «واصلة» «واقية» وكذلك الحال فى كلمتى: «أوانى» «أواعى» أصلهما «ووانى» «وواعى» لأن مفردهما هو: «وانية» «واعية».

والسبب فى المخالفة من الناحية الصوتية، هو أن الصوتين المتماثلين، يحتاجان إلى جهد عضلى فى النطق بهما فى كلمة واحدة ولتيسير هذا المجهود العضلى، يقلب أحد الصوتين صوتًا آخر من تلك الأصوات التى لا تتطلب مجهودًا عضليا، كاللام والميم والنون[١].

أما براجشتراسر فإنه يفسر المخالفة فى ضوء العلة النفسية الناتجة عن الخطأ بسبب تتابع الأصوات المتشابهة، حيث يقول عن علة المخالفة أنها «نفسية محضة، نظيرة الخطأ فى النطق فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون فى النطق، ويلفظون بشىء غير الذى أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها ـ قبل النطق بكلمة ـ تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه، وبعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان فى نطق جملة محتوية على كلمات، تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة[٢].

ومن صور المخالفة فى اللغة العربية أيضًا: «المخالفة بين حركتى الفتح المتتاليتين، إذا كانت الأولى منها طويلة، إذ تتحول الثانية منهما فى هذه الحالة إلى كسرة، فالأصل فى نون المثنى هو الفتح، وفتحها لغة، كما يقول ابن مالك، وذلك كقول حميد بن ثور:

---

(١) التطور اللغوى ٤١.

(٢) التطور النحوى ٢١.

على أخـوذيينَ استـقلت عـشيـة

فـمـا هى إلا لمـحـةٌ وتـغـيبُ

أنشده الفراء بالفتح، وليس موضع ضرورة[١].

«غير أن نون المثنى قد كسرت فى الفصحى، تبعا لهذا القانون، بدليل أنها لا تزال، مفتوحة فى نظيرتها فى جمع المذكر السالم، وبدليل بعض الأمثلة التى بقيت على الأصل القديم، وهو ما نسميه بالركام اللغوى»[٢] مثل: شتان فى مثل قولهم: «شتان أخوك وأبوك» أى هما متفرقان، فهو تثنية «شت» والشت المتفرق»[٣].

ومن أمثلة الركام اللغوى، التى وردت بفتح نون المثنى فى أشعار العرب، التى ما زالت موجودة لتنبئنا عن الصورة الحقيقية المتمثلة فى أن نون المثنى مفتوحة.. من ذلك قول حميد بن ثور[٤].

أعرف منهـا الأنف والعينانا

ومنخـران أشـبهـا ظبـيـانا

ومما يؤكد أن كسر نون المثنى، إنما جاء فى ضوء المخالفة الصوتية، أن نون التوكيد المشددة تأتى مفتوحة فى مثل: «يضْربنَّ» «تضربنَّ» وغيرها، غير أنها تأتى مكسورة فى «تضربانِّ» وذلك بسبب المخالفة السابق ذكرها.

كذلك النون التى تسمى نون الرفع، فى الأفعال الخمسة، تأتى مفتوحة

(١) تسهيل الفوائد ١٢، كذا شرح التسهيل ١٦٥.

(٢) التطور اللغوى ٤٢.

(٣) لسان العرب (شتت) ٢/ ٣٥٥.

(٤) النوادر فى اللغة لأبى زيد ١٥.

فى: يفعلونَ وتفعلونَ وتـفعلينَ، فى حين تأتى يفعلانِ، وتفـعلانِ مكسورة، وذلك بسبب المخالفة الصوتية أيضا.

«بل إن نصب جمع المؤنث السالم بالكسر، ليـفسر كذلك فى ضوء هذا القانون، حيث أن الأصل هو النصب بالفتحة[١] بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قـولهم: سمعت لغـاتَهم، وقول الرياشى: سمـعت بعض العرب يقول: أخذت أراتَهم»[٢].

ومن أمثال العرب: اسـتأصل الله عِرْقاتَهم[٣] ويروى الخليل بن أحـمد قولهم: رأيت نبلتَك بالفتح لخفته على اللسان[٤] ومن الجلى أن الأصل هو الفـتح، وإنمـا جـاء الكسـر، بفـعل هذا القـانون الصـوتى ألا وهو قـانون المخالفة.

ومن صور المخـالفة ـ أيضًا ـ ما يسمى بالـمخالفة الكميـة بين المقاطع الصوتية[٥] من أمثلته ما يحدث لضمير المفرد الغائب، من تقصير حركته فى اللغة العربية، بعـد المقطع الطويل.. وذلك لمخالفة الكمـية بين المقاطع، لكى لا يتـوالى مقطعـان طويلان.. يكونان عسـيرين على الـلسان.. مـثال ذلك: «فيه» بدلا من «فيهُ» «منه» بدلا من «منهو» وغيرها من الأمثلة.

---

(١) انظر: العربية الفصحى، لهنرى فليش ٤٨.

(٢) الخصائص ١/ ٢٨٤، ٣/ ٣٠٤.

(٣) مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٤١.

(٤) العين للخيل بن أحمد ١/ ١٧٤.

(٥) التطور اللغوى ٤٣.

٣- قانون السهولة واليسر:

إن من طبيعة اللغة، أنها تميل نحو السهولة والتيسير وذلك فى أثناء تطورها، ومن ثم فإنها تحاول أن تتخلص من الأصوات العصية العسيرة، وتستبدل بها أصواتًا يسيرة لا يبذل فيها المتكلمون جهدا عضليا كبيرًا وهذا القانون المسمى السهولة والتيسير، لا ينطبق بطبيعة الحال على جميع حالات التطور فقد يجرى التطور بصورة معكوسة من السهل إلى الصعب وليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير، ينطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية فى اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتى كان عكسيا، أى من السهل إلى الصعب ـ كما وجد فعلاً فى بعض الحالات ـ فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى تبرر هذا التطور، وهو لا شك سيجدها فى ظروف خاصة باللغة التى قد يحدث فيها هذا النوع من التطور، فليس ينقض هذا القانون أن نجد أحيانًا أصواتًا سهلة، تطورت إلى أصعب منها فى بعض الحالات[١].

ومن صور هذا القانون فى اللغة العربية:

(أ) معلوم أن قبائل الحجاز، تسهل الهمزة، وكذا الحال فى معظم اللهجات العربية الحديثة، ويرجع هذا التخلص إلى الصعوبة التى تصاحب نطق صوت الهمزة، حيث يتم انحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، تنفرج الأوتار فجأة، فيحدث صوت الهمزة، هذه العملية العضلية تستوجب جهداً عند نطقها، وقد روى لنا اللغويون العرب أمثلة عن إسقاط الهمزة من أول

(١) الأصوات اللغوية، د: أنيس ١٦٩.

الكلمات: حيث يقول أبو بكر بن الأنبارى (توفى سنة ٣٢٨هـ) «العوام تخطئ فتقول فى جمع السن: سنان»[١] كما يقول كذلك: والعامة تخطئ فى الإبهام: فتقول «البهام»[٢].

وسقوط الهمزة فى أول الكلمة، أمر شائع فى اللهجات العربية الحديثة، كذلك، مثال ذلك: أنهم يقولون فى الكلمات: «أباط، أسنان، أسبوع، إبراهيم، إسماعيل، يقولونها بدون همز على الترتيب: باط، سنان سبوع، براهيم، سماعين، وغيرها من الأمثلة العديدة.

ومن أمثلة ذلك ما يرويه الجواليقى (توفى سنة ٥٣٩هـ) من أن الناس فى عصره، كانوا يسقطون همزة «أبو» فقال: «وهو أبو رياح، لهذا الذى يلعب به الصبيان، وتديره الريح، ولا تقل: «بُرْياح» وكذلك يقولون للفرد: «بوزنه» وإنما هو: أبو زنة، وهى كنيته»[٣] وهذه الظاهرة المتمثلة فى همزة كلمة «أبو» ما تزال شائعة فى تونس والجزائر، وذلك مثل قولهم: «بو مدين» «بو تفليقة» «جميلة بو حريد» كما تشيع هذه الظاهرة فى الجزيرة العربية فى قولهم: باجرى «باحسن» «بابطين».

سقوط الهمزة فى آخر الأفعال يؤدى إلى التباسها بالأفعال الناقصة، عند اسنادها إلى الضمائر كما هو الحال فى الأفعال التى ضاع همزها، مثل: مليت وسليت، وأخطيت، وأبطت، وخبيت» وهى جميعها فى الأصل مهموزة هكذا: ملأت، وسلأت، وأخطأت وأبطأت وخبأت، وصورتها

(١) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ٢٨٨.

(٢) المذكر والمؤنث ٣٠٣.

(٣) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٣١.

وهى مسهلة الهمزة، تماثل تمامًا الأفعال المعتلة مثل: رميت، سعيت، بنيت.

وقد حدث مثل هذا فى القديم، فيما يرويه ابن الأنبارى فى قوله: «ويقال أردأت الرجل وأرداته وأرديته، فمن قال أرداته لين الهمزة، ومن قال: أرديته، انتقل عن الهمزة، شبه أرديت بأرضبت، ومثل هذا قول العرب: قرأت بتحقيق الهمزة، قرات بتليين الهمزة وقريت بترك الهمزة والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت وكذلك يقال: أقرأ رقعتى بالتحقيق، واقرا رقعتى بالتليين وأقر رقعتى بالترك، وهو أقل الثلاثة[١].

(ب) انكماش الأصوات المركبة:

بعد انكماش الأصوات المركبة، من آثار قانون السهولة والتيسير، حيث تحول الصوت المركب المكون من الحركة والصوت الساكن، إلى صوت صامت ممال، سواء أكان الصوت المركب يتكون من الفتحة والواو "aw" أم الفتحة والياء "ay".

فالصوت المركب المكون من الفتحة والواو (aw) يتحول إلى صوت بسيط ممال (o) مثال ذلك كلمة يوم (yawm) تحولت إلى يوم (yōm).

وكذلك الحال فى كلمة: صوم (Ṣawm) تحولت إلى: صوم (Ṣōm).

والصوت المركب المكون من الفتحة والياء (ay) يتحول إلى صوت بسيط ممال (é) مثال ذلك كلمة: بيع (baye) تحولت إلى: بيع (bēc).

وكذلك كلمة: عين (ayn ˂) تحولت إلى عين (ēn ˂).

---

(١) الاضداد لابن الأنبارى ٢٠٨ كذا الخصائص ٣/ ١٥٣.

وقد حدث مثل هذا التطور فى الأصوات المركبة فى العصور العربية الأولى، وذلك ما يفهم من كلام ابن السكيت (توفى سنة ٢٤٤ هـ) فى قوله: «وتقول الكوسج، ولا تقل: الكُوسج، وهو الجورب ولا تقل الجُورب»(١).

وقد حدث مثل هذا أيضا فى عصور الفصاحة، وفى ذلك يقول الأصمعى: يقال: هو الضَّوء والضُّوء(٢)، وفيه أيضًا: إن بنى فلان لفى دُوكه ودَوْكه، يعنون خصومة وشرا(٣).

وفيه أيضا «حَوْبه الرجل أمه، وقال بعضهم حُوبة»(٤).

وقد تطورت هذه الحركة الممالة الناتجة من الصوت المركب فتصير فتحة طويلة، فمثلا كلمة: «فأين» تطورت بعد سقوط الهمز منها إلى «فين» (fēn) بدلا من «فين» (fayn) وكذلك الحال فى (وأين) تطورت إلى «وين» (wēn) بدلا من وين (wayn) غير أن أهالى الفيوم، وبعض سكان الصعيد ينطقون بالفتح الخالص، يقولون: «فان» (fān) وكذلك «وان» (wān) بدلا من «فين» و«وين»(٥).

وقد حدث مثل هذا التطور ـ أيضًا ـ فى العربية القديمة فى قول بعض العرب: «إن الرجز لعاب» أى لعَيْبٌ، والرجز ارتعاد مؤخر البعير(٦) وكذلك

(١) إصلاح المنطق ١٦٢.
(٢) إصلاح المنطق ٩١.
(٣) إصلاح المنطق ١٣.
(٤) اصلاح المنطق ١١٤.
(٥) التطور اللغوى ٥١.
(٦) النوادر لأبى زيد ٣.

قولهم: «ما كنت أزعم فى خصمى من العاب، يريد: العيب.. ويقال: بوْع وباع، وصوْع وصاع[١] ومن ذلك قول الراجز:

طارت علاهن فشُل علاها

ويفسره أبو زيد الأنصارى بقوله: «وعلاها أراد، عليها ولغة بالحارث بن كعب، قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ما قبلها ألفًا يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان، والسلام علاكم، وهذه الأبيات على لغتهم»[٢].

(جـ) اندثار الأصوات الأسنانية:

يعد اندثار الأصوات الأسنانية، من آثار قانون السهولة والتيسير، حيث تحولت أصوات: الثاء والذال والظاء، إلى أصوات أخرى قريبة من مخرج الأسنان، وذلك نظرًا للجهد العضلى، الذى يصاحب نطقها، حيث يتطلب نطقها إخراج طرف اللسان، ووضعه بين الأسنان، وأن هذا بلا شك جهد عضلى، تخلصت منه لغة العامة، فينتقل المخرج إلى الداخل.. حيث تحولت الذال إلى الدال والزاى، كما تحولت الثاء إلى التاء والسين، وتحولت الظاء إلى الضاد أو الزاى المفخمة، وأمثلة ذلك عديدة نذكر بعضها على التوالى السابق.

تحول صوت الثاء:

تحولت الثاء إلى تاء، كما هو الحال فى كلمة «ثوب» التى تنطق على ألسنة العوام «توب» وتحولت الثاء إلى سين كما هو الحال فى كلمة «ثابت» التى تنطق على ألسنة العوام «سابت».

---

(١) النوادر لأبى زيد ٥.

(٢) النوادر لأبى زيد ٥٨.

تحول صوت الذال:

تحولت الـذال إلى دال، كما هو الحـال فى كلمة «ذهب» التـى تحولت إلى كلمة «دهب» على ألسنة العوام.

تحولت الذال الى زاى، كـما هو الحال فى كلمة «ذكـر» التى تحول إلى كلمة «زكر» على ألسنة العوام.

تحول صوت الظا:

تحولت الظاء إلى ضاد، كما هو الحال فى كلمة «ظل» التى تحولت إلى كلمة «ضل» على ألسنة العوام.

تحولت الظاء إلى زُاء (الظاء العامية) كما هو الحال فى كلمة «ظُلم» التى تحولت إلـى كلمة «زُلـم» على ألسنة العوام، وقـد ورد مثل هذا التطور عند العـرب قديمًـا، فـقد ذكـر أبو الطيب اللغـوى أنهم قـالوا: «الحسـالة» فى «الحثالة» و «القنفد» فى «القنفذ» و «البزور» فى: «البذور»[1].

(د) القضاء على التفريعات الكثيرة للظاهرة الواخذة داخل اللغة:

ومن أمثلة هذا، القـضاء على التـفريعات، توحـيد علامـات التأنيث فى اللهجات العربية فى علامة واحدة، وذلك بدلاً من ثلاث علامات وهى:

١- تاء التأنيث.

٢- ألف التأنيث المقصورة

٣- ألف التأنيث الممدودة.

حيث وحدت اللهـجات العربية علامات التأنيـث فى علامة واحدة وهى تاء التأنيث فقط.

---

(١) الصاحبى ٤٩.

فهم يقولون فى مثل: لمياء، وصحراء، وبيضاء لميه وصحره، وبيضه.

ويقولون فى مثل: ليلى ونجوى، وسلوى ليله، ونجوه، وسلوه

وهذا السلوك كان موجودا فى العامية العربية قديمًا. فقد روى الحريرى (توفى سنة ٥١٦ هـ) أن الناس فى عصره، كانوا يلحنون فيقولون «الأوله» بدلا من «الأولى»[١] وكذلك قول الخطيب البغدادى: «وقد رجعنا عن الرواية الأوله»[٢] وقول الحافظ مغلطاى: ثم جعلت الصورة الأوله فى صدر المجلس[٣].

(هـ) القلب المكانى:

وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى، ويقول فندريس: «الانتقال المكانى، يصدر عن نفس الأصل الذى صدر عن التشابه إذ إن مرد الأمر فى كليهما إلى الخطأ، ونقص الالتفات، ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف، فبدلاً من تكرار الحركة النطقية مرتين، يقتصر على تغيير مكان حركتين، وأخيراً، يبدو الانتقال المكانى كما لو أن جزأين فى كلمة واحدة، قد تبادلا أحد العناصر، فبدلا من «فستر» (festra) (نافذة) يقال فى البرتغالية (fresta) فرستا»[٤].

وتعد هذه الظاهرة من الظواهر التى كانت منتشرة فى اللغة العربية قديمًا،

---

(١) درة الغواص للحريرى ٧.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ١٨.

(٣) الواضح المبين ١٩٧

(٤) اللغة لفندريس ٩٤.

وردت فى كتب اللغويين كثيراً، تحت ظاهرة «القلب» ومن ذلك ما جاء فى النوع الثالث والثلاثين لمعرفة القلب لدى السيوطى، وذكر حوالى مائة كلمة من هذا النوع، منها: «جذب» «جبذ» وسحاب مكفهر، ومكرهف، واضمحل وامضحل، ولزج ولجز[١] وغيرها.

وقد أورد اللغويون كثيراً من ذلك فى كتب لحن العامة وذلك مثل: حطب زجل «فى جزل»[٢] و «لطس الكتاب» أى محاه بدلاً من: «طلس»[٣].

وأمثلة ذلك فى اللهجات المعاصرة عديدة، لا تقع تحت حصر، منها «اتلوى» فى «التوى» و «أنارب» فى «أرانب» و «أهبل» فى «أبله»... إلخ.

---

(١) انظر: الزهر ١/ ٤٧٦ - ٤٨١.

(٢) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٣٣.

(٣) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليقى ١٤١.

فهرست المراجع العربية

١- الإبدال، لأبى الطيب اللغوى، تحقيق عز الدين التنوخى، دمشق ١٩٦٠.

٢- أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، القاهرة ١٣٤٢هـ.

٣- أسس علم اللغة، لماريو باى، ترجمة د/ أحمد مختار عمر، طرابلس ١٩٧٣م.

٤- الأشباه والنظائر فى النحو، للسيوطى، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٥٩هـ.

٥- إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٦م.

٦- أصوات اللغة، د/ عبد الرحمن أيوب، القاهرة، ١٩٦٨م.

٧- الأصوات اللغوية د/ ابراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٧٩م.

٨- الأضداد، لأبى بكر الانبارى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الكويت ١٩٦٠م.

٩- الأمالى، لأبى على القالى، بولاق، ١٣٢٤هـ.

١٠- الأمثال، لأبى عكرمة الضبى، تحقيق د/ رمضان عبد التواب، دمشق، ١٩٧٤م.

١١- البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٢- بقايا اللهجات العربية فى الادب العربى، لأنوليتمان، مجلة كلية الآداب، المجلد العاشر، ١ - ٢ القاهرة، ١٩٨٠م.

١٣- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادى القاهرة ١٩٣١.

١٤- تاريخ العرب قبل الاسلام، للأصمعى، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٥٩م.

١٥- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٧.

١٦- تصحيح الفصيح، لابن درستويه، تحقيق عبد الله الجبورى بغداد، ١٩٧٥م.

١٧- التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه. د: رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٨٣م.

١٨- التطور النحوى للغة العربية، لبرجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه د/ رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٨٢م.

١٩- تفسير القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٠- التكملة فيما تلحن فيه العامة، للجواليقى، نشر لاندبرج ليدن، ١٨٨٩م.

٢١- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق كرنكو ـ حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٤هـ.

٢٢- الجيم، لأبى عمرو الشيبانى، تحقيق إبراهيم الأبيارى وآخرين القاهرة ١٩٧٤ - ١٩٧٥م.

٢٣- حرف الضاد وكثرة مخارجه، مقالة، د/ نامى، مجلة الآداب، العدد الأول، القاهرة ١٩٥٩م.

٢٤- الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦.

٢٥- دراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار عمر القاهرة، ١٩٧٦.

٢٦- درة الغواص، فى أوهام الخواص، للحريرى، مطبعة الجوائب باستنابول ١٢٩٩هـ.

٢٧- الدرر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطى، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٢٨- دروس فى علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ترجمة صالح القرمادى، تونس، ١٩٦٦م.

٢٩- دور الكلمة فى اللغة، لأولمان، ترجمة د/ كمال بشر، القاهرة ١٩٦٢م.

٣٠- ديوان الأخطل، نشر أنطون صالحانى، بيروت ١٨٩١م.

٣١- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٥٨م.

٣٢- ديوان حاتم الطائى، شرحه وقدم له أحمد رشاد، بيروت، ١٩٨٦.

٣٣- الركام اللغوى للظواهر المندثرة فى اللغة د/ رمضان عبد التواب المجلة العربية، السنة الثانية، العدد الأول، الرياض ١٩٧٧.

٣٤- زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق د. رمضان عبد التواب، بيروت ١٩٧١م.

٣٥- سر صناعة الاعراب، لابن جنى، تحقيق مصطفى السقا وآخرين القاهرة ١٩٥٤م.

٣٦- شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٧- شرح التصريف الملوكى، لابن يعيش، تحقيق د/ فخر الدين قباوه، حلب ١٩٧٣.

٣٨- الصاحبى فى فقه اللغة، لابن فارس، تحقيق مصطفى الشويحى بيروت ١٩٦٣م.

٣٩- الصاهل والشاحج، لأبى العلاء المعرى، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٥م.

٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهرى، تحقيق عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م.

٤١- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحى، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٥٢م.

٤٢- العربية، دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ليوهان فك تعليق المستشرق الألمانى، شبيتالر، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٨٠م.

٤٣- العربية الفصحى، لهنرى فليش، ترجمة د/ عبد الصبور شاهين بيروت ١٩٦٦م.

٤٤- علم الأصوات، لبرتيل مالمبرج ترجمة د/ عبد الصبور شاهين القاهرة ١٩٨٥.

٤٥- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، محاضرة للمستشرق الألمانى (شادة) صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١م.

٤٦- علم اللغة العام، الأصوات د/ كمال بشر القاهرة ١٩٧٠.

٤٧- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربى د/ محمد السعران القاهرة ١٩٦٢م.

٤٨- علم اللسان، لأنطوان مييه، ترجمة محمد مندور (ضمن كتاب النقد المنهجى عند العرب) القاهرة ١٩٦٩م.

٤٩- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدى تحقيق د/ عبد الله درويش بغداد ١٩٦٧م.

openkanal.com

٥٠- فقه اللغات السامية، لبروكلمان ترجمة د/ رمضان عبد التواب الرياض ١٩٧٧م.

٥١- الكتاب، لسيبويه، بولاق، ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ.

٥٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكى بن أبى طالب، تحقيق محيى الدين رمضان، القاهرة، ١٩٧٤م.

٥٣- لحن العامة والتطور اللغوى د/ رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٦٧م.

٥٤- لحن العوام، للزبيدى، تحقيق د/ رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٦٤م.

٥٥- لسان العرب، لابن منظور الافريقى بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ.

٥٦- اللغة لفندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص القاهرة ١٩٥٠م.

٥٧- اللغة بين المعيارية والوصفية د/ تمام حسان القاهرة ١٩٥٨.

٥٨- اللغة والمجتمع د/ على عبد الواحد وافى القاهرة ١٩٤٦.

٥٩- ما تلحن فيه العامة للكسائى نشر عبد العزيز الميمنى (فى ثلاث رسائل) القاهرة ١٣٤٤ هـ.

٦٠- مبادئ اللسانيات العامة، لأندريه مارتينيه، ترجمة د/ أحمد الحمو دمشق ١٩٨٥.

٦١- مجمع الأمثال للميدانى القاهرة ١٣١٠هـ.

٦٢- المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمى تحقيق د/ رمضان عبد التواب.

٦٣- المدخل إلى علم اللغة مناهج البحث د/ رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٨٥.

٦٤- المذكر والمؤنث، لابن الانبارى تحقيق د/ طارق الجنابى بغداد ١٩٧٨م.

obeikandl.com

٦٥- مراح الأرواح فى علم الصرف، لابن مسعود، بشرح ديكنقوز ابن كمال باشا، القاهرة ١٩٣٧م.

٦٦- المزهور فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة ١٩٥٨م.

٦٧- معانى القرآن، للفراء، تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م.

٦٨- مفاتيح العلوم، للخوارزمى، القاهرة، ١٣٤٢هـ.

٦٩- المقتضب، للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه القاهرة ١٩٦٣م.

٧٠- مناهج البحث فى اللغة د/ تمام حسان القاهرة. ١٩٥٢.

٧١- مولد اللغة للشيخ أحمد رضا العاملى بيروت ١٩٥٦م.

٧٢- النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، نشر على محمد الصباغ، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٣- النوادر، لأبى زيد الانصارى، نتشر سعيد الشرتونى، بيروت ١٨٩٤م.

٧٤- الواضح المبين فى ذكر من استشهد من المحبين لمغلطاى، نشر أوتوشييز شتوتجارت ١٩٣٦م.

٧٥- وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢م.

٧٦- مقدمتان فى علوم القرآن، نشر آرثر جيفرى، القاهرة ١٩٥٤م.

فهرست المراجع العربية

1- L Bloomfield, Language, London, 1973.

2- C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden, Grammatik det semitischen Sprache, Bd. 1- 11, Berlin, 1908 - 1913.

3- M. Hofner, Altsudarabische Grammatik, Leipzige, 1943.

4- D. Jones, An outline of English phonetics, Cambridge 1947.

5- D, Jones, The phoneme its nature and use, Cambridge, 1950.

6- B. Malmberg, New trends, in Egnlich, Stockholm, 1964.

7- F. Praetorius, Authiopisch Grammatick New York, 1955.

8- R. Robins, General Linguistics, An Introductory Survey, Langmans, Green Co Itel, 1984.

9- Vendryes, Language, A Linguistics Introduction to History, London, 1949.

opelkanal.com

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد	٩
علم الأصوات النطقى	١١
علم الأصوات الأكوستيكى	١٣
علم الأصوات السمعى	١٥
علم الأصوات الأكوستيكى	١٧
الذبذبة الصوتية	١٨
الموجة الصوتية	١٩
تردد الصوت ودرجته	٢١
الموجة البسيطة والموجة المركبة	٢١
علم الأصوات السمعى	٢٥
كيف تحدث عملية السماع	٢٩
علم الأصوات النطقى	٣١
وظيفة الجهاز النطقى فى إحداث الصوت	٣٦
كيفية حدوث الصوت الإنسانى	٤١
مخارج الأصوات (الصامتة)	٤٢
مخارج الأصوات عند العلماء العرب القدامى	٤٤
١- عند الخليل بن أحمد الفراهيدى	٤٥
٢- عند سيبويه	٤٦
٣- عند ابن جنى	٤٨
تقسيم الأصوات بحسب وضع الأوتار الصوتية	٤٩

obeikandl.com

الموضـــــــوع الصفحة

حالة الجهر ٤٩
حالة الهمس ٤٩
الأصوات المجهورة فى العربية الفصحى ٥٠
الأصوات المهموسة فى العربية الفصحى ٥٠
تقسيم الأصوات بحسب مرور الهواء عند مواضع النطق ٥٢
تقسيم الأصوات من حيث التفخيم والترقيق ٥٦
الأصوات المفخمة فى اللغة العربية الفصحى ٥٦
الأصوات المرققة فى اللغة العربية ٥٧
الأصوات المستعلية ٥٨
الوصف الشامل للأصوات الصامتة ٦٢
الأصوات الشفوية ٦٢
الأصوات الشفوية الأسنانية ٦٤
الأصوات الأسنانية ٦٤
الأصوات الأسنانية اللثوية ٦٧
الأصوات اللثوية ٧١
الأصوات الغارية ٧٤
الأصوات الطبقية ٧٧
الأصوات اللهوية ٧٩
الأصوات الحلقية ٧٩
الأصوات الحنجرية ٨١
رسم تخطيطى للأصوات الصامتة ٨٥
بين دراسة العلماء العرب للأصوات الصامتة والدراسات اللغوية الحديثة ٨٦
توزيع الأصوات على مخارجها عند ابن جنى ٨٧

obeikandl.com

الموضـــــــوع	الصفحة

توزيع الأصوات على مخارجها فى الدراسات اللغوية الحديثة ٨٧
الحركات ١١٢
الحركات المعيارية عند دانيال جونز ١١٦
الحركات العربية ١٢١
الفونيم والكتابة الصوتية ١٣١
مكونات الفونيم ١٣٤
أنواع الفونيم ١٣٤
التنظيم الفونيمى فى اللغة العربية الفصحى ١٤٠
الكتابة الصوتية ١٤٣
الكتابة الصوتية والكتابة الفونيمية ١٤٦
المقاطع الصوتية ١٤٧
النبر ١٥٣
التنغيم والنغمات ١٦٠
علاقة النبر بالنغمات ١٦٦
النغمة الهابطة ١٦٧
النغمة الصاعدة ١٦٧
الفواصل الصوتية وأنواعها ١٧٠
الوقفات ١٧٠
السكتة الخفيفة ١٧٢
الاستراحة ١٧٢
قوانين التغير الصوتية ١٧٤
مواضع التغير ومجالاته ١٨٠
القوانين الصوتية ١٨٤

obeikandi.com

الموضـــــــوع	الصفحة
التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات	١٨٧
التغييرات التاريخية	١٨٧
التغييرات التركيبية	١٨٧
قانون المماثلة والمخالفة	١٩٤
المماثلة وأنواعها	١٩٤
التأثر المقبل الكلى فى حالة الاتصال	١٩٧
التأثر المقبل الكلى فى حالة الانفصال	١٩٩
التأثر المقبل الجزئى فى حالة الاتصال	٢٠١
التأثر المقبل الجزئى فى حالة الانفصال	٢٠٤
التأثر المدبر الكلى فى حالة الاتصال	٢٠٥
التأثر المدبر الكلى فى حالة الانفصال	٢٠٩
التأثر المدبر الجزئى فى حالة الاتصال	٢١١
التأثر المدبر الجزئى فى حالة الانفصال	٢١٣
قانون المخالفة	٢١٤
المخالفة وصورها	٢١٤
المخالفة بين السامية الأم والعربية	٢١٥
قانون السهولة والتيسير	٢٢١
فهرست المراجع	٢٢٩
فهرست الموضوعات	٢٣٧

obeikandl.com